

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٢٩٨ - ربيع الآخر ١٤٢٢هـ - يونيو/يوليو ٢٠٠١م

ALFAISAL MAGAZINE - No. 298- JUN./JUL. 2001

- تعريب العلوم
- التنمية في عصر المعلوماتية
- الخبرة الطبية في التشريع الإسلامي
- الفراكتلات
- الانفجار البيولوجي العظيم
- الجينسينغ: عشبة الشرق السحرية
- إيزابيل الليندي: الرواية أسهل من القصة القصيرة

أرخبيل فَرَسان

موسم هجرة أسماك الحريد والطيور

شركة واحدة فقط
توفّر لك كل هذه الخدمات

REDIAL

ABC
النقل بين المدن

DEF
الخدمات المحلية

النقل الدولي

MNO
خدمات الحج والعمرة

JKL

GHI
العقود و التأجير

WXYZ
البرامج السياحية

TUV
النقل المدرسي

PQRS
الخدمة المميزة

الشركة الرائدة في مجال النقل البري توفر خدمات متعددة لكافة الأغراض ، لمسة واحدة فقط وتحصل على الخدمة التي تحتاجها.

اتصل مجاناً على الرقم ٩٩٩٩ ١٢٤ - ٨٠٠



SAPTCO النقل الجماعي



الناشر: دار الفيصل الثقافية

المحتويات



أرخبيل فُرسان

في فرسان يأخذك سحر الجغرافيا ممزوجًا بسحر التاريخ، وأنت تتأمل زرقة بحرها؛ لتعيش دهشة الألوان والتراكيب في شعابه المرجانية، ولتدور في ذهنك جملة تساؤلات: كيف نشأ هذا الأرخبيل؟ وكيف تشكلت هذه الجزر؟ وما سر هذا الموسم العجيب: موسم هجرة أسماك الحريد والطيور البرية الذي تتحول فيه حركة سكان فرسان إلى إيقاع صاخب؟!

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠-٠٢٥٨

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- تأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء، والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

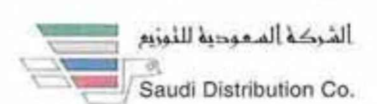
السعودية ٨ ريالات . الكويت ٦٥٠ فلس . الإمارات ٧ دراهم . قطر ٧ ريالات . البحرين ٧٥٠ فلس . عُمان ٧٥٠ بيسة . الأردن ٥٠٠ فلس . اليمن ٦٠ ريالاً . مصر جنيهان . السودان ٧٠ ديناراً . المغرب ٨ دراهم . تونس دينار واحد . الجزائر ٨٠ ديناراً . العراق ٤٠٠ فلس . سورية ٣٠ ليرة . ليبيا ٨٠٠ درهم . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ١٥٠ فرنك . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية . الشركة السعودية للتوزيع . هاتف ٦٥٣٠٩٠٩(٠٢)، فاكس ٦٥٣٣١٩١(٠٢). مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء هاتف ٣٣٩١٠٩٥ . فاكس ٣٣٩١٠٩٦ . ٢٠٢... سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٢٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ . ١١. ٩٦٣.... تونس . الشركة التونسية للصحافة . ٣ نهج المغرب . فاكس ٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ - ١ - ٢١٦.... قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ . فاكس ٤٦٦١٨٦٥ . ٩٧٤... الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ . فاكس ٤٦٣٥١٥٢ . ٦ . ٩٦٢... البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٥٣١٢٨١ . ٩٧٣... الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ . فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ . ٤ . ٩٧١... الجزائر . مؤسسة E.B.D PRESSE لتوزيع الصحافة. ت ٤٨٦١٥٥٥ فاكس ٤٨٦٢٤١٥ . ٢١٣... الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ . ٩٦٥... السودان شركة النحوي للتجارة والتوزيع ص.ب ١٠٣٧١ ت: ٧٧١٥٤٧/٢٧ فاكس ٧٧٤٣٣٦، المغرب MOROCCO . SOCHPRESS - CASABLANCA - TEL:2400223, Fax:00212-2404041/32، باكستان PAKISTAN

PARADIS BOOKS & DISTRIBUTORS- KARACHI 75400, TEL:4314981/2 FAX: 0092-21-4554410.

الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع ت: ٢١٨٦١٥ - ٣ - ٩٦٧ فاكس ٢٢٢٣٢٨



تاريخ كعب الغلاف

لماذا التأخير؟

لي عظيم الشرف أن أرفع قلمي أول مرة لأخط هذه السطور إلى المجلة المحبوبة والمفضلة - الفيصل - ولأشكر لها ما تقدمه من فائدة عظيمة لقرائها في كل أنحاء المعمورة مما تحمله من موضوعات ثقافية وعلمية ودينية في غاية الأهمية. ولكن يبقى هناك إشكال بسيط لدينا هنا في الجزائر، أو بالأحرى في مدينتنا «ورقلة» وهو أن المجلة المحبوبة لا تصل إلينا إلا متأخرة جداً أي بعد شهر أو أكثر من صدور العدد، فمثلاً العدد الصادر في شهر مارس/أبريل، لم يصلنا إلا مع مطلع شهر مايو، والإشكال الثاني يكمن في مسابقة المجلة، فبما أن المجلة تصل متأخرة فمن الطبيعي أن تصل إليكم إجاباتنا متأخرة، ومن ثم سيتم رفضها من طرفكم، ولست أدري أكان الإشكال هنا في الجزائر ناجماً عن التأخر في عملية التوزيع، أم أنها تتأخر من عندكم، نأمل وضع حل لهذين الإشكالين.

وفقكم الله وأعانكم على تطوير مجلتكم المحبوبة والرائعة، وأخيراً لكم مني فائق الاحترام والتقدير.

أحمد محجوبي
ص.ب ٦٧٤ - ورقلة - الجمهورية الجزائرية.

التحرير:

نشكر لكم اهتمامكم بالحصول على المجلة في موعدها، وسوف ننظر في مسألة التأخير بجدية، حتى تتاح المجلة للقراء فور صدورها، ونأمل أن نجد تعاوناً من جهات الاختصاص في الدول التي توزع فيها، كما نأمل لكم حظاً وافراً لنيل إحدى جوائز مسابقة «الفيصل» التي تحرص على المشاركة فيها.

كلمات متقاطعة وملاحظات!!

أنا أحد المعجبين بمجلة العرب الأولى «مجلة الفيصل» وقد تعرفتها - يا للأسف - مؤخراً، وشدتني إليها موضوعاتها الثقافية المميزة. وأنا نادم على أنني لم أستطع أن أحصل على الأعداد السابقة التي فاتتني.

لذا أرجو من سيادتكم التكرم بإرسال بعض الأعداد السابقة للعدد ٢٩٥ وخصوصاً ما يتعلق بتاريخ المملكة العربية السعودية.

ولي ملاحظات أوجزها فيما يأتي:

- أرجو تخصيص زاوية ثابتة للحديث عن الجديد في علوم الطب والبيولوجيا.
- أؤيد مقترح إعادة «دائرة المعارف» لما يشكله من معلومات قيمة ومفيدة.
- عمل كلمات متقاطعة ثقافية كنوع من التسلية الثقافية.
- نعاني هنا في اليمن، وخصوصاً في مدينة تعز، من عدم انتظام وصول المجلة في موعدها المحدد. راجعنا موزع المجلة في مدينة تعز، فكان رده أن المجلة تتأخر من قبلكم.

نرجو حل الإشكال لما فيه الصالح العام، وهذا علمي ولا جاءكم شر. وشكراً.

أمين عبده محمد الحشبيري
ص.ب ٥٥٥٨١ - تعز - اليمن.

التحرير:

نشكر لك رسالتك، وسيتم التنسيق مع الموزع في اليمن بخصوص تأخير وصول العدد إلى بعض المدن. أما بخصوص اقتراحاتك، فنرى أن المجلة تتابع الجديد في الطب والعلوم من خلال مقالات موثقة تغني عن أي زاوية، وقد وردت إلينا اقتراحات كثيرة بخصوص «دائرة المعارف»، مما يدفعنا إلى تقويمها، والبحث في أفضل شكل يمكن أن تكون عليه «دائرة المعارف»، ولا نرى في الوقت الحالي - على الأقل - فائدة وجود كلمات متقاطعة ضمن أبواب المجلة.

لماذا لا أفوز؟!

لا شك أن مجلة «الفيصل» فخر لكل مثقف عربي، فهي بحق المجلة الثقافية الأولى في الوطن العربي، ولها مكانتها الكبيرة في قلوب مثقفي العالم العربي. ومجلتكم الغراء بل مجلتنا دائماً

أحرص على اقتنائها شهراً بعد شهر لما تحتويه من مواد غنية وموضوعات أدبية رفيعة شاملة، فأرجو الله لكم ولها مزيداً من التقدم والازدهار، ولدي بعض الملاحظات والاقتراحات:

- إنني من منتصف التسعينيات أشارك في مسابقة المجلة، ولم أفز حتى الآن، ولا أدري لماذا!!

فهل مسألة الاشتراكات السنوية شرط في قبول المتسابق أم ماذا؟.

- أرجو منكم أن تمدوا فترة المسابقة إلى شهرين أي ٦٠ يوماً من صدور المجلة.

فيصل عبدالله التوم عبدالله
أم درمان - السودان.

التحرير:

الفوز بإحدى جوائز المسابقة لا يخضع إلا للعبة الحظ، لأن تحديد الفائزين يتم بالقرعة، وبطريقة تضمن تساوي الفرص بين جميع المتسابقين. وبالنسبة إلى المدة المتاحة لإرسال الإجابات، فإننا نرى أن ٤٥ يوماً تبدو كافية حسب ما توضحه الرسائل التي ترد إلينا في كل شهر.

أسئلة محيرة!!

يسرني المشاركة في مسابقة المجلة إلا أن الأسئلة - مع تقديري واحترامي للقائمين عليها - محيرة جداً، فمثلاً السؤال الثاني عن: العشر، الزعفرانة، الهجيمة لم تظهر الإجابة لدي في العيون والآبار في مكة المكرمة حرسها الله. وإذا كانت أحياء في مكة المكرمة فأهل مكة أدرى بشعابها، فهل يا ترى السؤال موجه لأهل مكة؟ وإذا كان الأمر كذلك فأهل مكة لا يمكنهم معرفة هل كانت هذه الأحياء عندهم. فقد سألت عدداً ممن يسكنون مكة بالهاتف ولم يعرفوها؟!

على أية حال أرجو أن تتقوا الله في طرح الأسئلة العامة، لتكون من النوعية التي يستطيع الإنسان التفتيش عنها، وليست أسئلة عن الأحياء لا يمكن حتى لأهلها معرفتها.

أبو ذر الغفاري المدلجي
ص.ب ١٩١١٥، حلب - سورية.

التحرير:

نطمئنك أن أغلب الإجابات عن الأسئلة موجودة في الأعداد السابقة للمجلة، والأسئلة ليست إلا تنشيطاً للذاكرة، واختباراً لمدى الاستفادة من المعلومات الواردة في المجلة، وإذا كان هناك سؤال عن حارات مكة، فتوقع أن يكون هناك سؤال عن بعض معالم حلب وحاراتها، مادام قد ورد شيء عنها في عدد من أعداد المجلة.

ردود سريعة

الأخ مصطفى عبده الحاج سعيد - تعز - اليمن:

الموضوعات التي أشرت إليها، مثل: الثقافة العربية والاستشراق، وصور الغزو الفكري وأساليبه، يتم تناولها من خلال مقالات المجلة، ولا نحتاج إلى تخصيص باب أو زاوية لها.

الأخ محمد فايد - ولاية بلعباس - الجزائر:

ليس لدينا باب للتعارف أو طلبات الزواج، ولا ندري على أي أساس أرسلت بسيرتك الذاتية ومواصفات الزوجة التي تريد الاقتران بها؟!!

الأخ عادل خالد - إقليم خنيفرة - المغرب:

نشكر لك إشاراتك إلى بعض الأعلام الذين فاتنا أن نكتب عن وفاتهم في الملف الثقافي، ونحن نحاول - قدر الإمكان - متابعة كل الأحداث المهمة في المشهد الثقافي العربي، ولكن استيعابها جميعاً أمر يبدو صعب المنال.

أما موقع المجلة على الإنترنت، فيتم الآن الإعداد له ليرى النور قريباً إن شاء الله.

الأخ هاشم محمد - مزرعة بركان أحمد - بكورة - شرشال - ولاية تبازة - الجزائر:

ها نحن أولاء ننشر عنوانك كاملاً، لعل قريبك الملقب «مي مهند هاشم» الذي جاء - كما تقول - منفياً من طرف الاستعمار الفرنسي إلى مكة المكرمة يطلع عليه، ويحاول الاتصال مع أهله.

أرخبيل فَرَسَان

موسم هجرة أسماك الحريد والطيور

أحمد إبراهيم البوق
الطائف - السعودية
شارك في التصوير: محمد حسين بنونة
الرياض - السعودية

البحر لا يُسلمك إلى البحر بسهولة، البحر يأخذك عميقًا إلى أغوار ذاتك كي تعيد اكتشاف الأشياء، تتهجى أسماءها كما لو أن البشرية بدأت الآن لثغتها باللغة، تخطو خطوتها الأولى في عالم مملوء بالدهشة. في هذا البحر يأخذك سحر الجغرافيا ممزوجًا بسحر التاريخ، بعرق البحارة وتعبهم وصبرهم، بالتماعات الأمل في عيون الفلاحين كلما مرت سحابة صيف عابرة، برائحة البحر ممزوجة بعطر أشجار البشام وندى الياسمين البري وريحان البيوت الحجرية العتيقة، بقطيع من الظباء أفزعه موج البحر ففر كسحاب غائم، بأسراب طيور مهاجرة تناثرت على الشاطئ كلآلئ، بغابات الشورة والقندل الساحلية وأسماك وأصداف لا حد لها تأخذك في هذا البحر عميقًا عبر دهشة الألوان والتراكيب في شعابه المرجانية، هذا هو البحر الفرساني إنه بحر من الدهشة يأخذك إليه أقصى جنوب شرق البحر الأحمر!!


منظر جوي لغابات القندل الساحلية في جزر فرسان (كوبيه - مكتبة المركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية بالطائف)

فكيف نشأ أرخبيل (جزر) فرسان؟

لكي نسترجع التاريخ الموغل في القدم علينا أن نتحلى بقليل من الصبر، وبعض الخيال، وكثير من الحب. إذ كيف يمكن أن نستمتع بعبير الأزهار ما لم نعرف من أين تستجلب الجذور ماءها الأزلي. فالبحر الأحمر أخدود تكتوني تكون عندما انفصل شبه الجزيرة العربية عن قارة إفريقية قبل نحو ٢٤ مليون سنة، وكان حوضاً شبه



مغلق يصل فيه التبخر إلى معدلات هائلة. أدى هذا الوضع إلى تراكم الأملاح والمتبخرات الأخرى وكان متوقعاً أن يصبح بحيرة شديدة الملوحة لدرجة يصعب فيها استمرار حياة الكائنات البحرية، ثم حدث تجدد لتمدد القشرة الأرضية قبل خمسة ملايين سنة نتج منه الأخدود الحالي للبحر الأحمر وصاحبه رفع للأراضي على جانبي البحر نتج منه انفصاله عن البحر الأبيض المتوسط بواسطة برزخ السويس، وانكسر مضيق باب المندب فاتصل المحيط الهندي بالبحر الأحمر، ومعه قدمت أحياء كثيرة تمثل بيئة المحيط الهندي. ومنذ ذلك التاريخ السحيق بدأ تكوين الليثوسفير المحيطي في قاع البحر الأحمر، وهو ما يؤدي إلى التوسع المستمر لقاع البحر بمعدل نحو سنتمترين في السنة، ولذلك يسمى البحر الأحمر «محيط في طور النمو». إذ يتوقع أن يزيد

عرضه على ٢٠كم خلال مليون سنة إذا استمر هذا التوسع بالمعدل نفسه، وأن يتحول إلى محيط خلال ١٥٠ مليون سنة. من هذه المعطيات الجيولوجية، فإن البحر الأحمر يعدّ أكثر بحار العالم ملوحة إذ يصل معدل الملوحة ٣٦ جزءاً من الألف في المحيطات، وهو شبه ثابت، فإنه في البحر الأحمر يزداد كلما اتجهنا شمالاً من ٣٦.٥ جزءاً من الألف إلى ٤٠,٥ جزءاً من الألف عند مدخل خليج العقبة والسويس. أما عن تجدد مياه البحر الأحمر فهي تتدفق نحو خليج عدن في بحر العرب في فصل الصيف نتيجة للرياح الموسمية الجنوبية الغربية، وتنعكس في فصل الشتاء إلى داخل البحر الأحمر بسبب الرياح الشمالية الشرقية، وينخفض منسوب البحر نحو متر واحد في الصيف موازنة بينه وبين منسوبه في الشتاء، ومتوسط إقامة المياه في البحر الأحمر للـ١٥٠م العلوية يقدر بنحو خمس سنوات، وتتغير مياه البحر كلياً خلال فترة قد تصل إلى ٢٠٠سنة. وبينما قدرت مساحة البحر الأحمر بـ٤٥٠.٠٠٠ كم مربع قدّر متوسط عمقه بنحو ٤٩١م موازنة بينه وبين متوسط عمق المحيطات البالغ ٣٧٠٠م. أما أقصى عمق سجل في البحر الأحمر فكان ٢٨٥٠م، وهو أقل قليلاً من أعلى قمة في جبال السروات. وبينما يمتد البحر الأحمر طولاً نحو ٢٠٠٠كم، فإن عرضه يراوح بين ١٨٠كم في الشمال إلى ٣٥٠كم، حيث يتسع في الجنوب أمام شواطئ جازان حيث يقع أرخبيل جزر فرسان، ثم يضيق ثانية ليصل إلى أقل من ٣٠كم عند مضيق باب المندب.

معظم الجزر في البحر الأحمر تتكون من شعاب مرجانية، وليست بركانية، وهناك نمطان لهذه الجزر؛ إما شعابية طينية منخفضة، وهو ما عليه أغلب الجزر، وإماً شعابية طافية، مثل جزر فرسان.

فرسان وجزرها

يتكون الأرخبيل الفرساني من منظومة كبيرة من الجزر تصل إلى ١٧٦ جزيرة تقع على بعد نحو ٤٢كم عن جازان في جنوب البحر الأحمر، ويمتد لنحو درجة واحدة طولاً وعرضاً، ويتكون من مسطحات من الأحجار



منظر جوي لبعض جزر فرسان الصغيرة (سوستير . مكتبة المركز الوطني)

الجيرية الشعابية التي ترتفع عن سطح البحر أكثر من ٢٠م في المتوسط، بينما يبلغ أقصى ارتفاع في جزر فرسان إلى ٧٢م عند جبال البطن. وقد ولدت الجزر نتيجة لوجود كتل هائلة من الملح المايوسيني المندفع إلى أعلى مكونًا قبابًا ملحية صخرية قامت برفع ما عليها من الإرسابات الكلسية.

وقد دلت الآبار التي حفرت جنوب غرب الجزر بحثًا عن البترول على سيادة الملح على عمق كبير. وسطح الجزر الفرسانية مزيج معقد من الأغوار العميقة، والمياه الضحلة، والشعاب المرجانية الحديثة التكوين، إذ يرجع تاريخ الشعب القديمة المكونة لسطح الجزر بين ١٢٠-١٧٠ ألف سنة. وخلال العصر الجليدي في حقبة البلاستوسين (١٧ - ٣٠ ألف سنة) انخفض مستوى ماء البحر إلى ما بين ١٢٠-١٥٠م مما أدى إلى توقف نمو الشعب المرجانية لارتفاع مستوى الملوحة، ثم عاد مستوى ماء البحر إلى الارتفاع منذ ١٤-١٥ ألف سنة تقريبًا إلى أن وصلت إلى مستواها الحالي منذ نحو ٧ آلاف سنة؛ لذا فالشعب المرجانية الموجودة حاليًا في أرخبيل فرسان تعدّ حديثة نسبيًا من الناحية الجيولوجية، إذ يقدر عمرها بنحو ٧ آلاف عام.



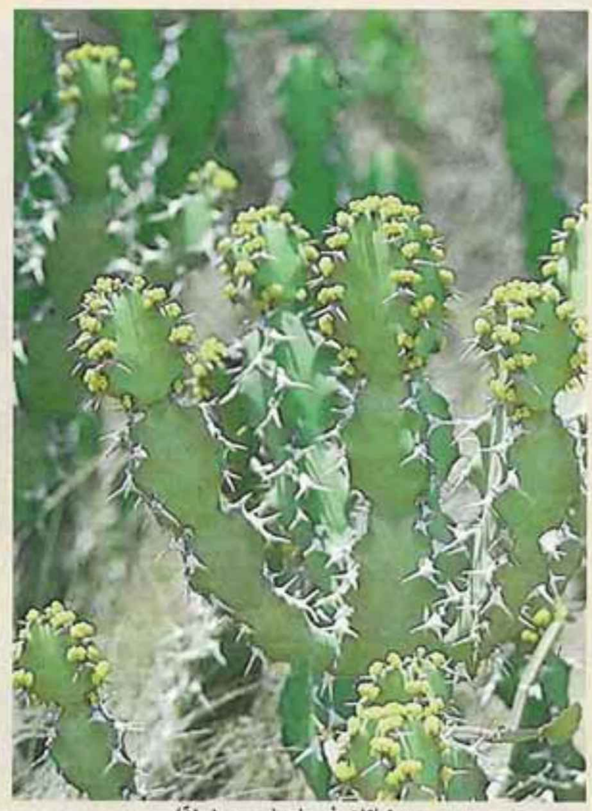
طائر العقاب النساري على عشه قريبًا من الشاطئ، وفي فرسان أهم تجمع في الشرق الأوسط لهذا النوع من العقبان
(جنثر - مكتبة المركز الوطني)

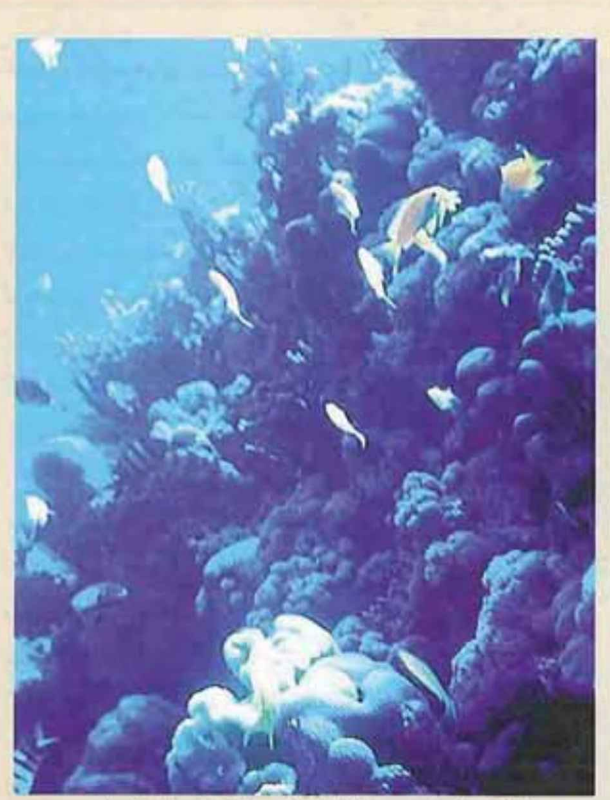


الغزال الفرساني لونه يميل إلى الرمادي، وهو مميز لبيئة الجزر (جنثر - مكتبة المركز الوطني)

ومن بين ١٧٦ جزيرة في أرخبيل فرسان لا يسكن الفرسانيون سوى ثلاث منها، وهي: فرسان الكبرى، والسّقيد، وقمّاح، ويبلغ طول جزيرة فرسان الكبرى ٦٦كم وعرضها يراوح بين ٥-٨كم أما السقيد فطولها ٣٥كم وعرضها ١٠كم ويربط بينهما جسر حديث، وتقدر مساحة جزيرة فرسان الكبرى ٣٦٩كم٢، والسقيد ١٠٩كم٢، وقمّاح ٣ر١٤كم٢، والدسّان ٣٤كم٢ وزفاف ٣٠كم٢، وقدرت مساحة ١٣ من الجزر الرئيسة بأكثر من ٦٠٠كم٢.

ويزرع الفرسانيون النخيل في قريتي قصار والمحرّق، وجزيرة السقيد، وتقدر أعداد النخل بنحو ٥ آلاف نخلة، بينما أشار الأستاذ إبراهيم مفتاح في مقالة له عن جزر فرسان نشرت في مجلة الفيصل في عددها العشرين في عام ١٩٧٩م أن عدد النخيل في واحات فرسان والسقيد يبلغ خمسة وعشرين ألفًا. ومن غير المعروف أكانت


من نباتات فرسان (محمد بنونة)


التنوع السمكي حول الشعاب المرجانية في مياه فرسان
(بودان - مكتبة المركز الوطني)

أعداد النخيل قد انخفضت على مدار أكثر من عشرين سنة أم أن هناك مبالغة بالزيادة أو النقص في حجم التقديرات؟ علمًا أن الاستاذ علوي الصافي أشار إلى وجود ٣٠٠٠ نخلة في عام ١٩٦٥م.

كما يزرعون الدخن والذرة والشمام والبطيخ، وتنقسم الزراعة بين مطرية ومروية من آبار للمياه العذبة التي تتغذى من مياه الأمطار. ويشتغل معظم سكان جزر فرسان المقدر تعدادهم بنحو ١٥ ألف نسمة في صيد الأسماك والزراعة واستخراج اللؤلؤ، إضافة إلى الأعمال الحكومية، إذ تنتشر في قرى فرسان المدارس بمراحلها المختلفة، وفيها مستشفى رئيس ومركز للمحافظة، ومراكز لحرس الحدود.

الربيع: أسماكه وطيوره

كيف انضبط إيقاع الفرسانيين بإيقاع البحر، وأصبح لهم جملة من العادات والتقاليد في مطلع الربيع مع بداية هجرة أسماك الحريد والطيور البرية؟.

تظهر أسراب أسماك الحريد في موقع محدد على شواطئ فرسان في فصل الربيع وتحديداً بين شهري أبريل/نيسان ومايو/أيار، وبشكل أكثر دقة في اليوم التالي لاكتمال القمر، ويستمر ظهور أسرابها ما بين ثلاثة إلى سبعة أيام، ثم تختفي إلى العام المقبل، ويستمر هذا الظهور ثلاث سنوات في الشهر ذاته، ثم تنتقل إلى الشهر الذي يليه، أي من شهر أبريل/نيسان مثلاً إلى شهر مايو/أيار، أو من شهر محرم إلى شهر صفر، وهكذا، ثم تعود بعد ثلاث سنوات إلى الظهور في الشهر السابق في دورة تتكرر بشكل دقيق. ويعتقد أن أسماك الحريد لديها القدرة الفسيولوجية على ضبط ساعاتها البيولوجية للهجرة؛ للتوفيق بين التوقيت الشمسي والقمري إذ إن اكتمال القمر عامل مهم في ظهورها، وسيأتي شرح الأسباب لاحقًا، ولكن أهالي فرسان يحتفلون بظهور أسراب أسماك الحريد بأن يقيموا حفلات ابتداء من أول يوم لظهوره حتى اختفائه في منازل العرائس اللواتي تزوجن في هذه السنة.



فراخ طائر العقاب النساري في العش (جنثر - مكتبة المركز الوطني)

وترتدي العروس كامل زينتها، وتتدفق على دارها نساء الحي يحتفلن بذلك. ولأن هجرة أسماك الحريد تتوافق مع بداية موسم إثمار النخيل، فإن بعض الناس يستخدم عراجين النخل الذي لم ينضج ليوضع على رأس العروس، ثم يغنى الشعر الشعبي بألحان خاصة احتفاء بالحريد. ومن ذلك قولهم :

قال المغني الحريد وقته جاني
يازين هات لي المعاني
حسبت ذا الشهر وقالوا الثاني
وحي الغيد قد شجاني
بالله عليك ياحريد لاتنساني
يكفيني الذي أعاني

وهذه الطقوس الشعبية الفرسانية التي وثقها ابن الجزيرة الأستاذ إبراهيم مفتاح في بعض كتبه عن فرسان لا أعلم أكانت لاتزال تمارس بالوهج نفسه أم خبت مع أضواء المدنية؟

أما الرجال الذين يتدفقون من الفجر على شاطئ الحريد، وهو مصطلح شائع للمكان الذي تظهر فيه أسماك الحريد، وهو ساحل «القَبْر»، ويسمى خارج السايلة، فإنهم يتحرّونه من بعد طلوع الفجر حتى استواء الشمس في العاشرة صباحاً على وجه التقريب، وإذا ظهر «السواد»، وهو مصطلح محلي لسرب أسماك الحريد، فإن مجموعة ذات خبرة تهبط الى الشاطئ محمّلة «بالأدوال»، وهو مصطلح محلي للشباك، ثم يقومون بتطويقه وسحبه إلى الشاطئ إلى عمق بسيط ثم تجمع شجيرات «الكسب» واسمها العلمي Limonium axillare من على الشاطئ، وتحاط بها الشباك كي لا تتمزق، ثم يصيح العريف المنظم لهذا الطقس بكلمة «الضويني» وهي كلمة محلية تعني: اهجموا. فتندفع الجموع المنتظرة بشوق على الشاطئ لتجميع أسماك الحريد، فبعضهم يجمعه في أكياس من الخيش أعدت فتحاتها بشكل خاص وبعضهم يجمعها في قميصه بعد أن يشد حزاماً على وسطه.

بين الحقيقة والأسطورة

وللبحارة في فرسان أسطورة عجيبة حول مصدر هذه الأسماك، فهم يعتقدون أن شيخ البحر الأحمر، وهو كائن أسطوري أهدى شيخ بحر الهند نوعًا من الأسماك يسمونه «الحماميق»، ومفردها «حُمَيقة»، ورد شيخ بحر الهند على الهدية بإهداء أسماك الحريد. فالاعتقاد الشائع أن هذه الأسماك قادمة من المحيط الهندي للتكاثر على شواطئ فرسان.

فكم تبعد الأسطورة عن الحقائق العلمية في مصدر أسماك الحريد وأسباب اختيارها لهذا الموقع بالذات؟

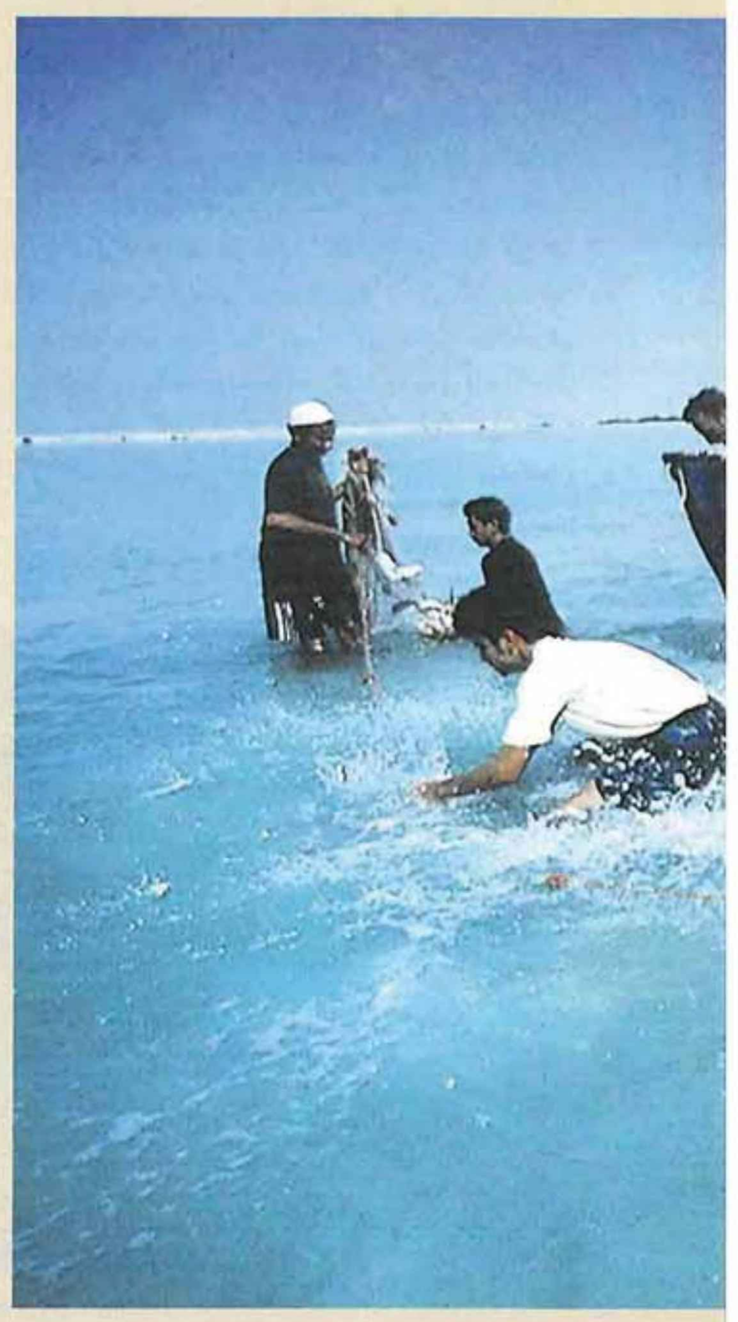
تسمى أسماك الحريد بأسماك الببغاء الطويلة الأنف Long nose parrot fish، وهذا الاسم مشتق من



نصب الشباك لصيد سمك الحريد (محمد بنونة)

كثرة ألوانها، وطول فكها العلوي بما يشبه منقار الببغاء الذي يستخدم في رعي الطحالب على الصخور الكلسية. واسم هذا النوع علميًا مشتق من الاسم العربي لها وهو Hippoccarus harid وقد تم تصنيف هذا النوع من قبل فورسكال في عام ١٧٧٥م وينتمي هذا النوع إلى عائلة Scaridae، وتتوزع هذه العائلة في


أقدم بتفاؤل على صيد سمك الحريد (محمد بنونة)



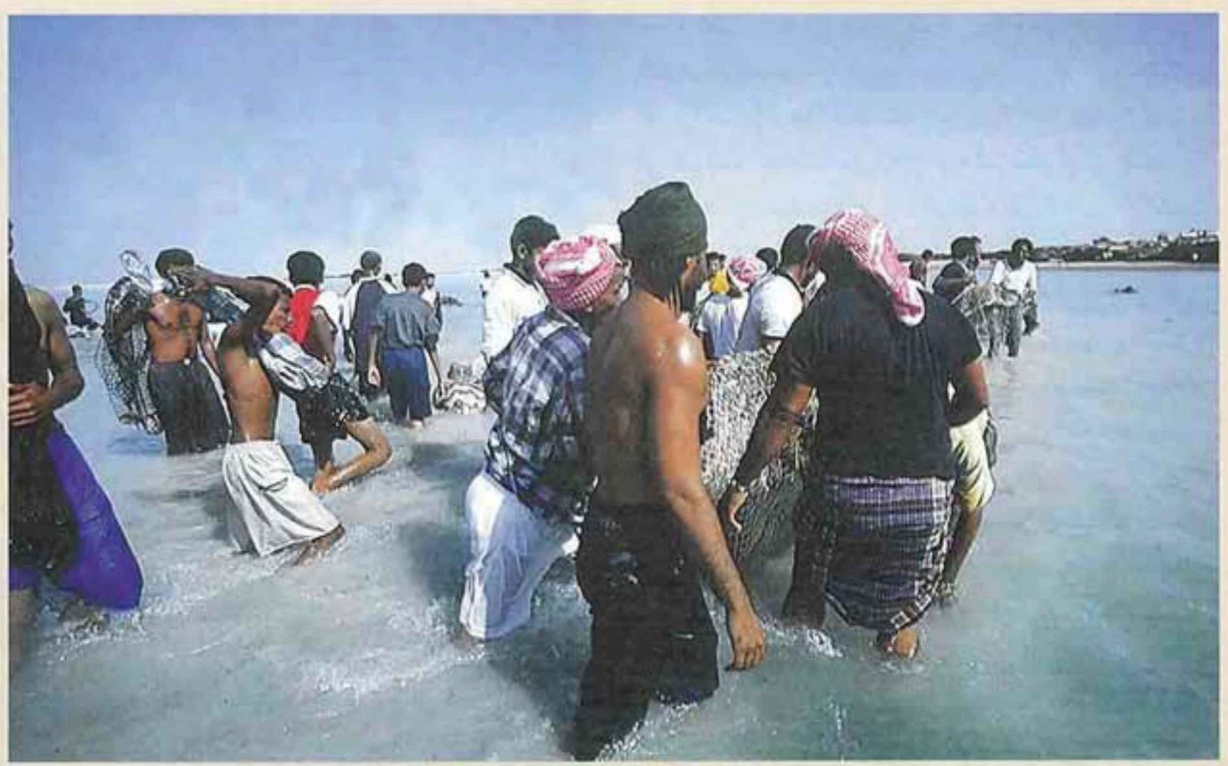
النطاق الاستوائي، ومنها ١٥ نوعًا ممثلة في البحر الأحمر، وهي من الأسماك الشعابية، أي التي يرتبط وجودها بالشعاب المرجانية، علمًا أن ٢٥٪من أنواع أسماك البحار والمحيطات أسماك شعابية، بينما يصل عدد أنواع الأسماك في العالم إلى ٢٥ ألف نوع ٦٠٪ منها يعيش في المياه المالحة. وفي البحر الأحمر تحديدًا سجل ١٢٨٠ نوعًا من الأسماك منها ١١-١٧٪ أسماك مستوطنة، بينما سجل في البحر الأحمر ٢٥٠ نوعًا من الشعاب المرجانية منها ٤٠ نوعًا من المرجان الطري. وفي دراسة علمية أجرتها الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها في موسم ظهور أسماك الحريد في عامي ١٩٩٤م و١٩٩٦م وخلال ستة أشهر سابقة ولاحقة لموسم ظهور أسماك الحريد تبيّن أنها أسماك شعابية شائعة في مناطق الشعاب المرجانية المحيطة بجزر فرسان طوال العام، وأنها تتجمع في أسراب في وقت محدد من العام في موقع محدد لوضع البيض والتكاثر، إذ إن عددًا من الحيوانات البحرية التي تعيش

مقيمة على الشعاب المرجانية تتجمع للتبييض في مواقع محددة وأوقات محددة، ومن النادر تصور أن أسماكًا مقيمة على الشعاب المرجانية تهاجر مسافة ١٢٠٠ كم ذهابًا وإيابًا، وبعد فحص ١٠ إناث من أسماك الحريد في موسم هجرتها تراوح أطوالها بين ١٥ و٢٥سم تبين أن جميعها لديها مبايض كبيرة وناضجة، وتظهر في وضع جيد من حيث الألوان وحجم الكبد الكبير والتي من الصعب أن تكون بهذه الصورة لو كانت قادمة من مسافات بعيدة في وقت قصير، والشائع عند أسماك الشعاب المرجانية كالحريد الهجرة مسافات قصيرة ثم التجمع للتبييض كتكتيك شائع للتكاثر، ولكن تلك النتائج ليست كلامًا فصلاً، إذ يتطلب الأمر تعليم بعض الأسماك - أي وضع علامة مميزة عليها - في موسم التزاوج ومتابعتها بشكل دقيق على مدار العام لمعرفة أكانت تهاجر إلى مسافات بعيدة أم إلى مناطق الشعاب المرجانية المجاورة لفرسان والمحيطة بها؟

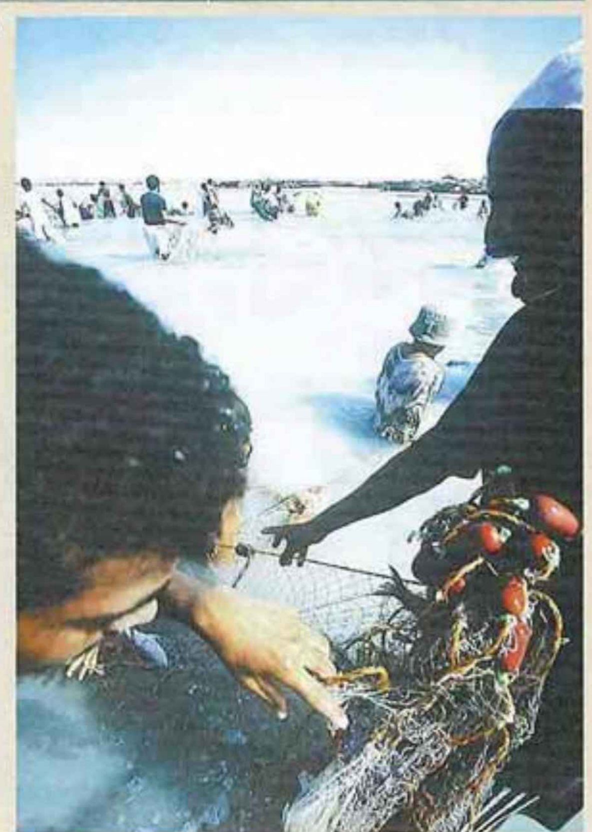
والحريد معروف كمتغذٍ نهاري بشكل سائد، وذلك مرتبط بالحركة العمودية لطحالب قاع البحر مع تيارات الماء التي تنشط نهارًا خلال عمليات التمثيل الضوئي، فتشكل غذاءً متاحًا لأسراب أسماك الحريد، وكميات الطحالب وتكاثرها غالبًا موسمي، وتعتمد على الاختلاف في درجات حرارة الماء وزيادة الأملاح المعدنية، ومن المحتمل أن الغذاء الذي يعتمد عليه الحريد يشيع في هذا الوقت من السنة، ومرتبط باكتمال القمر. ولدى الصيادين المحليين في فرسان دلائل على قرب تجمع أسماك الحريد، إذ تشيع رائحة مميزة في الشواطئ المحيطة بمناطق تجمعه يعتقد البحارة أنها رائحة الحريد، وتبدأ هذه الرائحة بعد غروب شمس اليوم الخامس عشر من الشهر القمري؛ أي عند اكتمال القمر. وقد فحص الباحثون هذه الرائحة ومصدرها وتبيّن أنها رائحة بيوض الشعاب المرجانية الملساء التي يتوقت تكاثرها في هذا الوقت من السنة وتحديدًا في المساء الأول بعد اكتمال القمر. ومن المثير أن هذه الظاهرة سجلت لدى سكان جزر ساموا وفيجي Samoa and Fiji إذ يعتمدون



لحظات انتظار قبل الشروع في الصيد (محمد بنونة)



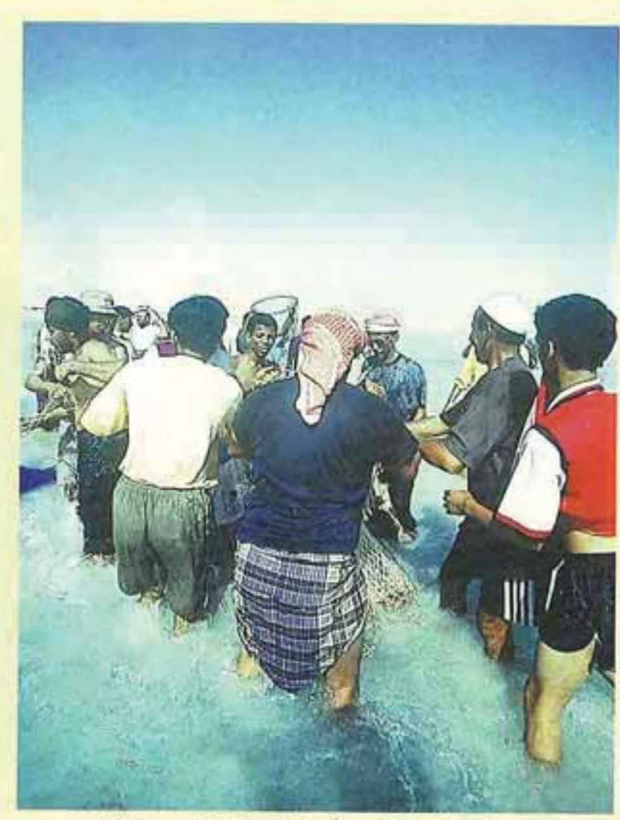
جميع الأعمار تشارك في فرحة الموسم (محمد بنونة)



على رائحة بيض الشعاب المرجانية لمعرفة أن ديدان بالولو Palolo warms سوف تظهر خلال ثلاثة أيام، بينما يعتقد هؤلاء السكان أن هذه رائحة الديدان.

والغريب في الأمر أن المنطقة التي يظهر فيها الحريد في فرسان تمتاز بانتشار نوع نادر من الشعاب المرجانية اسمه العلمي Acropora harrida، وهو اسم مرتبط بأسماك الحريد، وهذا النوع من الشعاب لم يسجل في البحر الأحمر سوى في هذه المنطقة وفي خليج السويس. ولمنطقة هجرة الحريد خصائص أخرى مميزة فهي خور شبه مغلق تلتحم فيه الشعاب المرجانية بالرمال على عمق ٣-١٠ أمتار، وهذا يجعلها في منأى عن أمواج البحر، وماؤها أكثر هدوءاً وملائماً للتزاوج. وفي مسح مقطعي لهذه المنطقة تبيّن أنها مغطاة بالشعاب المرجانية في بعض المواقع بنسبة ٢٥-٦٠٪ وبالرمال بنسبة ٣٥-٦١٪، وتفد أسراب أسماك الحريد على هذه المنطقة تباعاً في هذا الوقت المحدد من العام، وقدر أعداد الأسماك في كل سرب أو «سواد» بنحو

١٠٠٠ سمكة يتم صيد ٢٠-٣٠٪ منها بالطرق التقليدية بينما يكمل المتبقي مشروعه التزاوجي. وقد بلغ أقصى حجم سجل لأسماك الحريد ٧٥سم بينما راوحت في مواسم البحث بين ١٥٥ و٢٩٠ ملم أي لم يتجاوز الثلاثين سم والأوزان راوحت بين ٥٥ و٥٥٠جم. وتظهر هذه الأسماك تغيراً في الألوان من مراحل اليفاعة إلى البلوغ، وخلال مراحل التزاوج، واللون السائد للذكور والإناث رمادي رملي في الوجه والظهر، والزعانف السفلية أصفر فاقع مع أزرق فاتح، وتعدّ أسماك الحريد ومثيلاتها الأهم في المملكة الحيوانية البحرية من حيث طبيعة التكاثر في الشواطئ الرملية، فهي رملية الإنتاج فضلاً عن أهميتها الاقتصادية كأنواع مفضلة للتغذية. ومن بين ١٨٠نوعاً من الأسماك المسجلة في أسواق ساحل البحر الأحمر يعدّ الحريد واحداً من الأنواع الأكثر تفضيلاً من المستهلكين علاوة على أهمية أسماك الحريد بوصفها مصدراً غذائياً مهماً لطيور العقاب النساري Ospreyمن نوع Pandion haliaetusالذي تعدّ أهم مجموعاته في أرخبيل



تلمس الوسائل لصيد أكبر كمية ممكنة (محمد بنونة)



فرسان لكونها مجموعة تكاثرية في البحر الأحمر والخليج العربي، وربما عالميًا، وهذا النوع مهم جدًا لدلالتها على سلامة نظم البيئات البحرية ووفرتها.

فما قصة الطيور في فرسان؟

أجرى الدكتور حسن فلمبان متخصص الطيور، بالتعاون مع الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، مسحًا شاملاً لطيور فرسان في ١٩٩٠م على مدار ١٢ شهراً، وسجل ١٢٠نوعًا من الطيور منها ١٨نوعًا من الطيور البحرية، و٤٠ نوعًا من الطيور الشاطئية، و ٦٢ نوعًا من الطيور الأرضية، وأضيفت إلى هذه التسجيلات ٢٤ نوعًا سجلت في دراسات سابقة، ولم تسجل في هذه الدراسة. ويرجع تاريخ إجراء الدراسات العلمية على الطيور في المملكة إلى عام ١٩٥٤م، بينما بدأت في جزر فرسان منذ عام ١٩٨٤م، وقد قسمت الدراسة بيئات الطيور في جزر فرسان قسمين:

– بيئات ساحلية مكونة أساسًا من غابات أشجار الشورة Avicennia marina، ويبلغ ارتفاعها نحو ٣ أمتار، والقندل Rhizophora mucronata، ويبلغ ارتفاعها حوالي ٧ أمتار، إضافة إلى الشواطئ الرملية والصخرية والطينية والنباتات الملحية Halophyte.

– بيئات وسط الجزر، وتتكون من مزارع النخيل والمزارع الأخرى، وبيئات أشجار السمر والأراك والسدر والبشام والإيفوربيا والجروف من الشعاب المرجانية الأحفورية.

وبيّنت هذه الدراسة أن ٢٦ نوعًا من الطيور تمثل نسبتها ٢٢٪ تعد طيوراً مقيمة ومتكاثرة في الجزر الفرسانية، و١٦ نوعًا تمثل ١٣٪ تعد طيوراً مقيمة لم يسجل تكاثرها، وهي محتملة التكاثر في الجزر، و ٣٣



ابتسامة رضا بعد الفوز بسمك الحريد (محمد بنونة)



جد ومرح في أثناء الصيد (محمد بنونة)

نوعًا تمثل ٢٧,٥٪ هي من الطيور المهاجرة العابرة، أما التي تقضي الشتاء في الجزر فقدرت بـ٤٥ نوعًا من الطيور تمثل ٣٧,٥٪.

أما بالنسبة إلى مواسم تكاثر الطيور في جزر فرسان فهي على مدار العام، ولكنّ هناك موسمين واضحين للتكاثر: تكاثر صيفي (يونيو/حزيران – أغسطس/آب) للطيور البحرية والشاطئية المقيمة في أرخبيل فرسان، وتكاثر شتوي (ديسمبر/كانون الأول – فبراير/شباط) لمعظم الطيور الأرضية المقيمة في فرسان. ومن نافلة

القول أن معظم طيور فرسان مهاجرة، وتستخدم الجزر محطة للعبور أو لقضاء الشتاء.

بلغ عدد الطيور المهاجرة حسب الدراسة ٧٨ نوعًا وهي تمثل ٦٥٪ من الطيور في فرسان، وبدأت فرق البحث في عام ١٩٩٤م إجراء دراسات على الطيور المهاجرة في جزر فرسان، وثُبّتت حلقات في أقدامها لمتابعتها وقدر عدد الطيور المعلّمة ٣٢٥٦ طائراً مهاجراً خلال ربيع ذلك العام تنتمي إلى ٦٢ نوعًا من الطيور. وقد دلت الحلقات القليلة التي فحصت في أقدام بعض الطيور المهاجرة أنها قادمة من أماكن مختلفة من العالم من روسيا وإستونيا والسويد وألمانيا وإيطاليا وكينيا وفلسطين. بينما أجرت فرق دولية لدراسة الطيور فحصاً لخطوط الهجرة لبعض الطيور المهاجرة والعابرة أو المتوقفة في جزر فرسان، وتبين أن بعض هذه الطيور تهاجر نهاراً، وتستخدم معالم الأرض للتعرف إلى طرق الهجرة، بينما يهاجر بعضها الآخر ليلاً، وتستخدم النجوم للاستدلال على الطريق، وقد روقبت الهجرة الليلية للطيور عبر جزر فرسان في الليالي البيضاء المقمرة فوجد أن مجموعات كثيرة من الطيور تعبر سماء جزر فرسان بعد الواحدة صباحاً، ولأن سرعة طيران هذه الأنواع من الطيور الجواثم Pesserines تقدر بنحو ٦٠كم في الساعة؛ ولأنها تبدأ هجرتها من الأراضي الإفريقية في الساعة ٧ مساءً، فهذا يعني أنها وصلت إلى جزر فرسان بعد ٦ ساعات من الطيران المتواصل فوق البحر مما يعني أنها قطعت مسافة نحو ٣٦٠كم من الجنوب متجهة شمالاً. وهذا يعني أن جماعات هذه الطيور المسجلة انطلقت من جنوب إريتريا من مكان بين الساحل ونهر أواش الأثيوبي. وأمام هذه الطيور ٤ ساعات أخرى من الطيران المتواصل قبل شروق الشمس. وهذه الطيور العابرة لا تتوقف في جزر فرسان ولكن البطيء والضعيف منها يهبط على أرض الجزر: وتجري عمليات صيد تقليدية في جزيرة قمّاح وبعض الجزر الأخرى لهذه الطيور المتعبة من الهجرة والتي قدرت في ربيع عام ١٩٩٤م بأكثر من ٣٥ ألف طائر. وأغلب الطيور المصطادة من الصرد هي: أحمر الظهر والرمادي



والهازجة وأبي حناء الاحراش الأحمر، وأبي حناء أبيض الحلق.

والغريب في أمر هجرة الطيور أن بعضها يهاجر من أجل بعضها الآخر، فالصقور تتبع الحمائم للتغذي على المتعب والضعيف منها. فمثلاً تتغذى طيور الصرد على



جانب من الشعاب المرجانية تحت مياه فرسان
(بودان - مكتبة المركز الوطني)

أنواع أخرى من الطيور الجواثم، على الضعيف والمتعب من طول الهجرة، وهذا ما يفسر كثرة أعدادها في جزر فرسان. وفي حين تختلف أعداد بعض الطيور المهاجرة من سنة إلى أخرى في الجزر الفرسانية، فإن بعضها مثل طائر الهازجة Barred worbler من الممكن أن يكون شائعًا جدًا في سنة وغائبًا تقريبًا في سنة أخرى. بينما يتمكن الزائر لجزر فرسان من الاستمتاع بمشاهدة الطيور الشاطئية والبحرية كطيور أبي ملعقة والبجع الوردي الظهر، والأطيش البني، والنوارس طوال العام لتوالدها في الجزر.



السلحفاة الخضراء عائدة إلى البحر فجراً بعد وضع البيض على الشاطئ ليلاً (إيشاكر . مكتبة المركز الوطني)

وهناك أنواع نادرة من الصعب على غير المتخصصين مشاهدتها بسهولة كطائر هازجة الغاب Reed warblerالذي يعشش على أشجار الشورة والقندل الساحلية، وفيه نوع نادر جديد على العلم سجل فقط في جزر فرسان. وقد سبق الإشارة إلى أهمية جزر فرسان لاحتضانها أكبر مجموعة تكاثرية لطيور العقاب النساري، وكذلك طيور الصقور السحماء، وجميعها من الطيور الجوارح المميزة للبيئات البحرية.

من أين جاءت الغزلان؟!

ومن أكثر ما يرسخ في ذاكرة الزائر لجزر فرسان جموع غزلانها البرية تلك التي تمثل أعلى كثافة للغزلان على أراضي المملكة فلئن كان وجود الطيور مفسراً لقدرتها على الطيران. من أين جاءت الغزلان إلى هذه الجزر الساحرة في عرض البحر؟

هناك فرضيتان لوصول الغزلان إلى جزر فرسان: إحداهما ترجع إلى العصر الجليدي الأخير حين انخفض منسوب ماء البحر وتشكل جسر بري عبرت خلاله الغزلان من البر الأساسي. أما الفرضية الثانية فهي الشائعة لدى معظم سكان الجزيرة من أن البحارة جلبوها من منطقة جازان لتنويع مصادر غذائهم من البروتين المعتمد اساساً على الأسماك. وكانت في البدء في حظائر، ثم هربت لتشكل مجموعات برية.

فما مدى صحة الاعتقاد السائد من الناحية العلمية ؟

يُعتقد أن أول غزال صُنِّف من الجزيرة العربية كان مصدره من جزر فرسان. فقد صُنِّفت أولى العينات في عام ١٨٢٥م بواسطة باحثين هما:

هيمبرتش Hemprich، وإهرنبرغ Ehrenberg، والعينة محفوظة الجلد والجمجمة في متحف برلين الألماني للتاريخ الطبيعي. وقد صنِّفت في حينها على أنها نوع عربي Gazella arabica، وظل العلماء



همة ونشاط لصيد سمك الحريد (محمد بنونة)

يعتقدون أكثر من قرن ونصف القرن أن النوع الفرساني هو ذاته النوع المنتشر في الجزيرة العربية كما هو الحال مع الاعتقاد السائد لأهالي فرسان، إلى أن صنّف الباحث جروفز Groves في عام ١٩٨٣م الغزلان في الجزيرة العربية، فوجد أنها نوع مختلف عن العينة المحفوظة في متحف برلين وصنفت الغزلان العربية Gazella gazella cora، وساد اعتقاد أن النوع الذي عينته في المتحف الألماني انقرض من الجزر إلى أن سجلته بعثة علمية لمصلحة الأرصاد وحماية البيئة في عام ١٩٨٦م -علماً أن الأستاذ علوي الصافي قد أشار إلى وجود الغزلان في فرسان في مقال كتبه عام ١٩٦٥م في صحيفة البلاد - ثم أثبت مسح شامل أجرته الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها في عام ١٩٨٨م أنه منتشر بوفرة في أربع جزر فرسانية هي فرسان الكبير، وزفاف، والسقيد، وقمّاح، وهو يشبه الغزال الجبلي المنتشر في سواحل تهامة إلا أنه أصغر حجماً، ولونه مائل إلى الرمادي البني، وقرونه قصيرة لدى الإناث، ومستديرة في أعلاها لدى الذكور. وأيّدت الفحوصات المظهرية والوراثية اللاحقة تصنيفه تحت نوع مختلف مميز للجزر الفرسانية Gazella gazel-farasani علماً أن هذا الاختلاف بين الغزلان الفرسانية ومثيلاتها من الغزلان الجبلية العربية لا يمكن أن يحدث خلال عشرات السنين فهو بحاجة إلى آلاف السنين لكي يتم، وهو ما يرجح وصولها إلى الجزر خلال العصر الجليدي الأخير. فالمسوحات التي أجريت عام ١٩٩٣م أرضياً وجوياً أثبتت أن أعداده أكثر من ١٣٠٠ غزال في الجزر الأربع التي ينتشر فيها، مع أن معدل هطول الأمطار في الجزيرة لا يزيد على ٦٠ ملم في العام، وهو معدل منخفض جداً، ولا توجد مياه سطحية في الجزر ومعظم النباتات ملحية.



العبَّارة لحظة وصولها الى ميناء جنابة في فرسان (البوق)

فكيف تكاثرت الغزلان الفرسانية إلى الحد الذي تماثل فيه أفضل مناطق الغزلان في الشرق الأوسط، والتي تتمتع بمعدلات عالية لهطول الأمطار ؟.

تعتمد إستراتيجية التكاثر في الظلفيات الصحراوية - ومنها الغزلان- على توافر الغذاء والماء. فقد يكون التكاثر تبعاً لذلك على مدار العام أو في فصول محددة، كما هو الحال في غزال فلسطين من نوع G.g.gazella إذ تتوالد في الجليل الأسفل طوال العام، بينما تتوالد في الجليل الأعلى في الصيف فقط. والفرق بينهما مسافة ٨٠ كيلاً، ويرجع ذلك لوفرة الغذاء والماء في الجليل الأسفل طوال العام. ولكن جزر فرسان لا تتوافر فيها مياه سطحية سوى في مواسم الأمطار الشحيحة. فمن أين تشرب؟ وماذا تأكل الغزلان ؟

خلال ١٢زيارة علمية قامت بها الباحثة النباتية شيلا كولونيت مع فرق الهيئة لجزر فرسان بين عامي ١٩٨٤و ١٩٩٨م رصدت ١٨٨ نوعاً من النباتات الزهرية التي تنتمي إلى ٤٩ عائلة نباتية، والجزء الأهم في هذه الدراسة أن ١٦ نوعاً من النباتات لم تسجل في أي مكان آخر في المملكة سوى جزر فرسان علماً أن التنوع النباتي الزهري في المملكة يصل في مجمله إلى ٢٢٥٠ نوعاً.

تنقسم أهم بيئات النباتات البرية في جزر فرسان إلى غابات الشورة والقندل الساحلية، وبعض تجمعات النباتات الملحية على المناطق القريبة من البحر، وسيادة أشجار السلم والبشام والسدر والأراك في بعض مناطق وسط الجزر، والتي تختلط أحياناً مع صبارات ونباتات الإيفوربيا.

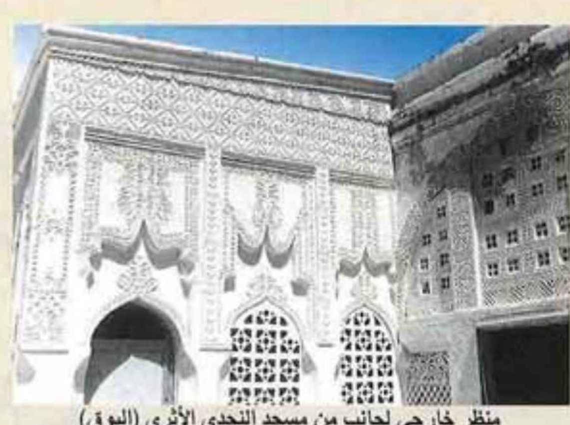
وفي دراسة لإستراتيجية التكاثر على الغزلان الفرسانية تبين أنها تحصل على الماء من الرطوبة المرتفعة في أوراق نباتات يتغذى عليها من جنس Limonium و Atriplex و Arthroconenum، وهو ينشط ليلاً للتغذية والحركة، بينما يختبئ خلال النهار بعيداً عن وهج الشمس إما تحت الأشجار، وإما تحت التشكيلات الصخرية التي تشبه المظلات. وقد بينت الدراسة أن تغذي الغزلان على النباتات السابقة إضافة إلى نبات شوك الضب Blepharis ciliaris وبعض الأعشاب من أنواع Hyparrhenia sp و Dichanthium foviolatum يقدر بـ٨٠٪، والنسبة الباقية تتحصل عليها من أشجار السلم والبشام والسدر والأراك والبلسم ونباتات كالتندة والرغل والطرف والشبرق والسواد، ولوحظ لعقها للندى

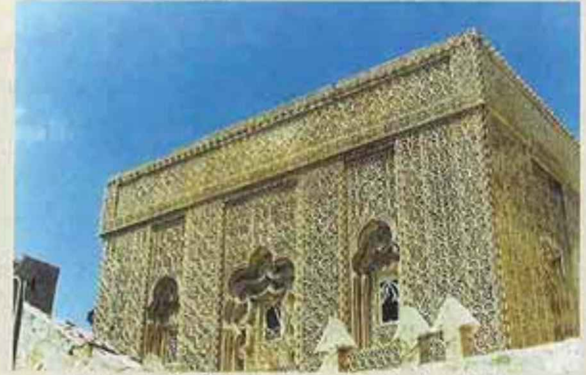


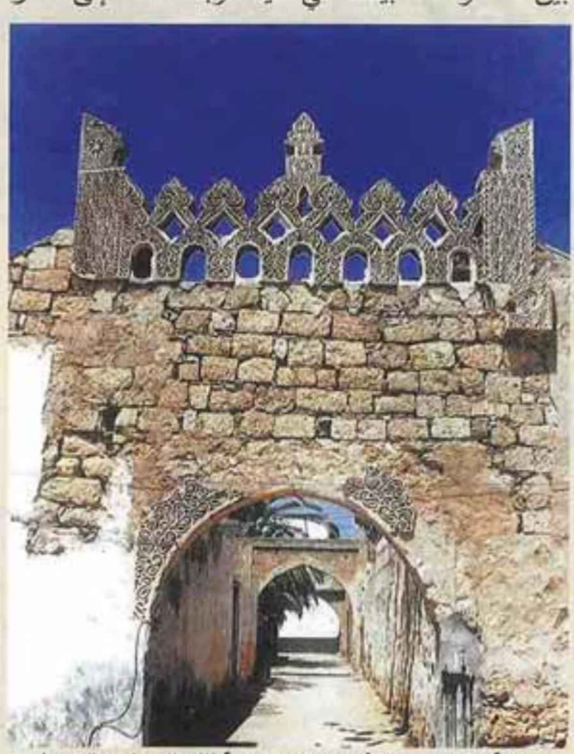
المتكون على أوراق أشجار الشورة الساحلية والتغذي عليها. وبشكل عام لوحظ تغذي الغزلان على النباتات عند ارتفاع معدل الرطوبة في أوراقها، وهذه الإستراتيجية في الحياة والتغذية والشرب تمنح الغزال الفرساني المقدرة على العيش في البيئات الفرسانية بكثافة عالية قدرت بأكثر من ٢٠ غزالاً لكل كم٢.

وعلى الرغم من أن الغزلان أكثر ما يميز جزر فرسان فإن هناك أنواعًا من الثديات كالنمس الهندي الأبيض الذنب، والمسمى محليًا بالسبسوب، والذي يعتقد أنه وفد على الجزيرة في قوارب البحارة قبل مئات السنين. وهناك الفأر الشوكي، وأنواع من الخفافيش كان أحدها من الأنواع النادرة واسمه العلمي -Asellia pa

trizii، وقد سجل أول مرة خارج القارة الإفريقية في جزر فرسان، إذ سبق تسجيله في إثيوبيا وإريتريا، وتحديداً في بعض الجزر الإريترية على البحر الأحمر. وسجل في جزيرة فرسان والسّقيد في عام ١٩٨٩م، وذلك بعد ٦٠سنة من تسجيله أول مرة في إثيوبيا في ١٩٣١م. وهناك قائمة للثعابين والزواحف ومنها السلاحف البحرية، والسلحفاة الخضراء التي يصل وزنها إلى ١٦٠ كغم، وسلاحف منقار الصقر، وجلدية الظهر وجميعها مهددة بالانقراض حسب تصنيف الاتحاد العالمي لصون الطبيعة. وبينما تتغذى السلاحف الخضراء على الأعشاب البحرية، فإن سلاحف منقار الصقر تتغذى على الشعب المرجانية والإسفنج والطحالب. وتتردد هذه السلاحف البحرية على شواطئ جزر فرسان لعمل حفر قد تصل إلى نحو المترين في الشواطئ الرملية لوضع البيض. وبينما تضع السلاحف الخضراء بيضها خلال الصيف فإن سلاحف منقار الصقر تتكاثر في بداية الربيع، وتضع بين ١٠٠و١٢٠ بيضة في الليلة، وبعد ثلاثة إلى عشرة


منظر خارجي لجانب من مسجد النجدي الأثري (البوق)


بيت الرفاعي أحد أشهر المعالم المعمارية في فرسان (البوق)


بوابة بجانب بيت الرفاعي، وتبدو روعة الفن المعماري (البوق)

أيام تعود لتضع المزيد من البيض، كل أنثى تضع مابين ٤٠٠ و٥٠٠ بيضة يشبه بيضها كرات تنس الطاولة، وتبقى الإناث في المنطقة من شهر إلى شهرين، ويترك البيض ليفقس بتأثير حرارة الرمال الشاطئية بعد نحو الشهرين، ثم تخرج الصغار وسط الرمل في مشهد مهيب كالأجداث التي تنتفض، وتخرج الأحياء من قبورها لتتجه إلى البحر، ولكن معظمها يذهب غذاء للنوارس والطيور الجوارح، ولا ينجو ليكبر ويتكاثر سوى ما يوازي ٥٪ من أعدادها، فما لا يذهب غذاء للضواري البرية يذهب غذاء للضواري البحرية.

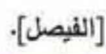
وفي شواطئ فرسان سجل حوت بريدي وهو أول مرة يسجل سابحاً في المياه المحيطة بجزر فرسان، إضافة إلى تسجيل عرائس البحر، وثلاثة أنواع من الدلافين تستخدم مناطق الحشائش البحرية حول الجزر.

جميع هذه الأنواع مسجلة في معاهدة المحافظة على الأنواع المهاجرة من الحيوانات (معاهدة بون) التي

فرَسانُ: بالفتح والتحريك، وآخره نون: من نـواحي فرَسان، ويقال: سواحل فرَسان، قال ابن الكلبي: مال عُنُقٌ من البحر إلى حضرموت وناحية أبيَنَ وعدَن ودهلكَ فاستطار ذلك العنق وطعن في تهائم اليمن في بلاد فرسان والحكمَ بن سعد العشيرة، وكل ذلك يقال له سواحل فرسان، قال ابن الكلبي: فرسان منهم من ينتسب إلى كنانة، ومنهم من ينتسب إلى تغلب، وفرسان قبيلة من تغلب كانوا قديماً نصارى، ولهم في جزائر فرسان كنائس قد خربت، وفيهم بأس، وقد تحاربهم بنو مُجيد، ويحملون التجارة إلى بلد الحبش، ولهم في السنة سفرة، وينضم إليهم كثير من الناس، ونسّاب حمير يقولون إنهم من حمير.

معجم البلدان، ياقوت الحموي

دار صادر - بيروت، ج٤ ص٢٥٠ (فرَسان)


[الفيصل].



صورة مقربة لغابات القندل الساحلية، وتبدو الجذور الهوائية في مقدمة الصورة (كوبيه - مكتبة المركز الوطني)

انضمت إليها المملكة كدولة طرف في عام ١٩٩١م.

وفي شواطئ فرسان سجل نـوعان من أصداف البحر (البطلينوس) التي كان يستخدمها الأهالي قديماً في طلي القوارب الخشبية بعد طحنها وعجنها، وتباع أحياناً في أسواق فرسان.

عمق تاريخي

ولكن هذا التنوع الطبيعي المذهل في الجزر الفرسانية يسير في خط متواز مع عراقة تاريخها والتنوع التاريخي والثقافي لأهلها، إذ توجد فيها مواقع تاريخية ترجع إلى أكثر من ألفي عام عندما اتصلت الجزر بالحضارة الحميرية، ومروراً بالحضارات اللاحقة حتى الوجود العثماني الذي تمثله قلعة الترك والوجود الألماني خلال الحرب العالمية الاولى الذي يمثله بيت الجرمل بوصفه شاهداً على الأهمية الإستراتيجية لأرخبيل فرسان. وهناك كتابات كثيرة تعطينا لمحات عن الحياة في فرسان في أزمان مختلفة. ففي الرحلة الاستكشافية الأولى للبحر الاحمر في عام ١٨٦٣م، قال فيها جاك كوستو في كتابه «البحر الحي»: إن منطقة جزر فرسان واحدة من أعظم المناطق البحرية الآسرة للألباب التي تم اكتشافها خلال البعثة الاستكشافية للبحر الأحمر». وزارها الرحالة الفرنسي هنري ديمونفرد في عام ١٩١٠م



طائر البجع الوردي الظهر المعشش في فرسان عائد قبل الغروب من البحر الى أعشاشه (سوستير - مكتبة المركز الوطني)

قادمًا من جزر دهلك على ظهر قارب خشبي متتبعًا تجارة اللؤلؤ، وكتب عن مشاهداته لآلاف القوارب الخشبية الصغيرة العاملة في تجارة اللؤلؤ النشيطة في أرخبيل فرسان، حيث كانت محاصيلها تباع في مصوع وعدن وبومباي، وكانت تدر سنويًا مايعادل مليوني باوند، وهو مايعد في ذلك التاريخ ثروة ضخمة تشهد عليها بعض بيوت تجار فرسان، التي مازالت شاهدًا حيًا على الفترة الذهبية للأرخبيل.

وقد كتب الأستاذ علوي الصافي في عام ١٩٦٥م مشاهداته خلال رحلة إلى فرسان، وذلك في العدد رقم «٢٠٥٥» من صحيفة البلاد، إذ أشار إلى نزوح معظم أهالي فرسان عنها لطلب العيش والعمل في الحجاز، ولم يبق في أطلال بيوتها سوى العواجيز من النساء، وبعض الشبان العاملين في سلك الوظائف الحكومية، وبعض صيادي الأسماك.

وأشار الأستاذ إبراهيم مفتاح في عام ١٩٧٩م في العدد رقم «٢٠» من مجلة الفيصل، إلى بداية إنشاء محطة تحلية المياه بفرسان وإنتاج الطاقة الكهربية ودراسة إنشاء جسر المعادي الذي يربط بين فرسان الكبرى وفرسان الصغرى «السقيد». والقائم حاليًا بطول نحو ١كم – وبعض الإشارات إلى الصناعات اليدوية، والرقصات الشعبية، كرقصة السيفي، والعرضة، والزيفة التي تشبه الدبكة، ورقصة الدانة الجماعية المميزة لأهالي فرسان. وفرسان التي تمتلك المقومات الجغرافية والطبيعية والتاريخية والتراثية لتكون قبلة للسياح بانتظار مشروع حكومي ضخم لاستثمار مقومات السياحة بما يحقق مفاهيم التنمية المستديمة، وتحويلها إلى أرخبيل سياحي أشبه بأرخبيل لنكاوي شمال غرب شبه الجزيرة الماليزية. وفرسان التي تزايد ونقص عدد سكانها تبعًا لنشاط تجارة اللؤلؤ واندثارها، يبلغ عدد سكانها حاليًا قرابة الخمسة عشر ألف نسمة. وإذا كنا ندرك الأهمية البيئية والإستراتيجية للجزر الفرسانية، فإن الثروة الحقيقية في فرسان هي قدرة الإنسان على تجاوز العقبات، وابتكاره أساليب عيش جديدة تتلاءم ومحيطه الحيوي، وتكفل الاستمرار لكل أشكال الحياة بزخمها الرائع، وإمكاناتها المذهلة لتوفير سبل عيش كريم في المستقبل.

الرفاعي واللؤلؤة العجيبة

وأستحضر في هذا السياق قصة شعبية شائعة في فرسان مرت على أحمد المنور الرفاعي أحد أشهر تجار اللؤلؤ في فرسان قبل نحو قرن من الزمان عندما كان يستقل سفينة مع رفاق له من تجار اللؤلؤ إلى الهند لبيع

محصولهم من جمع اللؤلؤ من الشواطئ الفرسانية، وكان لدى الرفاعي لؤلؤة عجيبة كبيرة الحجم يتوقع الجميع أن ثمنها سيعدل أثمان كل اللؤلؤ على السفينة، ومن شدة إعجابه بهذه اللؤلؤة كان يخرجها من منديل خاص ويتأملها في غرفته الخاصة على السفينة. وفي ذات يوم جاءه الخادم بالغداء، بينما كان يتأمل اللؤلؤة، ثم وضعها على طرف السفرة، وتناول غداءه، ثم خرج ليغسل يديه، فجاء الخادم، وحمل بواقي الطعام في السفرة، وكان معها اللؤلؤة وقذفها في البحر، وحين عاد الرفاعي إلى غرفته مسرعًا كاد يجن فقد فَقَدَ كل شيء، وكاد يصرخ، ولكنه كان حكيمًا إذ تحلى بالصبر وأخفى هذا الأمر عن رفاقه وبدأ يفكر في مخرج لهذا المأزق، إذ إن عودته خالي الوفاض أمر لايمكن تصوره، فاقترح على رفاقه أن يذهب واحد منهم بكل اللؤلؤ حين يصلون إلى شواطئ الهند لعرضه على تجار اللؤلؤ الهنود، ومن ثم فإن احتكاره لكل الكمية سيمنحه الفرصة لأثمان أعلى، واستقر الرفاق على أن يكون الرفاعي هو هذا الرجل. وسجل اللؤلؤ والأثمان المطلوبة من رفاقه، ثم خرج بالكمية كلها، وطلب أثمانًا مضاعفة، وحصل عليها، وحين عاد كان لديه ما يفوق أثمان اللؤلؤ جميعًا الذي لدى رفاقه في السفينة، والجميع كان يظن أن هذا ثمن اللؤلؤة العجيبة التي كانت عند الرفاعي، وما دروا أنها ثمن الفكرة والحكمة العميقة.

يعدّ منزل الرفاعي المدهش في جزيرة فرسان واحدًا من أشهر المعالم المعمارية المميزة للجزيرة، إضافة إلى مسجد النجدي. ولكن فرسان الفاتنة التي تُخفي أسرارها أكثر مما تُبدي يتمثل فيها قول الشاعر مسفر الغامدي في قصيدته «ثمة صوت»: «في صوت يديها / ما لا تفقهه الكلمات / في رحلة حرف من شفتيها / ما لا تدركه عينان / في قهقهة القدمين / إذا انحدرت من أعلى الغيم / إلى ظل رموشك / مالا يخطر في بال الشعر / وفي ذاكرة الأحلام».

السحر الفرساني المزنّر بالدهشة يحولّها من أرخبيل كان لك قبل أن تدلف إليه إلى أرخبيل صرت الآن له بعد أن ملأ حواسك بنبض الحياة.

المراجع

- تقرير حول الأهمية البيئية لأرخبيل فرسان، ١٤١٧هـ، هاني تطواني، الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها،الرياض.
- بيئات البحر الأحمر والخليج العربي، ١٩٩٠م، أحمد المنسي، الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، الرياض.
- فرسان جزائر اللؤلؤ، ١٩٧٠م، إبراهيم مفتاح ، مجلة الفيصل العدد ٢٠.
- فرسان، جزر الروائع والأحلام، ٢٠٠١م، إيرك بجور ستورم، ترجمة محمد الفقي، القافلة، المجلد ٥٠، مارس - إبريل ٢٠٠١م.
- فرسان الناس والبحر والتاريخ، إبراهيم مفتاح، منشورات نادي جازان الأدبي ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م - ط أولى.
- أدب الأشجار ومنافعها في جزر فرسان، ١٩٩٧م، إبراهيم مفتاح .
- فرسان «سلسلة هذه بلادنا»، إبراهيم مفتاح، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، المملكة العربية السعودية ، الرياض ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - ط ثانية.
- الجغرافيا الحيوية للمملكة العربية السعودية، ١٩٩٦م، عبدالله الوليعي، الرياض.
- المحميات الطبيعية في المملكة العربية السعودية، ١٩٩٦م، عبدالله الوليعي، الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وانمائها، الرياض.
- نظرية الصفائح التكتونية، ٢٠٠٠م، عادل مصطفى، عالم الفكر ، المجلد التاسع والعشرون، العدد الثاني، أكتوبر - ديسمبر، الكويت.
- ماذا تعرف عن فرسان: ١٩٦٥م، علوي الصافي، جريدة البلاد، العدد ٢٠٥٥ في ١٣٨٥/٧/١٢هـ.
- توزيع وانتشار الطيور البحرية المعششة صيفًا على جزر المملكة العربية السعودية في البحر الأحمر، ١٩٩٦م، عبدالله السحيباني، ستيفن نيوتن، محمد السلامة، حافظ يحيى، الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، الرياض.
- حنيا من الضوء، مسفر الغامدي، مخطوطة لديوان شعري حديث.

-The birds of Farasan islands .1990,H.Felemban,O.khushaim A.sambas. N.C.W.C.D. Riyadh.
- Status of the Gazelles of the Farasan Islands,Saudi Arabia .1988. par.J.R.B.Flamand, C.R . Thouless, H.Tatwany and J.F,asmode.mammalia,T.52.n4.
- Taxonomic status of the Farasan island. gazelle.1991.C.R.Thouless,and K.Albassri.J.zool.lond223,(151-159).
- Reproductive strategy of the Farasan Gazelle gazella Gazella farasani .1992.Khushal Habibi.Journal of Arid Environment 23. (351-353).
- Gazelle survay of the Farasan islands, 1997 . tim wacher, and Mohammed Altoum, N.C.W.C.D. Riyadh.
- The Farasan islands (Harid Festival) 1996. H . Tatwany , M.Alfaiz. T.chiffing, P.Fisher , W.Goldstone, C.Goldspink , R.Johannes N.C.W.C.D. Riyadh.
- Unique annual aggregation of the longnose parratfish (Hipposcarus. harid) at Farasan islands (Saudi Arabia , Red sea) . 1996 . Copeia2. 483-485.
- A checklist of the flora of Farasan islands , 1996 .Sheila Collenette . N.C.W.C.D. Riyadh.
- Farasan islands, N.C.W.C.D. protected arcas , 1998 , Sheila. Collenette . N.C.W.C.D. Riyadh.
- Flowers of Saudi arabia . 1999 . Sheila collentte . N.C.W.C.D. Riyadh.
-Technical report ; spring migration of birds on the Farasan. islandsin 1994 , Gerhard Nikolaus . N.C.W.C.D. Riyadh.
- Island paradise ; The Farasan archipelago nature reserve,1997. Khushal Habibi . Ahlan wasahlan Jornal . Saudi Arabia.
- First record of Asellio patrizii De Beaux, 1931 . (chiroptera: Hipposideridae) in Saudi Arabia ,1990 . P . moeschler , I.A . Nader. And P. Gaucher. Mammalia, t. 54. N.4
- Farasan islands (pearls of the Red Sea). 1999 . 45 min film , N W R C Taif . . N.C.W.C.D. Riyadh.

على هامش المؤتمر السنوي السابع لتعريب العلوم

أحمد محمد المعتوق
الظهران - السعودية

عقدت الجمعية المصرية لتعريب العلوم مؤتمرها السنوي السابع بدار الضيافة بجامعة عين شمس - بالقاهرة في الفترة من ١٢ - ١٤من ذي القعدة سنة ١٤٢١هـ - ٦ - ٨ فبراير/شباط عام ٢٠٠١م برعاية بعض كبار المسؤولين في الدولة، وحضور رئيس جامعة عين شمس، ورئيس جمعية تعريب العلوم أ.د. عبدالحافظ حلمي محمد.

وقد شارك في هذا المؤتمر بعض أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعدد كبير من الباحثين المتخصصين.

وقد تضمن المؤتمر، بالإضافة إلى جلسة الافتتاح والكلمات التي ألقيت فيها، سبع جلسات علمية، وحلقتي نقاش، قدم خلالها ما يقارب (٣٨) بحثاً، كان لأساتذة جامعة عين شمس منها نصيب الأسد، بينما كان معظم ما تبقى منها لأساتذة من الجامعات المصرية الأخرى. وقليل جداً منها لباحثين أو دارسين غير مصريين. وقد كانت هناك، بالإضافة إلى ما سبق ذكره، مناقشات علمية، ومداخلات ثرية، ساهم فيها بصورة أساسية رؤساء الجلسات، وعدد من المشاركين والحاضرين الذين وُفقت لأن أكون واحداً منهم.

المحاور العلمية الرئيسة في المؤتمر

استغرقت جلسات المؤتمر وحلقات النقاش الخاصة فيه ما يقارب ١٨ ساعة موزعة عليها بنحو متساوٍ تقريباً. وتناولت البحوث والمقالات والمناقشات التي قدمت فيها موضوعات مختلفة تتعلق بقضايا اللغة وتعليمها وتعلّمها، وأهميتها، وطرائق العناية بها وتنميتها والحفاظ عليها، بالإضافة إلى قضايا التعريب عامة، وتعريب التعليم، والعلوم بنحو خاص، إذ حظيت هذه القضية الأخيرة باهتمام كثير من المشاركين، واحتلت مناقشاتها والبحوث التي قدمت فيها - كما هو مفترض أو متوقع - المساحة الزمنية الكبرى من المؤتمر وجلساته. وقدم فيها من الأعمال ما يزيد على العشرين مادة، بين بحث وورقة عمل. ويمكن اختصار المحاور التي دار حولها البحث والنقاش في المؤتمر عامة على النحو الآتي:

تعلم الأجنبية والتعليم بها وآثار ذلك في العربية

تناولت حلقة النقاش الأولى التي أعقبت أعمال الافتتاح مشكلات تعليم اللغة الأجنبية والتعلم بها في مدارس اللغات والمدارس الخاصة والحكومية، والتعليم باللغة الأجنبية في الصغر، وما ينتج من كل ذلك من

آثار أو مخاطر، ثم الإجراءات التي يمكن اتخاذها لتنظيم هذا التعليم وتوجيهه ليصبح إيجابيا بنّاءً مثمراً.. بينما ناقشت بحوث الجلسة العلمية الأولى في اليوم الأول نفسه محورين أساسيين بينهما ترابط وثيق، «تأثير التدريس باللغات الأجنبية على الأداء في اللغة القومية في مرحلة التعليم الأساسي»، ثم «تعليم اللغة العربية لغير المتخصصين» وما يمكن أن يحقق من الكفاءة في تعلمها والتمكن منها؛ ليمتنع تأثرها بالأجنبية.

مكانة العربية ووسائل الارتقاء بها

قدمت بحوث هذا المحور بنحو متفرق، ضمن عدد من جلسات المؤتمر، وكان أولها بحثا بعنوان: «اللغة العربية.. أمجاد الماضي وآمال المستقبل». ثم بحثا حول «اللغة العربية ودورها في تدعيم الوحدة العربية»، وبحثا آخر قريبا من هذا السياق عن «معنى الاهتمام باللغة العربية»، وبحثا رابعا يدعم القول بعراقتها التاريخية، ودورها في عمليات التطوير الفكري والحضاري، ويدفع إلى المزيد من الاعتزاز بها جاء بعنوان: «لغة الكتابة في نصوص البرديات العربية». وثمة بحث خامس جاء ضمن الإطار والهدف نفسهما بعنوان: «عالمية الحرف العربي». وأخيراً ورقة عمل ترمي إلى تطوير اللغة وإعدادها لمسايرة مستجدات العصر وردت بعنوان: «تأهيل اللغة العربية للتصدي لطوفان المعلومات والعولمة».

قضايا التعريب

لقد أوليت عناية خاصة في المؤتمر بقضايا التعريب، بنحو يظهر ارتباط عنوان المؤتمر بمضمونه وأهدافه الأساسية. وقد جاءت الموضوعات المتعلقة بالتعريب ضمن ثلاثة محاور فرعية أساسية مترابطة متداخلة مكملة بعضها بعضا على الرغم مما يوجد بينها من الاستقلال من حيث التحديد والشمول، أو العموم والخصوص، ومن حيث المفهوم في إطاره الدقيق. وهذه المحاور الفرعية هي:

- التعريب وتعريب التعليم: تناولت بحوث المؤتمر وأعماله عدداً من الجوانب المتعلقة بقضايا التعريب في مفهومه العام، وتعريب التعليم بوصفه موضوعاً أساسياً وثيق الصلة بتعريب العلوم، وقاعدةً أو منطلقاً رئيساً للحديث عن ضرورة تطويره ومعالجة قضاياه؛ فقد قُدّم في الجلسة العلمية الخامسة بحثان: أحدهما حول «معوقات التعريب»، والثاني حول «التعريب وثلاثية التنمية». كما قُدّم في الجلسة السادسة بحثان آخران: أحدهما بعنوان: «تنمية التعريب وتعريب التنمية»، والآخر بعنوان «التعريب وأثره في التنمية». وقد طُرح ضمن ما قُدّم في الجلسة الثالثة من الأعمال مقالٌ أشد ارتباطاً بالقضايا المستجدة الحاضرة بعنوان: «التعريب والعولمة». وكانت فكرة العولمة وارتباطها بتعريب التعليم



المعتوق يلقي كلمته في المؤتمر

موضوعاً لبحثين آخرين: قُدّم أحدهما في الجلسة الرابعة، والآخر في السابعة. بينما كانت فكرة الربط بين التعريب في إطاره العام، وبين الاستقرار السلوكي والنفسي للأمة الهاجس الأساسي في عمل قُدم في الجلسة الثانية بعنوان: «التمسك باستخدام اللغة العربية كوسيلة لتحقيق السواء النفسي».

- تعريب العلوم: عقدت جلسة خاصة لمناقشة «الجدوى الاقتصادية لمنظومة تعريب العلوم» قدمت خلالها مجموعة من البحوث، ناقشت ما يتعلق بالتكاليف والعوائد لمنظومة تعريب العلوم. كما نوقشت قضية تعريب العلوم من زوايا مختلفة في جلسات علمية

أخرى متفرقة، كان منها بحثٌ قدّم في الجلسة الرابعة يدعو إلى «الاستفادة من المشاركة في مؤتمرات تعريب العلوم». وبحث آخر قُدّم في الجلسة السادسة بعنوان: «قضية تعريب العلوم: الكفاءة والتشريع»، يتحدث عن ضرورة تعريب العلوم، وعن اللغة العربية وضرورة التعامل بها على المستوى العربي عامة، وفي مختلف المجالات كأساس للتنمية القومية الشاملة، والأساس لإطار تكامل اقتصادي عربي.

وقد طُرحت بالإضافة إلى ما سبق ذكره، بحوث ربطت بنحو ظاهر مباشر بين تعريب العلوم والتعليم بمختلف مستوياته، والتعليم الجامعي بالدرجة الأولى، منها بحث جاء بعنوان: «تعريب العلوم كأحد المحاور الرئيسة في التعليم عن بعد»، قدم في الجلسة الثانية.

تعريب لغة تدريس العلوم في الوطن العربي عنصر جوهري في منظومة تنميتها البشرية والقومية

وبحث آخر قدم في الجلسة الخامسة مرتبط بما دار في حلقة النقاش الخاصة بـ «الجدوى الاقتصادية لمنظومة تعريب العلوم»، عنوانه: «اقتصاديات تعريب العلوم وإمكانية تفعيل دور الجامعة في تكوين البشر لتحقيق التنمية القومية».

يضاف هذا إلى ما قُدّم من أبحاث نظرية وميدانية ومشروعات عملية متعلقة بتعريب العلوم وتعليمها عامة، أو تعريب وتعليم علوم أو تخصصات بعينها، كالبحث الذي قدم في الجلسة الثانية بعنوان: «كفاية المراجع الطبية العربية لبدء تعريب الطب في الوطن العربي». والمشروع الذي تم عرضه في الجلسة الثالثة تحت عنوان: «برنامج مبتكر لمعالجة النصوص الرياضية العربية»، وكذلك الذي طرح في الجلسة الخامسة تحت عنوان: «نحو رؤية لقضية الرقم والرمز». وأخيراً ما قدم في الجلسة السابعة بعنوان: «حزمة برامج لتعليم الفيزياء العربية».

توصيات المؤتمر

لقد أكد المؤتمرون ما سبق لهم أن أكدوه في مؤتمراتهم السابقة من أن تعريب لغة تدريس العلوم في بلاد الوطن العربي عنصر جوهري في منظومة تنميتها البشرية والقومية، وخطوة أساسية في تأصيل العلم والأسلوب العلمي في التفكير والسلوك، وتنمية ملكة الابتكار والإبداع. كما ناشدوا وزراء التربية والتعليم في مختلف البلدان العربية بأن تكون العربية هي اللغة الوحيدة التي يتم بها تدريس المواد العلمية في جميع مراحل التعليم قبل الجامعي، وألا يشرع في تعليم التلاميذ لغة أجنبية إلا بعد تمكنهم من لغتهم العربية القومية.

وكان من بين ما أوصى به المؤتمرون أن تكون السيادة للغة العربية في مختلف وجوه النشر العلمي، وفي المؤتمرات التي تعقد بالبلاد العربية، وأن تقبل البحوث المنشورة باللغة العربية بين الإنتاج العلمي الأصيل لأعضاء هيئة التدريس المتقدمين للترقية، وأن يتم إنشاء لجنة للتعريب والترجمة والتأليف الجامعي في كل كلية جامعية أو معهد بحثي. وأوصوا كذلك بضرورة التزام كتابة الإعلانات الرسمية، سواء الحكومية منها أو الصادرة عن هيئات وشركات قومية، ونشرها وإذاعتها بلغة عربية صحيحة. كما دعوا إلى حظر أن تتضمن إعلانات الوظائف كسباً متميزاً لخريجي أقسام اللغات في الجامعات، أو خريجي مدارس اللغات، واقترحوا الاستعاضة عن ذلك، إن لزم الأمر، بامتحان في اللغة الأجنبية المطلوبة.

وقد أهاب المؤتمرون بالأفراد المهتمين بقضية التعريب أن يضاعفوا جهودهم لتحقيق رسالتهم، وأكدوا أن البدء الفعلي بتعريب تدريس لغة العلم سيذلل العقبات. كما تواصوا بأن يعمل كل منهم، في حدود إمكاناته الشخصية، أو مسؤولياته المباشرة، على تحقيق أي قدر مستطاع من التعريب فيما يدرِّس أو يكتب من مواد علمية، وعلى الدعوة لتعريب تدريس العلوم بالإقناع الموضوعي، وتفنيد الاعتراضات التي تثار ضده، كما تواصى المؤتمرون باستخدام اللغة العربية الصحيحة في أعمالهم وحوارهم وتدريسهم، مؤكدين أن تعريب العلوم شرط أساسي في توطين العلم والتقنيات لدفع الاقتصاد الوطني إلى الأمام، كما أنه عنصر ضروري في تفعيل آليات التنمية في المجتمع.

ملاحظات نقدية

ربما كان من الصعب أن تقيم أعمال مؤتمر شارك فيه نخبة من أجل علماء اللغة وأساتذتها العرب المعاصرين، ممن ذكرتهم في مقدمة هذا المقال، والذين قد أعدّ، على ما قدمته من أعمال في مجال خدمة لغة القرآن، غريباً بينهم، بعيداً عن مجال علمهم، لغلبة اهتمامي بالشعر والأدب والنقد، ونسبتي إلى المتخصصين فيها. ولذلك فليسمح لي أولئك الأساتذة والقراء معاً بأن أدلي بدلوي الصغير، وأعبر عن بعض ما وجدت له صدى في نفسي، آملاً أن يكون في ذلك بعض ما يمتع أو ينتفع به.

لا شك أن أعمال هذا المؤتمر كانت في معظمها، أو في كثير منها، موفقة، وباعثة على الاعتزاز والتفاؤل، ومؤكدة أن لغتنا مازالت تنعم بخير، لها سدنتها الصامدون الساهرون على حمايتها، القادرون على رعايتها وتنميتها وإبراز إمكاناتها، وترسيخ الإيمان بثراء طاقاتها وقدرتها على المقاومة والصمود، وعلى النمو والاستيعاب والانتشار، والتعبير عن كل مستجدات الحياة ومستحدثات العصر في وقت تشهد فيه لغتنا صراعاً مضنياً خطيراً، وحملات غزو متواصلة ترمي إلى التهجين المشوه والمسخ، وإحداث كل ما يمكن أن يؤدي إلى زعزعة الفكر العربي واضطرابه.

ولا شك - أيضاً - أن فيما قدم من أعمال في هذا المؤتمر، من البحوث والمشاركات والتوصيات ما يستحق الكثير من التقدير والاهتمام، لما تضمنه من خطط ومقترحات ومرئيات جديدة مثمرة، وأفكار ثرية قيمة حول اقتصاديات التعريب بين التكلفة والعائد، وحول تدريس اللغة العربية، وتدريس اللغة الأجنبية، أو التدريس بها في المدارس التجريبية في المراحل الدراسية قبل الجامعية، وما يترتب على هذا التدريس من مشكلات وآثار سلبية في اللغة العربية، وفي نواحي الإبداع والإنتاج الفكري فيها، وبحث الطرائق والآليات التي تمنع من وقوع هذه الآثار، ثم حول تعريب العلوم: بواعثه، مهيئاته، خططه وطرائقه، وفوائده وآثاره في مجالات التعليم، وفي تنمية الوعي "القومي"؛ وتنمية الاهتمامات الفكرية والطاقات الإبداعية والتنمية بمختلف أشكالها ومجالاتها الإيجابية الأخرى.

علاوة على ما اشتملت عليه هذه الأعمال والمشاركات من مشاريع مستقبلية حيوية، وبرامج وآليات فاعلة، تتعلق بتعريب الطب والفيزياء والرياضيات، أو باستخدام الأرقام العربية. وما تضمنه بعضها من ربط بين التعريب وقضايا الترجمة، وبين التعريب والتعليم والعولمة، وبحث ما يجب اتخاذه من خطط وطرائق لحماية لغتنا العربية، وثقافتنا الفكرية، وحضارتنا الأصيلة من الذوبان في الحضارات المهيمنة.

فهذه البحوث والأعمال والمشروعات تتضمن الكثير من الأفكار الجديدة المتطورة البناءة المثمرة التي تستحق الكثير من التقدير وتبعث على الاعتزاز، لما يمكن أن يكون لها من آثار إيجابية في حياتنا اللغوية، وفي عدد من مجالات حياتنا الفكرية والثقافية؛ هذا إذا ما أحسن استثمارها والاستفادة منها. والكثير من هذه البحوث والمشروعات يمكن أن يضم بلا شك من حيث فاعليته وقابلية تأثيره الإيجابي في حياتنا اللغوية والفكرية إلى مجموعة البحوث القيمة التي نتجت من مؤتمرات التعريب السابقة التي رعتها الجمعية المصرية لتعريب العلوم، وإلى تلك البرامج والمشروعات الحيوية المثمرة التي ينتجها مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بفروعه المختلفة.

> **اللغة وعاء الفكر، والفكر عنوان الحضارة، والحضارة هي وسيلة إثبات الوجود، وتحقيق الهوية**

إن النتائج العلمية التي أشارت إليها توصيات المؤتمر في صورتها السابقة الذكر تؤكد في واقع الأمر احتياج كثير من المؤسسات التعليمية والثقافية والإعلامية في الدول العربية كافة إلى النظر الجاد في الأبحاث والدراسات والأعمال التي قُدِّمت وتقدم في هذا المؤتمر، ولاسيما الجامعات والكليات والمعاهد والأقسام العلمية العربية التي تمارس تدريس مقرراتها العلمية بالأجنبية، وتسعى جادة صادقة إلى التحول عنها إلى العربية، وكذلك المدارس الخاصة التي تطمح إلى تقديم خدمة

خالصة للمجتمع والأمة ودينها وتراثها، ثم المؤسسات التجارية التي ترمي إلى كسب مادي ومعنوي مشترك لها ولأمتها، وخاصة تلك المؤسسات التي تهتم بتصنيع برامج الحاسب الآلي العلمية والتعليمية ونشرها. هذه المؤسسات وغيرها من التي تسعى بالفعل إلى المشاركة في تحقيق الاستقرار والتطوير الفكري والاستقلال والتأصيل الحضاري للأمة، إذ لا يمكن أن يتم هذا التطوير والاستقرار والاستقلال والتأصيل إلا بتحقيق الهوية اللغوية، والعمل الدائم على دعم هذه الهوية وتثبيتها وتأصيلها.

وأعتقد أن مؤسساتنا التعليمية والإعلامية الوطنية في معظمها محتاجة هي الأخرى إلى النظر والتأمل في النتائج العلمية التي توصل إليها المؤتمرون، والسعي إلى الاستفادة من البحوث المذكورة، والتواصل مع جمعية تعريب العلوم من أجل متابعة ما يستجد من آراء ومقترحات عملية في مجالات التعريب والترجمة، ووضع المصطلحات العلمية، وتعريب برامج الحاسب الآلي المتعلقة بمجالات العلوم التطبيقية، والمشاركة في تطوير المدارس التجريبية الخاصة، مادامت هذه المؤسسات تسعى بالفعل إلى خدمة لغة القرآن والدين والتراث، ودعم كل ما يحقق التطوير الفكري والحضاري والتوحد الاجتماعي، ويقلل من أخطار التبعية والتذبذب والصراع الثقافي الذي نخشى أن يؤثر في نشئنا من جراء ازدواجية اللغة، وازدواجية الفكر.

على الرغم من كل ما سبق بيانه وشرحه من إيجابيات لأعمال المؤتمر وبحوثه، وعلى الرغم من ذلك الإحساس العميق بالنوايا الحسنة، والحماسة الصادقة التي أبداها المؤتمرون جميعهم للغة ولتراثها والتوجه الجاد المخلص نحو خدمتها وخدمة قضاياها بروح يملؤها الإصرار والتفاؤل، على الرغم من ذلك كله، فإنه لا يمنع من أن نذكر بعض الملاحظات التي لا نقصد بها سوى المشاركة في دعم الجهود الخيرة التي أشرفت على الإعداد لهذا المؤتمر، وأن نبدي بإيجاز وتواضع تامين ما يمكن أن يبعث على المزيد من التطوير، أو يحقق المزيد من الفائدة من هذا المؤتمر في سنواته وحلقاته القادمة بإذن الله تعالى:

- لا بد من الاعتراف بأن بحوث المؤتمر ومشاركاته لم تتسع لكل ما يرتبط بأساسيات التعريب كمحور يفترض أن يكون الرئيس أو المهيمن على هذه الفعاليات والبحوث، وإن عالجت هذه البحوث والمشاركات عدداً من قضايا التعريب المهمة البارزة.

الاستناد إلى خطط وإستراتيجيات ومقترحات ونتائج وأفكار مستمدة - في غالبها - من دراسات حديثة سابقة، لا يجدي كثيراً ما لم تصبح كل العناصر المستمدة قواعد لمنطلقات إبداعية فكرية جديدة

الحديث عن الترجمة وآلياتها ومؤسساتها وطرائقها وأساليبها وسبل تطويرها، وعن المصطلحات العلمية العربية وأساليب وضعها وتصنيفها وتنميطها ونشرها وتطبيق استخدامها، وعن المعجمات اللغوية العلمية والسياقية وطرائق تحديثها وتطويرها وتفعيلها، وتعميم الاستفادة منها، وعن المكانز اللغوية، وقواعد البيانات العربية الأساسية اللازمة لعمليات التعريب، وأخيراً عن علاقة التعريب بالسياسات القائمة، ومجالات المشاركة، والتدخل الإيجابي لتسهيلها وتهيئة سبلها.. هذه كلها موضوعات جوهرية لا بد من إدخالها، وبشكل أساسي بارز، في إطار الحديث عن قضايا التعريب وآلياته. وقد كان الحديث عن كل هذه الموضوعات في الحقيقة ضمنياً، وحتى موضوع الترجمة لم يقدم عنه إلا بحث مستقل واحد فقط، تحدث صاحبه عن تجارب الترجمة القديمة إلى العربية ومنها، دون أن يستوعب بحثه كل ما يجب وضعه لها من خطط وأصول ومقترحات تلبي حاجة العصر، وتكفي لأن تكون مرتكزاً لتعريب العلوم.

كان المتوقع أن تخصص لموضوع الترجمة ولبقية الموضوعات أو الأساسيات المذكورة جلسات خاصة في المؤتمر، وتُعدّ في كل منها بحوث تناقش مشكلاتها، وتتلمس الحلول لهذه المشكلات، لأن عمليات التعريب على اختلافها ترتكز عليها. ولا يمكن أن يُتصوّر وجود

التعريب بمختلف أشكاله بمعزل عنها، ولا يمكن تحقيقه على النحو الذي نصبو إليه من دون بحثها بنحو دقيق متكامل يتناول جميع إشكالياتها وملابساتها وارتباطاتها على المستوى الإقليمي والعربي.

ـ أغفلت أعمال المؤتمر ومشاركاته الجوانب المتعلقة بتنمية المحصول اللغوي كأساس لعمليات التعريب، أو لم تعطها حقها من البحث والطرح والمناقشة بأن تخصص لها بعض الجلسات أو الحلقات.



الكاتب مع مجموعة من المشاركين في جلسة من جلسات المؤتمر

إن التعريب بجميع أشكاله وأنماطه وموضوعاته قائم بالدرجة الأولى على استعمال المفردة العربية محل المفردة الأجنبية، ومن هنا تنشأ ضرورة توفير الذخيرة الوافية من المفردات اللغوية التي تعين على القيام بمهام التعريب، وهذه الذخيرة لا تتعلق بالمصطلحات العلمية العربية فحسب، وإنما تشمل جميع مفردات اللغة وصيغها وتراكيبها وأساليبها، فلابد لناقل العلوم أو المتحدث عنها من حصيلة لغوية واسعة ممتدة متنوعة متكاثرة، ومن ملكة بيانية تمكنه من التعبير بمرونة وحرية ووفاء عما يستوعبه ويهضمه وينقله من أفكار ومعارف علمية، إذ إن المصطلحات وحدها لاتكفيه، والترجمة الحرفية التي يُعتمد فيها على النظر المباشر في معجم اللغة في معظمها قاصرة لا تفي بالغرض، وهكذا يصبح من الضروري أن تبحث القضايا المتعلقة بتنمية المحصول اللغوي العام والخاص، وبمصادر تنمية هذا المحصول، وبوسائله وطرائق تهيئته وتطويره كإحدى الدعائم التي ترتكز عليها مهام التعريب، الترجمة بأشكالها المختلفة.

ـ على الرغم من أن البحوث والمشاركات كلها كانت تدور في جوهر مضمونها وهدفها حول اللغة العربية الفصحى ـ لغة القرآن والدين والتراث والفكر والحضارة المرتبطة بمصير الأمة، وأنها كلها تدعو إلى تأصيل هذه اللغة، وإلى حمايتها وتنميتها وتطويرها كرابط ديني وفكري واجتماعي أساسي لحياة الأمة ومجدها وسؤددها... وعلى الرغم من توصية المؤتمرين باستعمالها في مختلف مجالات الحياة، ومناشدتهم للجهات المسؤولة وللدوائر والمؤسسات العلمية والإعلامية والثقافية لاحترامها والسعي إلى دعمها، وعلى الرغم من ذلك كله فقد كانت هناك حوارات ومناقشات تجري في بعض جلسات المؤتمر، وعلى منبره باللهجة العامية المصرية الدارجة، ولمدد ليست بالقصيرة، بل إن بعض المشاركين ورؤساء الجلسات أنفسهم كانوا يلقون أو يشرحون ويعلقون بهذه اللهجة، حتى لقد تحدث رئيس لجلسة من جلسات المؤتمر مدة غير قصيرة، بحماسة منقطعة النظير مدافعاً عن اللغة العربية «لغة الأمة والدين والتراث» داعياً إلى الالتزام بها وصونها والحفاظ عليها، وكان حديثه كله باللهجة المصرية الصرف، إلى درجة أن استنكر أحد الداخلين من الحاضرين بعدها هذا الصنيع، وشجب ذلك التناقض بنبرة مستهجنة ساخرة قائلاً: «هل عجزنا عن أن نقول: هذه وكيف، وليس.. بدلاً من: دوت، إزاي، مهواش،..».

إن الحاضرين ليسوا من عامة الجمهور، لنحتج بعدم فهمهم للفصحى الخالصة الصافية، مع أن العامة يمكن إفهامهم بالفصحى المبسطة أو المخففة أيضاً. فكيف والمشاركون في المؤتمر والحاضرون كلهم في مستوى من الثقافة والمعرفة لا يحتاجون معه إلى التخاطب بالعامية، إذ إن معظمهم من أساتذة اللغة أو المتخصصين في مجالاتها، ومن المثقفين الذين لا

يصعب عليهم التفاهم بالفصحى العالية، فضلاً عن الفصحى الوسطى المبسطة.

ومن المفارقات الطريفة أن بعض الباحثين أشار ضمن حديث له عن مسيرة اللغة العربية عبر العصور، وضمن إطار مسيرتها في العصر الحاضر بالذات، إلى إخفاق الدعوة إلى العامية، لعدم قيام هذه الدعوة على أسس عقلانية رصينة، ولثبوت إخفاق العامية نفسها وعجزها عن تحقيق التواصل الفكري والقومي والاجتماعي، وعن التعبير الصادق المشترك عن قضايا الأمة وعن أحاسيسها وآمالها!! كما أن من المفارقات أن يكون شعار المؤتمر نابعاً من منطلق قرآني وهو قوله تعالى: *كَبُرَ مَقْتاً عند الله أنْ تقولوا ما لا تفعلون*. **الصف:٣**.

هذا يجسّد ما يُفتَرض البعدُ عنه في مثل هذه المحافل أو المواقف من التناقض بين القول والفعل، ومن ازدواج الشخصية.

لا يمكن أن يُتصوَّر وجود التعريب بمختلف أشكاله بمعزل عن الترجمة، ولا يمكن تحقيقه على النحو الذي نصبو إليه من دون بحثها بنحو دقيق متكامل يتناول جميع إشكالياتها وملابساتها وارتباطاتها على المستوى الإقليمي والعربي

وإذا كان مثل هذا التعامل مع اللغة يحدث بين أهل اللغة الفصحى وعلمائها ومن يعدّون القدوة في صيانة الفصحى والدفاع عنها، فماذا يقال لمدرسي المدارس، وطلاب الجامعات والصحفيين وعامة الناس؟ وأخيراً فإن هذا التذبذب اللغوي، وهذا التحيّز أو تنوع اللهجات هو من جملة ما يحتج به دعاة التغريب، ومن بين ما يُردّ به على دعاة التعريب فلا تؤخذ أقوالهم ودعواتهم مأخذ الجدّ، فبأي لغة أو لهجة سيكون التعريب الذي يدعون إليه؟!

لأنْ يستعمل المتحدث في مثل هذه المناسبة، وهذا الظرف، اللغة العربية الفصحى جريحاً، يلحن فيها أو يخطئ؛ خير من أن يستعمل لهجة عامية دارجة مملوءة بالتحريف والخلط والانحراف؛ إذ لا يرجح أو يتوقع أن يصل الخطأ واللحن في استعمال الفصحى من المتحدثين هنا إلى مستوى انحرافات العامية الصرف وتجاوزاتها.

- لا يُؤاخذ القائمون على الإعداد للمؤتمر والتنسيق له - بطبيعة الحال - على تغيب عدد من الباحثين المشاركين، إلا أنه ينظر إليهم في تساؤل محيّر عن قلة الحضور من المستمعين، فقد وصل الأمر في بعض الجلسات إلى حد لا نجد فيه من الحضور إلا عدداً يسيراً لا يزيد كثيراً على عدد الباحثين والمعلقين في الجلسة نفسها. وأغلبهم من الشيوخ وبعض الممثلين الرسميين. أما بالنسبة إلى الحضور على المستوى العربي فهو أكثر قلة، هذا على كثرة البحوث والأعمال المقدمة، وثراء عدد منها.. وقد شكا بعض الحاضرين بالفعل من عدم إشعارهم المبكّر بالمؤتمر، وبتفاصيل أعماله وجدوله الزمني، وتوجهوا باللائمة إلى المسؤولين عن تنظيمه والإعداد له على تقصيرهم في الإعلان عنه أو محدودية هذا الإعلان، محلياً أو عربياً ودولياً.

إن هذا في الحقيقة تقصير من القائمين على الإعداد للمؤتمر بالفعل، ولكنهم لا يؤاخذون كثيراً عليه، لما يعانونه من نقص في الدعم المالي المطلوب، ولكنهم يدعون - بلا شك - إلى المبادرة في بحث أسباب هذا التقصير، والنظر في إمكانية تلافيه أو تحديده، أو تحديد آثاره في المستقبل، والبحث عن كل ما يمكن أن يجعل المشاركة أرحب، وأكثر إيجابية، فمعلوم أن للحضور الواسع أو المشاركة في أعمال المؤتمر وفعالياته، ولا سيما على المستوى العربي عامة، أهمية كبيرة في إغناء التجربة والحوار، واتساع حلقات الفكر والبحث، وأخيراً في تلمس الحلول للمشكلات المشتركة في تعليم اللغة وتعلّمها، وفي صراعها مع الأجنبية، ومشكلات التعريب بكل ما يتعلق به من قضايا وموضوعات وملابسات. إذ الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية متشابهة، والملابسات متقاربة، والهدف مشترك.

وجدير بنا، ونحن نتحدث أو نشير إلى ضرورة تبادل الخبرات، وأهمية الاشتراك في بحث قضايا اللغة ومسائل التعريب، أن نؤكد أهمية التعاون الوثيق في هذا

المجال بين الجمعية المصرية لتعريب العلوم ومكتب تنسيق التعريب بالرباط وفروعه المتعددة في الوطن العربي، وعلى ضرورة الاشتراك في المؤتمرات والندوات أو اللقاءات التي يعقدها كل من الجانبين، والسعي إلى تبادل التنسيق والتخطيط والتمثيل على المستوى الرفيع بينهما، وتبادل الخبرات والتجارب، ففي ذلك توحيدٌ للجهود، وتأكيدٌ للرغبة في التواصل الفكري والثقافي، وتجسيد للوحدة القومية التي ننشدها من وراء بحث قضايا التعريب وحل مشكلاته. إن التوحد والاندماج بين الجهتين، وتقاسم المسؤوليات بينهما، وتجنيد الطاقات والإمكانات المتاحة لدى كل جهة، توفر كثيراً من العناء، وتختصر المسافات، وتعين على تحقيق الهدف المنشود على مستوى أفضل.

- لا بد لنا من الاعتراف أيضاً بأن بعض أعمال هذا المؤتمر اتسم بنوع من الشكلية في طرحه أو محتواه، مما لم يكن ليرقى بنحو عام إلى مستوى المؤتمر، ومقام المشاركين فيه، والجهود التي بذلت في عقده والإعداد له، ولا للأهداف التي انعقد من أجلها.

لم تخلُ بعض المشاركات والأعمال المقدمة في المؤتمر - في واقع الأمر - من تلك النداءات الحماسية، والخطب الرنانة، والعبارات الإنشائية التي اعتدنا سماعها في عدد من مؤتمراتنا، والأفكار المعادة، ومشاعر الحزن والأسى على الوضع الذي آلت إليه العربية، والأصوات التي تتأرجح بين التفاؤل والتشاؤم، بين الزهو والاستسلام، بين الهجوم والانهزام، بين التزمت أو المحافظة المغالية والانفتاح المفرط، وذلك الدوران اللغوي حول النفس، وهذه وأشباهها مما لا يشعر معها السامع بحدوث تطور جديد في الوضع أو الموقف، ولا يُشعر بأن هناك خططاً أو (إستراتيجيات) محكمة طموحة شامخة فاعلة يمكن أن تتجاوز المألوف، وتعمل على تغيير الواقع اللغوي الذي كثر التبرم منه، وتحيي الأمل الذي كثر التباكي عليه.

الحديث عن أهمية اللغة العربية وعن ثرائها، وعن اهتمام الأمم المتحضرة بلغاتها، وواجب العرب نحو لغتهم بوصفها لغة دين وتراث، ورابطاً قومياً يوحّد بين أفراد الأمة وطوائفها، والكلام على ضرورة التعريب وحيثياته ومسوغاته والدوافع الباعثة عليه.. هذه موضوعات ومحاور قديمة، ليس من ورائها طائل ما لم يكن في طرحها جديد، خصوصاً أمام فئة من المتخصصين المدركين لها حق الإدراك. فهي بمنزلة بضاعة جاء بعضهم لبيعها أو يردها على أصحابها ومنتجيها.

تكرار مثل هذه الأفكار والعبارات والشعارات، والتوجه بالاستغاثة والتنادي لخدمة اللغة والحفاظ عليها والعمل على كذا وكذا من أجل خدمتها أمام فئة من المتخصصين العارفين الذين وفدوا واجتمعوا أصلاً لهذا الغرض، كمثل التوجه لجماعة من المصلين في مسجد - على حد تعبير أحد الداخلين المنتقدين - بالدعوة إلى الصلاة! (ما الجدوى من أن ندعو إلى الصلاة أناساً جاؤوا إلى المسجد في الأصل ليصلوا، وها هم أولاء

التعريب بجميع أشكاله وأنماطه وموضوعاته قائم بالدرجة الأولى على استعمال المفردة العربية محل المفردة الأجنبية، ومن هنا تنشأ ضرورة توفير الذخيرة الوافية من المفردات اللغوية التي تعين على القيام بمهام التعريب

بالفعل يصلون، لماذا لا نتوجه بهذه الدعوة إلى أولئك الذين لا يصلون؟!).

والقول بأن الأمم بثقافاتها، وأن اللغة هي المكون الأساسي للثقافة، لذلك وجب على العرب الحفاظ على لغتهم وصيانتها وتنميتها أسوة بما فعلته اليابان والصين وغيرهما من الأمم، وتكرار الحديث عما يفعل المستعمر بلغة من يستعمرهم، وما فعله المستعمرون في الجزائر والمغرب وغيرهما من أجل إضعاف لغتنا، وما الذي يجب أن نتخذه حيال هذا الضعف للحفاظ على شرف الأمة وصيانة الدين والتراث وأمجاد الأجداد؟

ثمة ذلك السرد التاريخي الطويل الممل عن تاريخ العربية وما واجهته من تحديات وصراعات عبر العصور، وما ثبت من قدرتها على تخطي العقبات والصعوبات في صراعها مع اللغات الأخرى، وعلى استيعاب المستجدات الحضارية التي مرت بها عبر

تاريخها الطويل. وما صنعه علماؤها من أعمال، وما بذلوه من جهود في الحفاظ عليها وفي تنميتها.

هذه كلها عبارات ومضمونات قديمة مستهلكة، لا يحتاج الباحث أو المتحدث في مثل هذا المؤتمر إلى سردها وتكرارها، ولا حتى على سبيل التقديم أو التمهيد، إلا أن يأتي بجديد فيها، أو يتجاوزها إلى الدخول في الموضوع، والتوجه لتحليل القضية ومعالجتها في إطار رصين مباشر، ودون مقدمات أو ديباجات ليس وراءها في الأعم الأغلب إلا تكثير الورق، واستهلاك الوقت والجهد، يتجاوز هذه إلى طرح خطط وأفكار حديثة مثمرة، مستمدة من الواقع الفعلي الجديد، والظروف الراهنة التي تحيط باللغة وبالحياة المرتبطة بها، ومستندة إلى تجارب عملية متفاعلة مع

لا جدوى من الزهو بماضٍ لم نحققه نحن، من دون أن نسعى بالفعل والحركة إلى تحقيق حاضر ومستقبل يُضمّان إلى الماضي الذي نعتزّ به

معطيات العصر ومستجداته. فنحن لا نحتاج إلى أن نتباكى على الماضي، ونحزن أو يستصرخ بعضنا بعضاً في أسى ولوعة دون أن نبرح مكاننا، كما أننا لا نحتاج إلى نفش الريش والزهو بماض لم نحققه نحن، من دون أن نسعى بالفعل والحركة إلى تحقيق حاضر ومستقبل يضم إلى ذلك الماضي الذي نعتز به.

الاستناد كذلك إلى خطط وإستراتيجيات ومقترحات ونتائج وأفكار مستمدة - في غالبها - من دراسات حديثة سابقة، لا يجدي كثيراً من النفع ما لم تصبح كل العناصر المستمدة قواعد لمنطلقات إبداعية فكرية جديدة، يمكن أن تخترق الواقع بالفعل، وتهزه وتغيره نحو الأفضل، وتحدث ما يُشعر الجمهور الخاص والعام بما يبعث على التجارب والتعاطف والمشاركة في هذا التغيير، وإلا أصبح ذلك مجرد دوران في حلقات واسعة مفرغة. وهذا لا يتحقق بالطبع إلا بتخطي العقبات والصعوبات، والتوجه المباشر إلى هذا الجمهور بالقول والعمل.

- إذا كنا نناشد القادة والوزراء ومديري الجامعات، ونستصرخ الجهات الرسمية والدوائر الثقافية، والمؤسسات الإعلامية، أو نستغيث بها، ونهيب بالجمهور ليتعاطف معنا، ويصغي إلى ما نقوله عن لغتنا، وما نتخذ حيالها من قرارات وتوصيات، فلا نجد من كل هؤلاء أو معظمهم صدى، أو لا نجد من تعاطفهم وعونهم ما يفترض، فإن ذلك قد يكون عائداً لضعف طرائق التواصل والتعاون بيننا وبينهم، أو لأننا عاجزون عن أن نتلمس السبل المؤثرة فيهم، أو نتباطأ ونتلكأ ونتعثر في تلمسها. أو لأننا نفتقر إلى مزيد من التكاتف والتخطيط السديد والتضحية، والإنجاز الذي يشهد بالإيمان الصادق بما نكافح من أجله، ويصدق ما نقوله ونقرره، وفاعلية ما نقترحه ونعمله، وارتباط كل ما نصنعه بالواقع الملموس. ويعطينا من الهيبة وفرض القناعة والاحترام ما يمكننا من الاختراق والنفاذ والتأثير.

لو أشعرنا هؤلاء الذين نناشدهم وندعوهم ونستصرخهم عن قرب بالنية والمصير، وأشركناهم بالفعل فيما نخطط له، ونفكر فيه، ونجربه وناقشه، ونتداول ونتحاور فيه ونقرره، لزاد اقترابهم منها، ومشاركتهم لنا، وتكاتفهم معنا في صياغة المستقبل، لو هبطنا من أبراجنا العليا أو النائية، واقتربنا من الجمهور العربي نفسه نحاوره ونستمع بود إليه، ونستقرئ بعمق وتتبع آراءه ومقترحاته، وأصغينا بتواضع لطالب العلوم نفسه يتحدث إلينا في مؤتمراتنا عن تجربته في تعلم الأجنبية أو التعلم بها، وللمدرس العربي وهو يدرس، أو يتعامل بها في مجاله العلمي، كي نستشعر عن كثب موقفه منها، ومقدار رغبته فيها، وتفاعله معها، ثم الحواجز والمشكلات الخاصة والمشتركة التي تمنعه من الانتقال عنها إلى لغته الأم.

لو حاورنا واضعي المناهج في المدارس، والإعلاميين بكل فئاتهم، والصحفيين، وأصحاب دور النشر والمكتبات ومخازن الكتب، وواجهناهم بأنفسنا لنستبين مرئياتهم وتصوراتهم، وأيقظنا فيهم الوعي اللغوي بنحو مباشر، لو تجاوزنا ما نحن فيه من السمت والوقار المصطنع، وأجزنا لأنفسنا أن نترك المجال لنخبة متميزة من طلابنا وأبنائنا من الذين

تعلموا العربية في مدارسهم، أو تعلموا الأجنبية في الداخل أو الخارج أن يشاركونا في اجتماعاتنا، ويتحدثوا عن مشكلاتهم مع لغتهم، أو يشرحوا لنا تجاربهم مع اللغة الأجنبية، وما يصيبها من تأثر، أو ما تحدثه من تأثير في لغتهم الأم، وما يمكن عمله لتجنب الصراع المؤدي إلى تغريبهم وغربتهم عن لغتهم الأصلية، هذا بالطبع بالإضافة إلى إجراء الاستبانات ودراسة العيّنات وتحليل النماذج.

ما المانع من أن يشترك كل هؤلاء ويتعاونوا مع علماء اللغة وأساتذتها المتخصصين في تداول الرأي أو حتى في التحليل والتنظير وتقرير ما يجب أن يعمل، أو ما يفترض أن يتم؟ ويعملوا وكأنهم في فريق واحد، مادام لهم الانتماء الاجتماعي والحضاري والمصير نفسه؟!

لو نادينا أصحاب الأمر والنهي أنفسهم، وأقنعناهم بمشاركتنا في مؤتمراتنا ونقاشاتنا، وأشعرناهم باهتمام وصراحة وشجاعة تامة بما يفترض فيهم القيام به أو التزامه والسعي إليه، وما يترتب على التزامهم وقراراتهم. لو سعينا بأنفسنا وبتضحية دون ابتذال إلى أصحاب الأموال لإقناعهم بضرورة دعمهم لمشروعاتنا اللغوية، وإلى أصحاب الشركات لترسيخ إيمانهم باقتصاديات ومكتسبات ما نعده من مشاريع عملية متمشية مع متطلبات العصر وحاجات الناس في اللغة. وأخيراً لو وضعنا أمام طلابنا ونشئنا ما نضعه أو نقره من مصطلحات، وما نترجم من كتب وأعمال، وما نعده من برامج في التعريب والتثقيف والترفيه بلغته العربية الصافية قبل أن تغزوهم اللغة الأجنبية في عقر دارهم، فيصعب عليهم الإقلاع عنها، والانتقال منها إلى لغتهم.. هذه الأعمال أو الإجراءات هي التي يمكن أن تحقق التفاعل التام مع ما نقول، وترتقي بمستوى ما نقرر، وننتج ونعمل من أجل سيادة اللغة العربية.

أما أن يجتمع علماء اللغة وأساتذتها والباحثون فيها ليعيدوا ما سبق قوله، أو ليحمّس بعضهم بعضاً، ويبادوا ويتنادوا، ويوصوا ويتواصوا، ويقرروا ويضعوا وينظّروا. ثم يطبعوا وينسخوا المحاضرات والبحوث، ويؤلفوا الكتب والمعجمات ليتداولوها فيما بينهم، أو يستميلوا أهل الحل والعقد ليسترضوهم، ويتوددوا إليهم، وليبادلوهم عبارات الثناء والتقدير على (الجهود

السرد التاريخي الطويل الممل عن تاريخ العربية وما واجهته من تحديات وصراعات عبر العصور، وما ثبت من قدرتها على تخطي العقبات والصعوبات في صراعها مع اللغات الأخرى، عبارات ومضمونات قديمة مستهلكة لا يحتاج الباحث أو المتحدث في مؤتمر إلى سردها وتكرارها

المخلصة)، ثم ينفض الجميع متفقين على توصيات شكلية تؤكد عظمة الإنجاز، وتدين بالفضل لأصحاب القرار. أو أنهم يشركون هؤلاء في القول دون العمل، ويجسدون لهم بسلوكهم وتصرفاتهم ما يعكس ازدواجية في الشخصية والفكر، وترهّل التعبير، وتناقض القول مع الفعل، وضعف الارتباط بمناهج العصر وآلياته المتطورة في النظر والتفكير، والتجريب والتحليل، والطرح والتداول، والنقاش والتعامل مع الرأي الآخر المغاير. هذه الإجراءات كلها لا توصل - في اعتقادي - إلى الحلول المطلوبة.

إن الذي يمكن أن يجدي هو الإيمان التام الراسخ بالرسالة، والسعي إلى تحقيق الهدف بجد وتضحية ومثابرة وإصرار وعزم، عن طريق النزول إلى الساحة، واختراق الجمهور عبر القنوات الممكنة كلها، والنفاذ بما نحقق إلى كل طبقاته، والمواجهة الشجاعة المسلحة بالعلم والثقافة المتفتحة، وطرق الأبواب على كل المعنيين بعزة وأنفة وكرامة؛ لنثبت للجميع بالفعل والواقع العملي، وليس بالقول فحسب، أن (اللغة وعاء الفكر، والفكر عنوان الحضارة، والحضارة هي وسيلة لإثبات الوجود، وتحقيق الهوية، وإذاً فلا بد من بقاء اللغة واتساعها لتغذي الفكر وتعبر عنه).

ملاحظات هامشية

- لقد اعتدنا أن نرى في المؤتمرات الدولية والإقليمية التي تعقد في الدول المتقدمة أركاناً للاستعلام لاستقبال

المؤتمرين والضيوف وإرشادهم وتوجيههم، ولجانًا لتحصيل الرسوم، وتسجيل أسماء الحضور، وإصدار بطاقات خاصة للمشاركين، والعمل على التعريف بهم وبأعمالهم، وتوثيق الصلات بينهم، وتوزيع الإعلانات والنشرات الخاصة ببرامج المؤتمر وفعالياته وأنشطته الأساسية والهامشية، وجداوله الزمنية، وتصوير المحاضرات والملخصات وتيسيرها لطالبيها بعد ضمان ما يؤمن حقوق أصحابها. ثمة واجهات لعرض الأعمال والمنجزات الماضية، والكتب والوسائل التثقيفية والإعلامية المتعلقة، وما إلى ذلك من فعاليات ونشاطات وبرامج تثقيفية وإعلامية واجتماعية.. أما في المؤتمرات العربية فقلما نرى كل ذلك متوافرًا، وإن وجد شيء منه فلا يُعثر عليه إلا بالبحث والسؤال الحثيث. وربما تكون

النداءات الحماسية، والخطب الرنانة، والعبارات الإنشائية التي اعتدنا سماعها في عدد من مؤتمراتنا، والأفكار المعادة، لا يشعر معها السامع بأن هناك خططًا أو (إستراتيجيات) محكمة طموحة شامخة فاعلة يمكن أن تتجاوز المألوف

قلة الموارد المالية أحيانًا سببًا رئيسًا في اختفاء مثل هذه الخدمات أو الفعاليات أو في قلتها. إلا أن التدبير الاقتصادي، وتسخير القابليات التنظيمية السديدة في تسيير مثل هذه الفعاليات يمكن أن يشاركا في تحقيق مستوى أفضل فيها.

ـ لوحظ في المؤتمر استئثار بعض رؤساء الجلسات، وبعض المتنفذين، أو وجهاء الحضور بالحديث على حساب الآخرين، مما لا يتيح الفرص الكافية لطرح وجهات النظر المختلفة، هذه ظاهرة سائدة في كثير من لقاءاتنا وندواتنا ومؤتمراتنا، ربما كان لها آثارها السلبية في ترسيخ الانطباع بمدى ما لدينا من نزعة (الأنا) وحب استعراض النفس، وإيثار الكلام على الإصغاء، والتأمل وإعمال الفكر.

ـ المداخلات في جلسات المؤتمر اقتصرت في معظمها على الملاحظات الارتجالية، والخواطر العابرة التي تخرج أحيانًا عن الموضوع المقدم، أو محور النقاش إلى درجة تشجع المستمع على أن يقول أي شيء عن أي شيء أحيانًا، لأن الحديث يصبح من أجل الحديث فقط. فمن يقوم من مكانه، ويكلف نفسه عناء ارتقاء المنصة والوقوف أمام الجمهور ليصحح خطأ لغويًا سمعه في التلفاز أو الراديو، أو قرأه في صحيفة الصباح، أو يتحدث عن مؤلف له صدر حديثًا، ونال إعجاب القراء والدارسين، أو يتساءل في سذاجة عن الفرق بين الشرح والحاشية، أو يكيل الثناء للمسؤولين الذين رعوا المؤتمر، ونظموا أعماله، أو يعبر عن إحساسه بالتفوق أو التعالي، والنظرة الهامشية إلى الآخرين، فيقترح التعاون في مجالات الترجمة والتعريب مع الدول الخليجية لا على أساس الاشتراك في الخبرة والتجربة، وإنما على أساس «أن أهلها يملكون المال، ونحن لدينا العلماء والمفكرون»!!، كما يقول... وهكذا دواليك..

وحبذا لو أُعدّت المحاضرات في مؤتمراتنا التي تلقى دعمًا ماديًا كافيًا، أو أُعدّت ملخصات لها، وطبعت قبل إلقائها، ووزعت على المشاركين، أو على مجموعة منهم في وقت مبكر يتيح لهم الاطلاع عليها، والنظر المتأني فيها، بما يغني النقاش، ويعمّق الحوار، ويسمح بطرح أفكار وملاحظات أكثر عمقًا ورصانة وفاعلية؛ على نحو ما تصنع مؤسسة البابطين للإبداع الشعري.

إن هذه الملاحظات ـ بمجموعها ـ كما سبق القول ـ لا تقلل بأي حال من الأحوال من شأن المؤتمر، ولا من قيمة الجهود الكبيرة الخيرة التي بذلت في تنظيمه والتهيئة له، ولا من قيمة تلك البحوث والمشاركات الأصيلة المثمرة التي تمخض عنها، كما أنها لا تقلل من شأن أولئك العلماء والأساتذة الأفاضل من المشاركين والحاضرين الذين لولاهم لما خرجنا من المؤتمر بذلك النتاج العلمي الوافر الثري الذي يعدّ بالفعل مظهرًا مشرقًا من مظاهر الإشراق الفكري الإسلامي العربي. فهي ليست سوى محاولة متواضعة غرضها المشاركة في الارتقاء بما نقدمه في خدمة اللغة والتراث والفكر إلى مستوى أفضل.




سعد علي الحاج بكري
الرياض - السعودية

يرمي هذا المقال إلى «التعريف بالمعلوماتية وأهميتها»، ومناقشة أثرها في «التنمية» في القرن الجديد. وفي سبيل طرح أهمية المعلوماتية، يتحدث المقال عن كل من مسألتي «إنتاج» تقنياتها، و«استخدام» هذه التقنيات، وعن أثر ذلك في زيادة الإنتاج، و«توليد الثروة»، و«تشغيل العمالة»، ويتطرق كذلك إلى «التخطيط الوطني» للمعلوماتية، وإلى دور «مؤسسات التنمية» ومسألة دعمها «لتوجهات التطوير المعلوماتي» من أجل التنمية في العالم الثالث؛ مع الدعوة إلى تكامل الجهود في التوجه نحو الاهتمام بالمعلوماتية من أجل التنمية، والسعي إلى إغلاق الفجوة الاقتصادية مع العالم المتقدم، أو على الأقل الحد من تفاقمها.

التعريف بالمعلوماتية

إذا كان المعروف لا يعرف فإن «تقنيات المعلوماتية» لا تحتاج إلى تعريف من منطلق أن وجودها أصبح مألوفاً ليس في مراكز العمل فقط، بل في المنازل أيضاً. لكن تعريفاً يلقي مزيداً من الضوء على المعروف، ويكشف الجوانب المهمة فيه يبقى مفيداً، ويستحق وقفة أولى كتمهيد يعطي الأسس اللازمة لطرح ارتباط مسألة «التنمية» بهذه التقنيات في هذا العصر. ومن أجل ذلك سوف نقدم فيما يأتي تعريفاً لتقنيات المعلومات من الناحيتين: «الوظيفية»، و«التكوينية»، ونعرض كذلك لنوع من منتجاتها الخاصة، تلك المرتبطة «بثقافات الأمم».

ليست «تقنيات المعلوماتية» كما نعرفها اليوم سوى وسائل ذات طبيعة «إلكترونية» تقوم بثلاث وظائف رئيسة هي: «تخزين المعلومات»، و«معالجتها»، و«نقلها» من مكان إلى آخر مهما اقتربت أو تباعدت المسافات فيما بينهما.

وليست وظيفة «تخزين المعلومات» موضوعاً غير مسبوق، فالكتابة على الآثار القديمة «معلومات مخزنة»، وكذلك تلك الأوراق في ملفات الأرشيف في المجالات المختلفة. لكن الجديد في الأمر هو التخزين

الكهرومغناطيسي على الأقراص المغنطة، والتخزين الضوئي على الأقراص المعدنية المعروفة بأقراص الليزر، إضافة إلى التخزين من خلال الدوائر الإلكترونية. ولا يشمل هذا التخزين تخزين النصوص فقط، بل يشمل تخزين الصوت والصورة أيضاً. ويتميز هذا التخزين بقدرته على حفظ كميات هائلة من المعلومات ضمن حجم محدود.

أما وظيفة «معالجة المعلومات» فهي أيضاً ليست جديدة، ولعلها كانت وما تزال وظيفة «عقل الإنسان». فهي تتطلب تفكيراً يقوّم المعلومات، ويتعامل مع الأرقام، ويحاكم الأمور، ويستخلص النتائج. والجديد في الأمر أن تقنيات المعلومات مكّنت الإنسان من وضع مناهج تفكيره العلمي في المسائل المختلفة ضمن «برامج» محكمة تقوم «الدوائر الإلكترونية» للحاسوب بتنفيذها بسرعة فائقة تفوق سرعة العقل البشري بكثير، مما يجعلها تبدو ذكية ذكاء الإنسان؛ لأنها تحاكي مناهج عقله، وسريعة بما يفوق ما اعتاده عليه الناس قبل تقنيات المعلومات.

ونأتي إلى وظيفة «نقل المعلومات»، وهذه أيضاً ليست وظيفة جديدة، فقد استخدم حمام الزاجل عبر العصور لنقل الرسائل، وبات البريد ونقل الرسائل عبر خطوط النقل البرية والبحرية والجوية جزءاً مهماً من حياة الإنسان. ثم تعزز البريد بالشبكات البرقية والهاتفية، وظهرت الإذاعة والتلفاز، لتأتي بعد ذلك شبكات البيانات و«الإنترنت». ويقف الإنسان اليوم على عتبة الشبكات المتكاملة التي ستوحد شبكات الصوت والصورة والبيانات ضمن شبكة واحدة ذات «أداء متميز» هي «الجيل الثاني من الإنترنت».

ومن التقسيم «الوظيفي» السابق الذكر لتقنيات المعلومات، ننتقل إلى التقسيم «التكويني» الذي يقوم بالطبع بأداء الوظائف المطلوبة. ويشمل هذا التقسيم التكويني ثلاثة أجزاء رئيسة هي: الجزء «المادي»، والجزء «البرمجي»، إضافة إلى الجزء «المعلوماتي».

يتضمن الجزء «المادي» الأجهزة والمعدات والوسائط الإلكترونية التي تقوم بالتنفيذ الفعلي للوظائف الرئيسة الثلاث السابقة الذكر. ويمكن النظر إلى هذا الجزء على أنه مكون من قسمين: قسم يشمل أجهزة تخزين المعلومات ومعالجتها، ومنها «الحواسيب» وملحقاتها، وقسم آخر يتضمن أجهزة إرسال المعلومات واستقبالها وتوجيه مساراتها عبر وسائط الاتصال من أسلاك وكبلات أو قنوات لاسلكية تكوّن «الشبكات» التي تربط الحواسيب، وتوسع مدى خدماتها.

أما الجزء «البرمجي» فهو الذكاء الذي يضعه الإنسان داخل أجهزة الجزء «المادي» كي تعمل بالأسلوب الذي يريده لها. ويأخذ هذا الذكاء شكل البرامج التي تخزن ضمن أجهزة التخزين، والتي تعالجها وتنفذها أجهزة معالجة المعلومات ونقلها. وتنقسم هذه البرامج قسمين. قسم يختص بإدارة الأجهزة «المادية» وتشغيلها للاستفادة منها على أفضل وجه ممكن، وقسم يرتبط «بالتطبيقات» المطلوب استخدام إمكانات تقنيات المعلومات من أجلها. وتشمل هذه التطبيقات جميع مجالات الحياة، بما فيها قطاعات الزراعة والصناعة والخدمات.

> ليست «تقنيات المعلوماتية» كما نعرفها اليوم سوى وسائل ذات طبيعة «إلكترونية» تقوم بثلاث وظائف رئيسة هي: «تخزين المعلومات»، و«معالجتها»، و«نقلها»

ويأتي بعد ذلك القسم «المعلوماتي»، وهو القسم الخاص بأنظمة المعلومات المختلفة التي تستند إلى «البرامجيات» التي تعتمد بدورها على القسم «المادي». وتساهم هذه الأنظمة في تعزيز التعامل مع المعلومات في حقول التطبيقات المختلفة. كما تساهم أيضاً في نشر المعلومات، وجعلها متوافرة على نطاق واسع تبعاً للطلب. فقد يكون المطلوب جعل المعلومات متوافرة على مستوى مؤسسة ما (إنترانت)، أو على مستوى مؤسسة وعملائها (إكسترانت)، أو ربما على مستوى العلم (إنترنت).

وتجدر الإشارة إلى أن كون جوهر العمل فيما سبق هو «المعلومات»، فإن كلاً من التكوين «البرمجي»، والتكوين «المعلوماتي» يرتبطان تبعاً للتطبيقات «باللغات الإنسانية» للمعلومات المطروحة، ومن ثم «بالثقافة» التي تستند إليها



صناعة المعلومات ساعدت على نمو الصناعات الأخرى

هذه اللغات. وعلى ذلك فإن هناك بين تقنيات المعلومات منتجات خاصة لكل أمة، عليها أن تسعى إلى إنتاجها بنفسها، وعدم استيرادها من الخارج. وهذا هو الحد الأدنى من الإنتاج المعلوماتي الذي يمكن أن تقوم به أي دولة، إن لم تستطع دخول معترك المنافسة على منتجات معلوماتية أخرى.

إنتاج المعلوماتية

هناك دلائل كثيرة على أن اهتمام الدول بإنتاج تقنيات المعلومات يؤدي إلى تعزيز نموها ودعم تطورها. وسوف نستعرض فيما يأتي بعض أهم هذه الدلائل. ولعلنا نبدأ على مستوى العالم، فعلى هذا المستوى نجد، طبقاً للإحصائيات الدولية، أن معدل النمو السكاني يبلغ ١.٨٪ سنوياً، وأن معدل نمو الدخل العالمي يبلغ ٣٪ سنوياً، بينما يبلغ معدل نمو الصناعات الإلكترونية ٦٪ سنوياً، ويبلغ معدل نمو البرامجيات ١٥٪ سنوياً،(١)، (٢). وتوضح هذه الأرقام مدى «تزايد اعتماد الإنسان» على تقنيات المعلومات، إذ يتجاوز نمو هذه التقنيات التزايد السكاني بمرات عدة. وتبين هذه الأرقام أيضاً تزايد مساهمة تقنيات المعلومات في «دخل العالم»، إذ يتجاوز نموها تزايد هذا الدخل. فنمو الإلكترونيات يصل إلى «ضعفي» تزايد الدخل، كما أن نمو البرامجيات يقترب من «خمسة أضعاف» تزايد الدخل.

وتأكيداً لما سبق تقول إحصاءات نمو أكبر «ألف شركة» في العالم: إن نمو شركات الصناعات المعلوماتية وصل عام ١٩٩٦م إلى «خمسة أضعاف» متوسط نمو الشركات الألف. وبالموازنة مع بعض الصناعات المهمة، فقد بلغ نمو الصناعات المعلوماتية «أربعة أضعاف» نمو صناعة السيارات، و«ثلاثة أضعاف ونصف» الصناعات الكيماوية. وبناءً على ذلك يمكن القول: إن اهتمام القطاع الخاص بالصناعات المعلوماتية يحقق له نمواً أفضل من ناحية، ويزيد من مساهمته في الدخل القومي من ناحية ثانية(٣).

وعلى مستوى الدول المتقدمة، تعطي إحصاءات النمو «لأكبر تسعمئة شركة أمريكية» نتائج مقاربة للنتائج السابقة الذكر، مما يؤكد تزايد أهمية الدور المستقبلي للصناعات المعلوماتية في الدخل القومي(٤).

وبالانتقال من الشركات الكبرى إلى الشركات الصاعدة

الأصغر حجماً نجد في إحدى الإحصاءات أن بين «العشرين شركة» الأكثر نمواً في العالم «عشر شركات» تعمل في مجال تقنيات المعلومات، وعشراً أخرى تعمل في القطاعات المختلفة كافة. ويوضح ذلك أهمية الفرص التي تمنحها تقنيات المعلومات للقطاع الخاص(٥).

وتجدر الإشارة إلى أن ما نشهده من «تقلبات» في أسعار «أسهم» شركات الصناعات المعلوماتية يرتبط بعوامل تنافسية واقتصادية وسياسية ومالية كثيرة، لكن نمو الحاجة إلى تقنيات المعلوماتية يبقى قائماً.

وإذا أخذنا الهند مثالاً للدول التي أعطت اهتماماً خاصاً لتقنيات المعلومات، نجد أن نمو صادرات الهند من «البرامجيات» قد زاد على نموها السكاني بأكثر من «ست عشرة مرة»، وعلى نمو دخلها القومي بأكثر من «عشر مرات»، وعلى نمو مجمل صادراتها بأكثر من «مرتين ونصف المرة». ويبين ذلك أهمية تقنيات المعلومات في تطوير إمكانات اقتصادية جديدة للدول النامية تساهم في تعزيز ميزانها التجاري مع العالم. وربما يكون من بين مزايا الإنتاج المعلوماتي في الهند انخفاض تكاليف اليد العاملة بالمقابلة مع تكاليفها في الدول المتقدمة، إلى جانب القدرة على المنافسة التقنية(٦).

ما نشهده من «تقلبات» في أسعار «أسهم» شركات الصناعات المعلوماتية يرتبط بعوامل تنافسية واقتصادية وسياسية ومالية كثيرة، لكن نمو الحاجة إلى تقنيات المعلوماتية يبقى قائماً

وبناءً على ما سبق يمكن القول: إن تقنيات المعلومات تتمتع بأهمية مستقبلية تتزايد باطّراد في حياة الإنسان، وتمتلك عناصر التطوير الاقتصادي الذي تحتاج إليه الدول بما يشمل تعزيز نمو الدخل القومي، و ما يساعد على زيادة الصادرات المعلوماتية، والحد من وارداتها.

استخدام المعلوماتية

ومن مناقشة قضية إنتاج تقنيات المعلوماتية، ننتقل إلى مسألة «استخدامها» والاستفادة منها. وليس بين المسألتين فواصل، فالعلاقة بينهما علاقة «دورانية الطابع» تشبه العلاقة بين «الدجاجة والبيضة» وبين «البذرة والنبتة»، فاستخدام تقنيات المعلومات يسبب إنتاجها، وإنتاج تقنيات المعلومات يعطي إمكانات جديدة، وفرصاً مفيدة تقود إلى توليد الطلب على استخدامها. وعلى ذلك فإن ما وجدناه من نمو في الإنتاج هو أيضاً نمو في الاستخدام.

وينتشر استخدام تقنيات المعلومات في شتى مجالات الحياة بما يشمل القطاعات الرئيسة الثلاثة الزراعة والصناعة والخدمات. فجميع هذه القطاعات تحتاج إلى التعامل مع المعلومات. ويعطي استخدام تقنيات المعلومات لهذه القطاعات ثلاث فوائد رئيسة. ترتبط أولاها «بتوفير الزمن»، وتتعلق الثانية «بتجاوز المسافات»، وتتمحور الثالثة حول فتح آفاق جديدة لأساليب العمل في شتى المجالات. وسوف نضع فيما يأتي بعض الملاحظات والتوضيحات حول هذه الفوائد.

بشأن «توفير الزمن»، لاشك أن الزمن، إن جاز التعبير، هو «السلعة الأكثر أهمية» في حياة الإنسان، فهذه السلعة قابلة للتحويل إلى شتى أنواع السلع والخدمات الأخرى. فأي توفير في زمن إنتاج سلعة زراعية أو صناعية، أوفي زمن تقديم أي خدمة يفسح المجال أمام استخدام «الزمن الموفر» في إنتاج سلع أخرى، أو القيام بأعمال مفيدة أخرى؛ وبذلك تعطي تقنيات المعلومات من خلال توفير الزمن في التعامل مع المعلومات في شتى القطاعات استجابة أسرع، ومردوداً اقتصادياً أعلى.

أما ما يختص «بتجاوز المسافات»، فإن قدرة شبكات المعلومات على نقل المعلومات بسرعة فائقة عبر المسافات، بالصوت والصورة والنصوص، لا تؤدي إلى «توفير الزمن» فقط، بل تساهم أيضاً في تقليل الاعتماد على وسائل النقل، مما يوفر في الطاقة، وفي التكاليف، ويحد من الازدحام والتركيز المكاني في المدن الكبيرة.

ونأتي الآن إلى فائدة تقنيات المعلوماتية في «فتح آفاق جديدة لأساليب العمل»، فقد باتت هذه الفائدة حقيقة واقعة. ولعل من أبرز الحقائق في هذا المجال ما نراه من انتشار «التجارة عبر الإنترنت» من خلال ما يعرف «بالتجارة

الإلكترونية»، وكذلك من انتشار ما يعرف «بالمؤسسات الافتراضية» التي يعمل منسوبوها من منازلهم في أماكن متباعدة. فمثل هذه المؤسسات «بلا عنوان جغرافي» يحصر وجودها في المناطق التجارية مما يزيد من ازدحام هذه المناطق، لكنها «بعنوان إلكتروني» تستطيع من خلاله تنفيذ نشاطاتها. وهناك من بين «أساليب العمل الجديدة والمفيدة» ما يرتبط بالتطبيقات التعليمية والطبية والأمنية، ويجعلها أكثر كفاءة، ويعزز نوعية الخدمات التي تقدمها.

يوضح ما سبق أن تقنيات المعلومات تضع المؤسسات التي تستخدمها في شتى القطاعات في موقع تنافسي أفضل من خلال ما تقدمه لها من «توفير في الزمن»، و«تجاوز للمسافات»، و«فرص أفضل» لممارسة أساليب جديدة في العمل، مما يجعلها أكثر كفاءة، ومما يجعل السلع والخدمات التي تقدمها أفضل نوعاً. ومع ذلك تبقى هناك معضلة أخرى تتلخص في أن توجه المؤسسات جميعاً على مستوى العالم نحو استخدام تقنيات المعلوماتية يفتح باب المنافسة من جديد. ففي هذا الإطار تصبح المنافسة ليست فقط في الاستفادة من تقنيات المعلومات، بل في اتباع أساليب جديدة تؤدي إلى رفع مستوى هذه الاستفادة إلى حدود قصوى، ومن ثم أخذ موقع تنافسي أفضل.

وفي هذا المجال ظهرت أساليب جديدة تهتم بإعادة النظر في أساليب عمل المؤسسات، بما في ذلك تلك التي تستخدم تقنيات المعلومات، والعمل على بناء أساليب جديدة تستند إلى استغلال تقنيات المعلومات على أفضل وجه ممكن، من أجل تطوير الكفاءة والقدرة على المنافسة. ولعل من أبرز هذه الأساليب الأسلوب المعروف «بإعادة هندسة» أنظمة عمل المؤسسات. وبسبب تطور تقنيات المعلومات المتسارع فإن «إعادة هندسة» أي مؤسسة باتت مسألة دورية كي يمكن الاستفادة من التقنيات الحديثة في تحقيق تطوير مستمر للكفاءة، وفي الحفاظ على موقع تنافسي متقدم(٧).

على أساس ما سبق نجد أن دور تقنيات المعلومات في هذا العصر يمتد ليشمل القطاعات كافة. فإنتاجية هذه القطاعات كماً ونوعاً، وقدرة منتجاتها على اختراق الأسواق والصمود فيها مسائل باتت ترتبط بتقنيات المعلومات. وعلى ذلك فإن إنتاج تقنيات المعلوماتية واستخدامها يعطيان تطويراً اقتصادياً لجميع القطاعات الزراعية والصناعية وأعمال الخدمات، مما يدعم نمو الدخل القومي، ويعزز الصادرات، فضلاً عن تقليل الاعتماد على الواردات في شتى هذه القطاعات.



إعادة هندسة أنظمة العمل باتت مسألة دورية بفضل التقنيات الحديثة

العمالة والمعلوماتية

يحتاج إنتاج تقنيات المعلومات، وكذلك استخدامها إلى متخصصين في مجالاتها. وعلى ذلك لا تخلو أي مؤسسة في أي قطاع من القطاعات من المتخصصين في تقنيات المعلومات للإشراف على استخدامها. ومع نمو إنتاج تقنيات المعلومات واستخدامها تنمو الحاجة إلى العمالة المعلوماتية. وتقول إحدى الدراسات حول العمالة في الولايات المتحدة الأمريكية: إن التحول في العمالة انتقل مع مطلع القرن العشرين من تفوق العمالة في القطاع الزراعي إلى تفوقها في القطاع الصناعي، وإن السنوات الأخيرة منه شهدت تحولاً آخر باتجاه تفوق العمالة في مجالات المعلومات، التي تدخل في إطار القطاعات المختلفة، على كل من العمالة الزراعية، والعمالة الصناعية.

ولعلنا نأخذ نتائج دراسة أخرى من الولايات المتحدة أيضاً

حول العمالة في مجال تقنيات المعلومات. وإذا كان التركيز في الدراسات الأمريكية يثير التساؤل، فإن توافر هذه الدراسات على نطاق واسع يقلل من أهمية هذا التساؤل، وربما، وهو المأمول، يعطي حافزاً على تقديم دراسات ترتبط بمناطق أخرى من العالم ونشرها على نطاق واسع.

وعلى أي حال، تقول الدراسة التي نشرت عام ١٩٩٧م: إن شركات أمريكية كثيرة تعمل في إنتاج تقنيات المعلومات حصلت من الحكومة الأمريكية على «تأشيرات خضراء» Green Card لاستقدام متخصصين في هذه التقنيات من الدول الأخرى على مدى سنة كاملة، وقد استخدمت معظم هذه الشركات رصيدها السنوي من «التأشيرات» خلال الأشهر الستة الأولى؛ ويدل ذلك على أن الحاجة إلى العمالة المتخصصة في تقنيات المعلومات فاقت الحاجة المتوقعة، على الرغم من الإنتاج المعلوماتي الذي تقوم به الشركات الأمريكية في دول مختلفة خارج الولايات المتحدة، كالهند، وماليزيا، وغيرهما(٨)، (٩).

وتقول الإحصاءات: إن عام ١٩٩٦م شهد إعلانات عن فرص عمل في مجالات تقنيات المعلومات المختلفة بلغ عددها نحو «نصف مليون فرصة». وكان بين المعلنين عن هذه الفرص نحو «ستة آلاف مؤسسة أمريكية»(١٠).

ويحظى العاملون في مجالات تقنيات المعلومات على مكانة متميزة بين العاملين في شتى القطاعات الأخرى. ففي دراسة عن زيادة الأجور في مختلف القطاعات في كندا، بلغت زيادة الأجور في مجال تطوير البرامجيات الحاسوبية خلال الفترة من عام ١٩٩٣م إلى عام ١٩٩٧م «عشرة أضعاف» الزيادة في حقل التعليم، وأكثر من «ثلاثة أضعاف» الزيادة في حقل العناية الصحية. وقد قامت دراسة كندية أخرى بتقويم المهن في القطاعات المختلفة من خلال نسبة مئوية تأخذ في الحسبان عوامل «الدخل، والاستقرار الوظيفي، والتطوير المهني» وغير ذلك. وجاءت النتائج لتبين أن العمل في مجال الحاسوب وبرامجياته جاء في مقدمة المهن بنسبة مئوية قدرها ٨٧.٥، وفي مجال الاتصالات بنسبة قدرها ٧٧٪، بينما حصل العمل في مجال صناعة السيارات على ٦٧.٥٪، وفي مجال صناعة الطائرات على ٥٠٪، وفي مجال الصناعات البلاستيكية على ٢٧.٥٪ (١١)، (١٢).

ولا شك أن «توليد وظائف» جديدة وجيدة من خلال دعم إنتاج تقنيات المعلومات، وتعزيز استخدامها يعطي الأمة التي تقوم بذلك أمنًا اجتماعيًا واقتصاديًا، ويوفر لأبنائها فرصًا مفيدة للعمل ترضي طموحاتهم، وتفيد أمتهم. ولا يأتي ذلك إلا بتأهيل الشباب تأهيلاً مناسباً من ناحية، وبالتخطيط السليم لتقنيات المعلومات من ناحية ثانية. وتقول دراسة أمريكية: إن الفرد المؤهل جامعياً بدرجة علمية في الدراسات التقنية يكلف أهله وأمته على مدى سنوات إعداده الثلاث والعشرين تقريباً نحو ربع مليون دولار. لكن هذه التكاليف ربما تكون أقل في معظم الدول الأخرى. وعلى أي حال فإن هذا يوضح حجم الاستعداد اللازم للتطوير من جهة، وحجم الخسائر التي تصيب الدول التي تدفع أبناءها إلى الهجرة بأساليب مختلفة من جهة أخرى(١٣).

بلغت زيادة الأجور في مجال تطوير البرامجيات الحاسوبية «عشرة أضعاف» الزيادة في حقل التعليم، وأكثر من «ثلاثة أضعاف» الزيادة في حقل العناية الصحية

ولعل الحصيلة التي وصلنا إليها حتى الآن في هذا المقال تقول: إن الاهتمام بتقنيات المعلومات إنتاجاً واستخداماً يقدم وعوداً جميلة اقتصادية واجتماعية وأمنية. وليست هذه الوعود أحلاماً خيالية، بل هي حقائق واقعية أثبتت نفسها في أماكن مختلفة من العالم.

وننتقل الآن إلى إلقاء الضوء على الاهتمام الوطني الذي قامت وتقوم به دول كثيرة بشأن التخطيط لتقنيات المعلومات للاستفادة من فرصها المستقبلية.

التخطيط الوطني

قد يعود التخطيط الوطني لتقنيات المعلومات إنتاجًا واستخدامًا إلى بداية وجود هذه التقنيات، لكن أول خطة وطنية تحمل «المعلوماتية» عنوانًا لها كانت يابانية، وجاءت عام ١٩٧٢م. وتتالت هذه الخطط بعد ذلك ليس في الدول

المتقدمة فحسب، بل في الدول الطامحة إلى التقدم أيضاً. فقد كانت هناك خطة فرنسية عام ١٩٧٨م، وأخرى بريطانية عام ١٩٨٣م، وكانت هناك خطة تايوانية، وأخرى سنغافورية عام ١٩٨٠م، إضافة إلى خطة كورية جنوبية عام ١٩٨٢م، وخطة برازيلية عام ١٩٨٤م(١٤).



سمفونية المعلومات أثبتت فاعليتها في أماكن كثيرة من العالم

ومن خلال دراسة هذه الخطط يتبين أنها ترتكز في «ستة عوامل رئيسة» تشمل: العامل «الاجتماعي» بما يتضمن «التوعية العامة»، وعامل «المعرفة» بما في ذلك التعليم والتدريب والبحث العلمي، وعامل «الأولويات» في إنتاج تقنيات المعلومات المختلفة، وعامل الأولويات في حقول «استخدامها»، وعامل «التعاون الوطني» بين الجهات الوطنية المختلفة ذات العلاقة بما يشمل الدولة والقطاع الخاص، إضافة إلى عامل «التعاون الخارجي»، وما يرتبط به من مصادر دعم تقني، وأسواق تجارية.

وهناك أمثلة كثيرة أخرى حول الاهتمام الوطني بالمعلوماتية خلال «العقد الأخير» من القرن العشرين، وذلك في كل من مجالي «الإنتاج والاستخدام». ومن ذلك إعلان إدارة الرئيس الأمريكي السابق كلنتون عن «مبادرة البنية الأساسية للمعلومات القومية» عام ١٩٩٣م، ثم قيام «اللجنة المشتركة بين الحكومة الأمريكية والقطاع الخاص»، وتكليفها بوضع خطة لتنفيذ هذه المبادرة. وقد تضمنت هذه الخطة «ثلاثة عناصر رئيسة»: أولها «تشجيع استثمارات القطاع الخاص»، وثانيها «وضع لوائح قانونية وتنظيمية» تتناسب مع تقنيات المعلومات وخصائصها وتغيراتها، وثالثها «توفير خدمات معلوماتية شاملة»، ودعم استخدامها عبر الشبكات.

ومن الأمثلة الأخرى بالإضافة إلى ما سبق تقرير الاتحاد الأوربي عام ١٩٩٤م حول «تطوير المجتمع الأوربي المعلوماتي». وقد ركز التقرير في الاهتمام بالعمل عن بعد، و«التعليم عن بعد»، وشبكات الرعاية الصحية، والشبكات الإدارية، وغير ذلك.

ومن أمثلة ما يجري في الدول النامية الطموحة «الطريق المعلوماتي السريع» الذي أنشأته ماليزيا كجزء من رؤيتها المستقبلية المعلنة في خطتها الوطنية التي كانت موجهة نحو عام ٢٠٠٠م. فهذا «الطريق» يخدم منطقة صناعية وتجارية وإدارية تسعى إلى وضع أسس التطوير باتجاه دعم الصناعات المعلوماتية، بما في ذلك تطبيقات ما يعرف «بالوسائط المتعددة»، وباتجاه تنفيذ مفاهيم «الحكومة الإليكترونية» و«التجارة الإليكترونية»(١٥).

وإذا كانت الدول المتقدمة وبعض الدول النامية الطموحة قادرة على وضع الخطط الوطنية للتطوير المعلوماتي، فإن هناك دولاً أخرى تحتاج إلى التوعية بهذا الشأن، وإلى وضع الدراسات والمشاريع، ودعم تنفيذها. وهنا يأتي دور مؤسسات التنمية الدولية والإقليمية، وهذا ما سنتطرق إليه فيما يأتي.

دور مؤسسات التنمية

أنشأ البنك الدولي إدارة جديدة تدعى إدارة «تطوير المعلوماتية» لتعزيز اهتمام الدول النامية بفرص التقدم التي تعطيها تقنيات المعلومات(١٦)، لكن دور هذه الإدارة مازال متواضعاً، في حجم الدراسات المنجزة، وفي تناولها للجوانب المختلفة للموضوع، وكذلك في تعددية المشاركة

فيها، بما يشمل مشاركة خبراء الدول التي تجرى من أجلها هذه الدراسات. وعلى الرغم من أهمية البنك الدولي بوصفه مؤسسة رئيسة، إن لم تكن الأولى، لدعم تطور دول العالم النامي، فهو ليس المؤسسة الوحيدة، ولا ينبغي أن يكون كذلك، فهناك مؤسسات دولية وإقليمية ووطنية أخرى تسعى إلى المساهمة في هذا التطور في مختلف دول العالم. ومن أبرز هذه المؤسسات في العالمين الإسلامي والعربي: «البنك الإسلامي للتنمية»، و«الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي». ولهذه المؤسسات نشاطات ودراسات تنموية متعددة الجوانب، لكنها لم تعط بعد «تقنيات المعلومات ودورها في التنمية» الاهتمام الذي تستحقه، لكن هناك دلائل إيجابية في هذا المجال يجب العمل على تطويرها، مع إدراك أن الزمن عامل مهم لا ينتظر أحداً، خصوصاً في هذا العصر الذي تتسارع فيه التطورات التقنية، وبالذات «المعلوماتية».

ومن أمثلة الدلائل الإيجابية الندوة التي عقدها البنك الإسلامي للتنمية على هامش اجتماعه السنوي في دولة «بنين» الإفريقية في شهر نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٩٨م. كان شعار الندوة «إعداد الأمة للقرن الحادي والعشرين: دعم تقنيات المعلومات من أجل التنمية». وكان المتحدث الرئيس في هذه الندوة السيد ماجد ضيوف وزير الصناعة السنغالي في ذلك الحين. وكان هناك متحدثون آخرون من الاتحاد الدولي للاتصالات، ومن مشروع «طريق المعلومات السريع» في ماليزيا، إضافة إلى كاتب هذا المقال.

وقد طرحت في الندوة أفكار تنموية متميزة ليس من جانب المتحدثين فقط، بل من جانب الحضور أيضاً، فقد تجلى الوعي المعلوماتي في أبهى صوره في قلب القارة الإفريقية السمراء. لكن هذه الأفكار المتميزة ما تزال، وبعد الدخول إلى القرن الجديد، هائمة تبحث عن دعم للدراسة، وعن تمويل وإرادة للتنفيذ. ولعل الهوة بين الأفكار المتميزة من جهة، والتوجه نحو تنفيذها من جهة ثانية معضلة من معضلات التنمية التي ينبغي التنبه لها على أعلى المستويات، وإزالة معوقات الروتين الإداري من أمامها، خصوصاً من قبل المؤسسات المسؤولة عن هذه التنمية.

الخلاصة

وفي الختام، وعلى أساس ما سبق، نأمل أن يكون هذا المقال قد أسهم في تقديم صورة متكاملة حول «تقنيات المعلوماتية»، و«آفاقها التنموية». وتجدر الإشارة إلى أن «العمل التنموي» أشبه ما يكون بفرقة موسيقية تعزف «سمفونية تفاعلية» لكل عازف فيها دور في إبراز صورة معينة. ولا شك أن «سمفونية»، المعلوماتية قد أثبتت فاعليتها في أماكن كثيرة من العالم، وعلى الدول الطموحة في العالم النامي أن تقوم بعزفها. وهنا يأتي دور الهيئات الحكومية، ومؤسسات التنمية، والقطاع الخاص، والجمعيات المهنية، وحتى الأفراد. فعلى جميع هؤلاء العمل معاً على تهيئة المناخ الملائم «للتنمية في عصر المعلوماتية»، من أجل إغلاق الفجوة الاقتصادية مع العالم المتقدم، أو على الأقل الحد من تفاقمها.

المراجع

1 - The global search for brain power, Business Week, McGraw Hill, New York, Aug. 4th 1997.
2 - B. Welleneius, A. Miller, and C.J. Dahlman (Editors), Developing the Electronics Industry, A World Bank Symposium, Washington, D.C., July 1993.
3 - The global 1000, Business Week, McGraw-Hill, New York, July 7th 1997.
4 - America's most valuable companies, Business Week, McGraw-Hill, New York, Jan. 5th 1998.
5 - The 300 best small companies: 20 for 2000, Forbes, New York, Nov. 1st 1999.
6 - Technology in India: Software: recognizable exports, IEEE Spectrum, New York, March 1994.
7 - J. Champy, Reengineering Management: The Mandate for New Leadership, Harper Business, USA, 1995.
8 - The 300 best small companies: 20 for 2000.
9 - Technology in India: Software: recognizable exports.
10 - The global search for brain power, Business Week.
11 - Employment Earnings and Hours, Statistics Canada, Ottawa, 1997.
12 - N. Beck, Excelerate: Growing in the New Economy, Harper Collins, Toronto, 1995.
13 - L. Thurow, Head to Head: The Coming Economic Battle, London, 1993.
14 - B.G. Matley and T.A. MacDannold, National Computer Policies, IEEE Computer Society, 1987.
15 - M. A. Nun, "Multimedia super corridor of Malaysia", IDB Conference on Preparing the Ummah for the 21st Century: Promotion of Information Technology for Development, Benin, Nov. 1998.
16 - World Bank, Internet Web Site:www.worldbank.org , E-Mail: infodev@worldbank.com, June 1999.

إعادة كتابة التاريخ

صلاح يحياوي
ماديسون - أمريكا

تبدو الوقائع والشخصيات التاريخية أحيانًا وكأنها لم توجد إلا ليتم التلاعب بها على نحو ماتع.. فهل للتاريخ علم أو هو مصنع خرافات وأساطير؟!!





يظهر الزعيم ابل يانوكيدز Abel Yanukidz في الصورة اليسرى للمجموعة والتي أخذت عام ١٩٣٢م، ويختفي من الصورة الرسمية للمجموعة نفسها بعد اغتياله في عمليات التطهير عام ١٩٣٧م. وقد وردت الصورتان في كتاب «اختفاء المفوض» للصحفي البريطاني ديفيد كينغ David King

تعاد كتابة التاريخ، وبإعادة كتابته يلتبس الأمر. يمدّنا التاريخ بأساطير وأفكار مبتذلة من الصعب استئصال جذورها من الذاكرة الفردية والجماعية. وتُحوِّل هذه الذاكرة إدراك الحاضر والعادات الأخلاقية والطموحات الاجتماعية؛ وهي غرض سياسي ذو فعالية عظمى.

هناك نموذج من التاريخ يحرك الأحشاء والقلب، فمثلاً عند الكلام عن كيفية تعليم الفيزياء لا يحرك أحد ساكنًا، غير أن الجميع يشمرون عن سواعدهم للقتال لمجرد تفسير الوقائع التاريخية.

يقول ديفيد سولار David Solar مدير مجلة «التاريخ ١٦»: يتوطد النزاع العربي الإسرائيلي على نحو سياسي بالتلاعب بالوقائع التاريخية.

ويؤكد خوليو أرو ستغوي Arostegui من كلية الإنسانيات في جامعة كارلوس الثالث، أن هذا نظام معرفة ذو مكون مذهبي لايوجد في نظام معرفة آخر.

وتقول إلينا هرنندز ساندويكا Elena Hernandez Sandoica أستاذة التاريخ المعاصر في جامعة كوبلوتنسه، ومؤلفة كتاب «طرق التاريخ»: إن التاريخ سياسة، وهو يصنع من السياسة.

هناك أمثلة على التلاعب المغرض بالوقائع السابقة،

وذلك لمصلحة اختيار سياسي. وكان يجري تحوير تاريخ الثورة البلشفية خلال عهد ستالين كلما رغب الدكتاتور في إزاحة أحد رفاق المسيرة. والآن يبدو لنا اختفاء المفوض من الصورة محاولة ساذجة إن لم نقل غبية، إلا أن من المؤكد أن عمليات التطهير قد تناولت المفوض. ومسح إسهام تروتسكي في الثورة مسحاً كلياً عندما صدر أمر باغتياله.

وقد عكس الكاتب جورج أورول Orweil محاولة إخفاء الماضي في روايته عام ١٩٨٤م التي جاء فيها أنه كان هناك موظفون رسميون مكلفون بكتابة التاريخ الأكثر ملاءمة للسلطة في وقت من الأوقات.

والآن، وبعد ٨٠ عاماً من تلك الوقائع تتم مراجعات لذلك الإجراء. فقد كتب ستةٌ من المؤرخين الفرنسيين «كتاب الشيوعية الأسود»، وقد جاء فيه أن ما يراوح بين ٥٨ و ٩٥ مليون شخص كانوا من ضحايا الشيوعية في القرن العشرين.

يعد هذا التفسير للمعطيات مُغرضاً، غير أن هناك مراجعة أخرى لرد الاعتبار لصورة لينين من جديد. تقول هرنندز ساندويكا: حتى إن المؤرخين غير الماركسيين كانوا يعتمدون في تفسير تروتسكي للثورة الروسية على أنه كان يعتقد أن كل شيء كان يسير سيراً حسناً حتى منتصف العشرينيات عندما استولى ستالين على السلطة. أما الآن فمن المعروف أن لينين هو أبو ستالين، وأن الدكتاتور قد تشرب فكره.

ويقول ميغل غارثيا بوسادا Miguel Garcia Posada بمناسبة الذكرى الثمانين لثورة تشرين الأول/ أكتوبر: لم تكن الستالينية انحرافاً عن النظام، بل تتويجاً له. وكما في هذه الحالة هناك وجوه ترتفع قيمها وتنخفض في البورصة التاريخية. وتضيف هرنندز ساندويكا: كان يعتقد أن المارشال تيتو قد حل مشكلة القوميات في يوغسلافيا، ثم تبين الخطأ في حرب البلقان.

وقد اكتشف المؤرخ البريطاني ديفيد ستافورد Staford براهين وثائقية تدل على أن تشرشل كان قد أمر مخابراته السرية بضرب قيادات فرانكو في إسبانيا؛ وذلك للحيلولة دون دخول إسبانيا الحرب العالمية الثانية.

إن فتح المحفوظات (الربائد*) السرية للمخابرات الروسية KGB أو لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA يُغيِّر يومياً اعتبار وقائع محددة.

لا يبتعد التاريخ عن مذهب التسويق في الاقتصاد. تقول إلينا هرنندز ساندويكا: من المهم جداً في الجامعات الأمريكية حيث يشتد التنافس في اجتذاب الطلاب أن يقدم مؤرخ ما شيئاً جديداً، وجهاً لإنسان، رقماً مراجعاً، وجهة نظر أصيلة.. يجب غزو السوق العلمية كغزو الأسواق الأخرى.

ففي التاريخ القديم - مثلاً - كان هناك تيار شاع منذ سنين، وعرف باسم «مذهب الانتشار» حيث ما إن تبدو ظاهرة ثقافية في مكان ما حتى تنتقل عدواها وتنتشر في مكان آخر. وهذا عكس ما حدث عند انبعاث القوميات إذ غدت الظواهر الثقافية أصيلة على نحو أساسي.



الصورة الشهيرة للينين وهو يلقي خطابه في الثوريين أمام مسرح بولشوي في موسكو في ٥ أيار/مايو ١٩٢٠م. ويرى تروتسكي وكامنيف واقفين إلى جانب المنصة

أليس هناك إذن شكل لمعرفة الحقيقة؟ أم، كما يتساءل مؤرخو جيل ما بعد الحداثة، هل الحقيقة لا وجود لها؟

يقول البروفسور أروستغوي: إن هناك نواةً صلبة، بذرة لوجوه تاريخية لا يمكن التلاعب بها.

لقد أقلق تبيان هذه البذرة التي يتحدث عنها أروستغوي المختصين منذ نحو مئة عام. كانت المصادر التي يعتمد عليها المؤرخون حتى القرن الماضي مكتوبة على نحو أساسي؛ وكان التاريخ - بالاستعمال المقصور على هذه

المصادر - سياسيًا، وكان يحكي وقائع خاصة تنسب عمومًا إلى السلطة. غير أنه، بدءًا من القرن العشرين، أريد تحويل هذا الفرع من المعرفة إلى علم اجتماعي تستخدم فيه مصادر شفوية وأيقونية وإنسانية (أنثروبولوجية) وأحيائية. لقد نُظر إليه من وجهة نظر النساء، والأشخاص من العرق الأسود، والأقليات الهامشية، ومن وجهة نظر من لا يعيش في أوربا. لقد اعتُمدت جوانب اقتصادية واجتماعية ونفسية؛ وبذلك نشأت سلسلة من مدارس مختلفة مختصة بتدوين التاريخ.

تقول كروث فرناندز كاسترو Cruz Fernandez Castro أستاذة علم الآثار في جامعة كوبلوتنسه في مدريد: يعد علم الآثار الجديد في التاريخ القديم تيارًا حظي بصدى عظيم في الولايات المتحدة وانجلترا. ويحاول هذا التيار إعادة بناء الكيفية التي كانت عليها حياة المجتمعات القديمة بطرح فرضيات نظرية، متناسيًا علم تسلسل التواريخ والتصنيف. لقد وقع هذا التيار في الشطط لبرهنته على هذه الفرضيات التي كانت تفسر على نحو بليغ جدًا. لا يمكن في التاريخ القديم مزج العصور، ولا يمكن - مثلًا - قبول أن تكون بلدة أندلسية من العصر النحاسي معادلة للبلدة ذاتها في العصر الإيبيري. تُرى ألا يتغير مجتمع من العام ٣٦٠٠ قبل الميلاد حتى القرن الرابع؟!



الصورة بعد أن تم التلاعب بها كيلا يتعرف أحد إلى تروتسكي

تقول الأستاذة كاسترو: إن الأجيال الجديدة من الطلاب ترفض رفضًا صريحًا تفسير التاريخ القديم على أنه وصف للأعمال العظيمة الكبيرة للفن، كما فعل ذلك ولايزال علماء الآثار التقليديون من أمثال المختصين في جامعة أكسفورد. إنها تعتقد أن علماء الآثار التقليديين أنفسهم يتطورون.

الحوليات والمادية التاريخية

أسس الفرنسيان ففبر Fevbre وبلوش Bloch الحوليات في الثلاثينيات، وقد شكل فرناند براودل Fer-nand Braudel - الذي انتقد الشكل الذي يصف التاريخ نفسه بصفته حكايةً للوقائع - جزءًا من هذه الحوليات أيضًا. وقد قال: إن التاريخ المروي بأسلوبه الخفي هو تفسير أيضًا: إن الماركسية والمذهب البنوي الاقتصادي أو السياسي يجلبان رؤى جديدة لأجيال المؤرخين، وخاصة البريطانيين الذين حللوا الظروف الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات البشرية، وبنوا التاريخ وفقًا للحتمية الاقتصادية. وقد توصل التفكير في مصادر التاريخ إلى ربط التاريخ بعلم اللغة كما يرى ويتغنشتاين Wittgenstein مؤلف «فلسفة اللغة»، وإلى ربطه بالفلسفة كما يرى ميشيل فوكو Foucault.

ليس هناك منظور تاريخي

كان هناك - منذ نصف قرن - اعتقاد بوجوب ترك الزمن يمر للحكم على الوقائع. وقد افترض كثيرون من المختصين أن ما يدعى المنظور* التاريخي ضروري من أجل أن يكونوا موضوعيين. إلا أن البولوني آدم شاف Adam Schaff الفيلسوف الماركسي كان قد تكلم على افتراض الذاتية كجزء من عمل المؤرخ، أي إقامة المعرفة على أساس من الخبرة الذاتية.

فإذا كان كل شيء ذاتيًا فلماذا لا يكون نظام المعرفة هذا كذلك؟ وإذا لم يكن هناك ضرورة للمنظور لتفسير الوقائع فلماذا لا نحكم أيضًا على الحاضر؟

تقول هرنندز ساندويكا: إن المشكلة هي في الطلب إلى المؤرخين التنبؤ بالمستقبل. فإذا كان التاريخ علمًا فإن ظواهره - كما في العلوم الأخرى - يمكن أن تتكرر إذا ما نشأت الظروف التي ولدتها. والحقيقة - على سبيل المثال -



هتلر وفرانكو

لم يستطع أحد التنبؤ بسقوط «الكتلة الاشتراكية». وقد شرع المؤرخون للتغلب على هذه الفكرة بأخذ عوامل المصادفة والأحداث الطارئة والقفزات التي لا تفسير لها في الحسبان.

وهناك مدرسة أخرى ذات شأن نشأت في الثمانينيات هي المدرسة الإيطالية للتاريخ المجهري MICROHISTORY، ويمثلها كارلو غينزبرغ Carlo Ginzburg في كتابه «الجبن والديدان» يتناول فيه الوصف المفصّل لمحاكمة طحان من قبل محكمة التفتيش؛ وبذلك دشن غينزبرغ تياراً يؤكد أن التاريخ الوحيد الممكن هو تاريخ الأشخاص. ولا يمكن معرفة كيف كان عهد ما إلا بالكلام على حياة أحد أفراده. وقد أثار هذا الكتاب وكتب أخرى لغينزبرغ مناقشة جديدة حول انتشار التاريخ.

تقول هرنندز سادويكا: يعتقد بعضهم أن الأمر إذا كان أمر علم فليس هناك ما يدعو إلى إنشائه. إن المشكلة هي أننا نستخدم لكتابة التاريخ لغة مشتركة ليس لها فيها مصطلح خاص كالعلوم الأخرى. إننا جميعاً نفهم التاريخ لأن الكلمات التي يُحكى بها هي نفسها التي يُعبر بها عن معتقداتنا وأفكارنا، والتي تصف ذاكرتنا. لذلك يؤلم التاريخ أحياناً.

ما يكتب يدوم

قد يُثار ذكرى واعتبار واقع من الماضي إثارةً تامة، إذا ما وجدت وثيقة مجهولة حول الموضوع. وهذا ما حدث مثلاً عندما توصل شامبوليون إلى فك الرموز الهيروغليفية المصرية التي وجدت على حجر عثر عليه في إحدى حملات نابليون، فتم بذلك فتح منظورات جديدة كلياً لعلم الآثار المصرية.

وحدث أمر مماثل عام ١٩٤٦م عندما ادعي اكتشاف مخطوطات البحر الميت في خرائب قمران. وفي عام ١٩٩١م كتب صحفيان إنجليزيان كتاباً عنوانه «فضيحة ملفات البحر الميت» يتهمان فيه المسيحيين بمنع العلميين من استخلاص نتائج حول الوثائق. لقد كانت وثائق محبوكة أريد بها إعادة كتابة التاريخ، وقد أُحكمت من حيث المكان والزمان!.. كرجل الأمن الذي يدس المخدرات في جيب الموقوف ثم يفتشه فيعثر على المخدرات.. ولكن هل تم تحديد قدم المخطوط بالتحليل بطريقة الكربون ١٤؟!.. أم إن ذلك محرم على العلميين؟!

فرانكو وهتلر والحياد المزيف

يروي التاريخ الرسمي - خلال ديكتاتورية فرانكو - حكاية مزيفة عن المقابلة بين هتلر وفرانكو التي تمت في هندايا Hendaya على الحدود الإسبانية الفرنسية في ٢٣ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٤٠م. وقد قيل فيها: إن الجنرال كان قد أوقف الديكتاتور النازي عند حده كي يجنب إسبانيا الدخول في النزاع العالمي. وما هو مؤكد أن فرانكو قد طلب الدخول في الحرب إلى جانب الألمان مقابل الممتلكات الفرنسية في شمال إفريقية، ولكن هتلر لم يقبل الطلب، وبقيت إسبانيا على الهامش نسبياً.

المعلم كونفوشيوس

تم خلال الثورة الثقافية في عهد ماو التبرؤ من كونفوشيوس. والآن يعود المجتمع الصيني ليسترجع صورته أساساً للفكر الصيني.

كان كونفوشيوس يبحث عن حكومة عادلة لا مكان فيها للمفسدين، وأن على الفرد أن يخضع للمجتمع، والابن للأب والمرأة للرجل.

الهوامش

○ الرباند جمع ربيدة، وهي تقابل Archive، وقد اشتقت من فعل ربد: أقام، ومنه جاء اسم مدينة «إربد» في الأردن.

○ منظور: مظهر الموضوع كما يتبدى للعقل من زاوية معينة، أو القدرة على رؤية الأشياء وفقاً لعلاقاتها الصحيحة وأهميتها النسبية.

السرديات واللسانيات.. ما العلاقة؟

عبدالعالي بو طيب
مكناس - المغرب

إذا كان الحديث عن خصوصيات الأجناس الأدبية، بشكل عام مهمة صعبة ودقيقة، فإن الأمر يزداد صعوبة وتعقيدًا حين يتعلق الموضوع - أساسًا - بدراسة الجنس الروائي لأنه الجنس الأدبي الوحيد، من بين الأجناس الأدبية الأخرى كافة الأكثر جدة وتجددًا في الوقت ذاته، مما دفع بعض المنظرين، كباختين مثلاً، لموازنة دراسته بدراسة «اللغات الحية» من حيث المشكلات التي يطرحها، مقابل تشبيهه دراسة الأجناس الأخرى الكلاسيكية بدراسة «اللغة الميتة».

فإذا كانت الأجناس الأدبية الكبرى المعروفة والمشار إليها سابقًا (كالملحمة، والتراجيديا، والكوميديا) قد اكتملت معالمها، واتضحت خطوطها العريضة، مما مكن المنظِّرين والأدباء، على حد سواء، من تكوين تصورات واضحة ومكتملة عنها، تمثلت في كثرة الكتب التي تناولتها بالتحديد؛ فإن الأمر على خلاف ذلك تمامًا فيما يخص الرواية، فهي، بالإضافة إلى كونها لم تكتمل بعد، توجد في حالة تجدد وتطور دائمين، كما لاحظ ذلك باختين في قوله: **«إن الرواية، على خلاف الأنواع الأخرى، لا تمتلك قوانين خاصة، وما هو فعال تاريخيًا، يتشكل من عدة نماذج روائية، وليس من القواعد الروائية بحد ذاتها»(١).**

جنس بلا قانون

وغياب القواعد هذا يعد من أولى الصعوبات التي تواجه كل باحث يود الخوض في هذا المجال، يقول بيرنار فاليط B. Valette: «مهمة النقاد والمنظِّرين أصبحت أكثر صعوبة أيضًا، لغياب القواعد التي على الروائيين اتباعها أو خرقها، فعوض مذاهب كونية، لا توجد إلا تقاليد، وهي أيضًا تختلف تبعًا لتقلبات التقاليد الأدبية»(٢).

غير أنه إذا كانت مسألة غياب القواعد تشكل عائقًا في وجه دارسي الأعمال الروائية، نقادًا ومؤرخين، فإنها تشكل، بالمقابل، عنصر إغراء **وتشجيع بالنسبة إلى الكتّاب والمبدعين الذين أصبحوا يشعرون، وهم يمارسون الكتابة الروائية، أنهم أكثر تحررًا من كل القيود المتواضع عليها، التي من شأنها عرقلة رغبتهم في التعبير عما يحسونه، ولم لا؟! «والرواية هي الجنس الأدبي الذي يرفض، قبل كل شيء، القواعد والمذاهب**



رولان بارت

الإستاتيكية، والحدود التصنيفية، ورهبة النقاد الذين يسعون إلى إقامة نظرية أدبية، إنه جنس أدبي يستهوي الكتاب بالحرية التي يمنحها لهم»(٣)، إلى درجة وصفه معها الناقد ميشيل رايمون بـ «جنس بلا قانون»(٤)، من هنا يمكن تصور حجم الصعوبات التي تعترض الباحث، وهو يواجه جنساً أدبياً على هذه الدرجة من التنوع والليونة، مما انعكست آثاره «السلبية» بشكل واضح على نوعية الدراسات والأبحاث التي شملت هذا اللون التعبيري على مر العصور.

وهكذا، بدلاً من أن تواجه هذه الدراسات إشكالية هذا الجنس الأدبي في ذاته، محاولة استخلاص خصوصياته الإبداعية التي تجعل منه جنساً أدبياً متميزاً من الأجناس الأدبية الأخرى، سيراً مع الرأي القائل: إن: «مفهومنا عن النوع ينبغي أن يتكئ على الجانب الشكلي»(٥) كما يقول صاحبا كتاب «نظرية الأدب»، أقول بدل ذلك: أصبحنا أمام دراسات تتستر عن هذا العجز المنهجي في مواجهة جوهر الإشكال، إما بموازنة الرواية بأجناس أدبية مشابهة لها، وإما بالتحول للتاريخ الأدبي لربط الرواية بالأجناس الأدبية السابقة لها، والتي تعدّ الرواية امتداداً متطوراً لها. كما تنبّه لذلك B.Valette: «إن محاولات تعريف الرواية، مع أنها من الكثرة والتنوع بالقدر الذي هي عليه، تصنف عملياً، جميعها في خطوتين اثنتين:

- إما أن تقابل الرواية بأجناس أدبية مجاورة «أقصوصة، حكاية، سيرة ذاتية أو تاريخية».
- وإما أن تستعرض التطور التاريخي لنشوء الرواية...»(٦).

قطيعة مع التصورات السابقة

وبذلك يمكن القول: إن المحاولات التنظيرية الأولى التي تناولت الرواية. تبقى، مع ذلك، دراسات تندرج في مجال تاريخ الأدب، أو سوسيولوجيا الأدب، أكثر منها دراسات تدخل في إطار محاولة استخلاص خصوصيات هذا الجنس الأدبي، بالتعامل معه، في ذاته ولذاته، كشكل تعبيري متميز من غيره من الأجناس الأخرى. إلى أن جاء الشكلانيون الروس، أوائل هذا القرن، فحققوا - باعتراف الجميع - ما يمكن أن نسميه، كما يقول باشلار، بـ القطيعة المعرفية (الإبستمولوجية) مع التصورات الأدبية السابقة، وذلك بدعوتهم للاهتمام بدراسة ما يجعل من عمل ما عملاً أدبياً، ولا شيء غير ذلك. يقول جاكوبسون Jakobson: «إن موضوع علم الأدب، ليس هو الأدب. وإنما الأدبية، أي ما يجعل من عمل ما عملاً أدبياً»(٧).

وبذلك وضعوا حداً للوضعية الشاذة السابقة التي كان عليها الأدب بكونه «أرضاً لا مالك لها»(٨) على حد تعبير بنسلوفسكي. فما نتائج هذا التحول الإجرائي والمنهجي على الدراسة الأدبية بشكل عام، ودراسة النصوص السردية والروائية منها على الخصوص؟

إذا كنا قد قلنا سابقاً: إنّ الشكلانيين الروس قاموا بما يشبه القطيعة المعرفية (الإبستمولوجية) في مجال الدراسة الأدبية، فذلك ليس من قبيل المبالغة، ويكفي لإبراز ذلك أن نورد مبدأين من المبادئ المهمة التي ارتكزوا عليها في بناء تصورهم كيف ينبغي أن يكون التعامل مع النصوص الأدبية؟ الأول: «هو وضع العمل الأدبي في مركز اهتمامهم، رافضين المقاربات النفسية (السيكولوجية) أو الفلسفية أو الاجتماعية (السوسيولوجية) التي كانت في ذلك الوقت تسير النقد الأدبي الروسي»(٩). أما الثاني فقد لخصه فشلوفسكي في عنوان إحدى مقالاته «الفن كنسق»: «فعن طريق رفضهم كل صوفية لا يمكن إلا أن تحجب فعل الخلق، والعمل الأدبي ذاته، حاول الشكلانيون وصف صنعة هذا الأخير بمصطلحات تقنية»(١٠)، وهو ما انعكس بشكل إيجابي على الدرس الأدبي عامة، وأدى فيما بعد إلى خلق الاتجاهات اللسانية في تحليل النصوص الأدبية، وهكذا أصبحنا نسمع بين الفينة والأخرى، نداءات تصدر عن نقاد ومنظّرين يحاولون فيها وضع حدود واضحة للنص الأدبي، بكونه بنية مستقلة ومكتفية بذاتها، بعيداً عن كل ما هو خارج - نصي (Extra - Texte) الواقع مثلاً، مما يمكن أن تكون له انعكاسات سلبية على الدراسة الأدبية: «إن الأدب - قبل كل شيء - محاكاة للحياة، كما هي، وللحياة الاجتماعية بشكل خاص، غير أن الأدب ليس بديلاً عن علم الاجتماع أو السياسة، وهو يمتلك هدفه وتسويغه الخاصّين به»(١١). بل هناك من ذهب إلى ما هو أبعد، فنادى

> **إذا كانت مسألة غياب القواعد تشكل عائقاً في وجه دارسي الأعمال الروائية، نقاداً ومؤرخين، فإنها تشكل، بالمقابل، عنصر إغراء للكتاب والمبدعين لتحررهم من كل قيد**

بضرورة قطع الصلة بين النص والمؤلف، على أنها خطوة ضرورية أولى في سبيل إقامة صرح علم الأدب: «فالكثير من الباحثين أكدوا خلال العشرين سنة الأخيرة، أنه من غير الممكن الوصول إلى دراسة علمية للظواهر الأدبية إلا بشرط عدم طرح مسألة المؤلف، فهي بالفعل غريبة جذريا عن الفكر العلمي»(١٢).

كل هذه التحولات كانت نتيجة مباشرة، كما أشرنا، للخطوة التي دشنها وقادها الشكلانيون الروس، والتي عمت أصداؤها لتشمل دراسة النصوص الحكائية، موضوع بحثنا هذا، ويكفي لإدراك ذلك التذكير بقيمة العمل الطلائعي الذي أنجزه الباحث الروسي ف. بروب V. Propp في كتابه «مورفولوجية (صيغة أو شكل) الحكاية الشعبية الروسية» بوصفه أحد أفراد هذه الجماعة، والآفاق التي فتحها مشروعه في وجه دارسي هذا اللون التعبيري على الخصوص، وهي المساهمة التي ما فتئ الباحثون يشيدون بها حتى الآن: «على أن المساهمة المركزية لبروب في مجال البحث الأدبي لا تتلخص في اكتشافه نموذجا عاما لتفسير القصص، وإنما في الأفق الذي أصبح ملموسا بعده، فلقد انفتح الطريق فجأة أمام بحث مستقل في المحكي، يعتمد على وحداته الصغرى، وأصبح ذلك برهانا ساطعا على إمكانية استقلال علم الأدب، ذلك الحلم الذي خامر الشكلانيين الروس في أوائل هذا القرن ومازال يشغل بال الإنشائيين المعاصرين»(١٣).

وهكذا وبفضل أعمال بروب وجماعة الشكلانيين الروس، أصبحت النصوص الحكائية غير المتناهية (infini)(١٤) ـ حسب تعبير بارت R. Barthes ـ لا تشكل عائقا في وجه الدارس؛ لأن أمرها لا يخرج عن إطار احتمالين اثنين:

ـ الأول ينطلق من الرأي القائل إن المحكي هو نقل لحوادث، لا يمكن الحديث عنه دون إرجاعه لعبقرية الراوي Le Conteur الكاتب وقدرته، وهو رأي يسعى ـ كما هو واضح ـ إلى إعطاء تفسيرات أسطورية، تقوم ـ أساسا ـ على اعتبار مصادفي alea-toire معقد جدا، بعيدا عن كل معيار علمي موضوعي.

بينما ينطلق الثاني من الفرضية القائلة إن كل محكي له قواعد بنوية مشتركة توحده بباقي القصص الأخرى، بحيث لا أحد يمكنه إنتاج قصة دون الاعتماد على نسق ضمني من الوحدات والقواعد.

على أننا إذا كنا مقتنعين بوجاهة الاحتمال الثاني، فإن المشكل الذي يفرض نفسه في هذه الحالة هو: أين وكيف ينبغي البحث عن هذه البنية أو القواعد المشتركة التي يمكن أن نرجع إليها كل هذا الركام الهائل وغير المتناهي من النصوص الحكائية؟

قد يبدو الجواب عن هذا السؤال لبعض الناس سهلاً، وقد يذهب بعضهم إلى ما هو أبعد، فيطعن في مشروعية طرحه وصلاحيته من الأساس، مادام متيقنا بأن البحث عن هذه البنية



الحكاية يمكن تقديمها بوسائل مختلفة منها المسرح

يجب أن ينطلق طبعا من المحكي في ذاته دون سواه، غير أن المجيب في هذه الحالة ينسى، أو يتناسى، أننا لسنا أمام حكاية واحدة، وإنما أمام عدد لا حصر له من الحكايات، فكيف يمكن تجاوز ذلك؟ ومن ثم الحصول على ما نسعى إليه، وهو البنية السردية المشتركة والموحدة بين جميع الحكايات المتناثرة هنا أو هناك عبر الزمان والمكان؟

منهجان متناقضان

إن هذا التساؤل يدفعنا إلى العمق لممارسة عملية اختيار حاسمة وضرورية بين منهجين متناقضين لتجاوز الإشكال:

ـ الأول هو المنهج الاستقرائي La methode induc-tive(١٦) الذي يستوجب التعامل مع جميع الحكايات الواحدة تلو الأخرى، متناسياً أننا نتعامل مع متن ضخم من جهة. ومتنام مع مرور الزمن من جهة أخرى.

ـ والثاني منهج إسقاطي La methode de ductive(١٧) ينطلق من نموذج تقريبي مسبق، يحاول، بعد ذلك، تشذيبه، في محاولة لجعله مطابقاً، دائماً، للحكايات الخاصة التي تواجهنا، تماماً كما فعلت اللسانيات في دراستها للغات.

فأيهما نختار؟ أو بتعبير أصح، أيهما أكثر إسعافاً إجرائياً من الآخر؟ لعل التعليق الذي أورده بارت Barthes بخصوص أنصار المنهج الأول ودعاته يعفينا من التفكير في الجواب عن هذا السؤال، ويعكس ضمنياً موقفنا من هذا الاختيار، يقول: «فهم يطالبون بإقدام أن نطبق على المحكي منهجاً استقرائياً محضاً، وأن نبدأ بدراسة مجموع حكايات كل نوع، وكل حقبة، وكل مجتمع، لننتقل بعد ذلك إلى رسم نموذج عام، إن هذه النظرة وهمية على حسن نيتها، فاللسانيات ذاتها التي ليس عليها أن توثق سوى لثلاثة آلاف لغة فقط لم تصل إلى ذلك، وبحكمة اكتفت بأن تكون إسقاطية، ومنذ ذلك اليوم تمكنت من تأسيس نفسها حقاً، وتقدمت بخطا عملاقة، متمكنة أيضاً من تصور حالات لم يتم بعد اكتشافها، فماذا يمكن القول عن التحليل السردي الذي يوجد في مواجهة ملايين النصوص؟ إنه محكوم بالقوة على اتباع المسطرة الإسقاطية، إنه مجبر على تصور نموذج افتراضي للوصف أولاً (يسميه اللسانيون الأمريكيون بـ نظرية (theorie)، ثم الانحدار بعد ذلك شيئاً فشيئاً، انطلاقاً من هذا النموذج نحو الأصناف(Les especes) التي تشاركه وتخالفه في الوقت نفسه، فعلى مستوى هذه المطابقات وحدها، ومن هذه الانزياحات التي سيصادفها، نتمكن، إذن، من إقامة أداة فريدة لوصف تعددية الحكايات وتنوعها التاريخي، والجغرافي، والثقافي، فلوصف لا نهائية الحكايات وتصنيفها، يجب، إذن، وضع نظرية(theorie) بالمعنى التداولي الذي أتينا على ذكره»(١٨).

وهكذا يتضح أن الخطوة الأولى التي يجب الانكباب على دراستها، في رأي بارت Barthes، تتمثل في وضع الخطوط الرئيسة لهذا النموذج/النظرية ذي الطابع المجرد قبل أي شيء آخر، ولتسهيل ذلك يقترح علينا الاستعانة باللسانيات، مادام بإمكانها تزويدنا بما يلزم من مصطلحات ومفاهيم من جهة، ولكونها من جهة ثانية. تتخذ، كالأدب، من اللغة موضوعاً ومادة لها، أو لم يميز أرسطو في كتابه «فن الشعر» الأدب من باقي الفنون الأخرى، كالموسيقى والنحت، بكونه يتخذ اللغة وسيلة للمحاكاة خلافاً للفنين الآخرين اللذين يتخذان، على التوالي، من الصوت والصخر وسيلتهما لتحقيق ذلك؟

على أنه إذا كان من المسلّم به تقريباً، أن دراسة المحكي يجب أن تقوم على أساس لساني، للأمور السالف ذكرها، فإن هناك مع ذلك عائقاً يحول دون تطبيق الباحث لذلك المبدأ. ويتمثل في الحدود القصوى الموضوعة للسانيات بوصفها علماً يختص بدراسة اللغة، إذ: «من المعروف أن اللسانيات تقف عند الجملة، وهي آخر وحدة تقدر أن لها الحق في الاهتمام بها»(١٩). وبذلك يصبح المحكي خارج نطاق اختصاصها. مما يستوجب البحث عن لسانيات أخرى تدخل في اهتمامها ما أسقطته الأولى. ومن ثم تعنى بدراسة الخطاب بشكل عام، بما فيه ـ طبعاً ـ الخطاب السردي موضوع حديثنا الحالي.

> المساهمة المركزية لبروب في مجال البحث الأدبي لا تتلخص في اكتشافه نموذجًا عامًا لتفسير القصص، وإنما في الأفق الذي أصبح ملموسًا بعده

روابط وتماثلات

على أنه إذا كانت اللسانيات الجديدة المختصة بدراسة الخطاب لم تؤسس بعد، فإنها، على الرغم من ذلك، توجد بشكل افتراضي ضمني على الأقل من قبل اللسانيين أنفسهم، لكونها فرعاً معرفياً ينبغي إيجاده، إن لم نقل: إنه موجود بالقوة بحكم العلاقة القائمة بين الجملة (موضوع اهتمام اللسانيات القديمة)، والخطاب (موضوع اهتمام اللسانيات الجديدة)، والمتمثلة في كونهما معاً يتشكلان من اللغة. صحيح أن بين القصة كخطاب، والجملة مع ذلك، اختلافات أساسية، أبسطها ما عبر عنه بارت نفسه حين قال: «بنوياً القصة مساهمة للجملة، إلا أنها لا يمكن أن تختزل لمجموعة من الجمل»(٢٠). وهو الرأي نفسه تقريباً الذي أبرزه بشكل آخر الباحث السيميائي الفرنسي كريماس Greimas في معرض موازنته بين

النص السردي والجملة، في المقدمة المهمة التي وضعها لكتاب كورتيس Courtes «مدخل لسيميائية الخطاب السردي» إذ قال: «الخطاب على عكس الجملة المعزولة يملك ذاكرة Une memoire»(٢١).

غير أن هذا - مع ذلك - ينبغي ألا ينسينا ما يمكن أن يوجد بينهما من روابط وتماثلات تسمح للدارسين باتخاذ الجملة، بمصطلحاتها ومفاهيمها وقواعدها التركيبية، قاعدةً وخطوةً تمهيدية أساسية أولى في مشروع إقامة اللسانيات الجديدة. ومن ثم فتح آفاق واسعة لتحليل الخطاب، خصوصاً ونحن نعلم أن هناك تنظيماً شكلياً واحداً يؤطر جميع الأنساق السيميائية على اختلاف أصنافها وأحجامها، وهو ما يسمح بافتراض: «أن الخطاب يصبح - جملة - كبيرة (حيث الوحدات لن تكون بالضرورة جملاً). مثلما أن الجملة، عن طريق تميزات معينة، تصبح خطاباً صغيراً»(٢٢).

انطلاقاً من هذه الفرضية - المشروعة - للعلاقة بين الجملة والخطاب، واحتساباً كذلك للعلاقة القائمة بين الخطاب والمحكي. يمكننا استخلاص فرضية أخرى فحواها أن: القصة جملة كبيرة(٢٣). وهو ما يسمح لنا بتمرير كل ما يتعلق بلسانيات الجملة الصغيرة، من مفاهيم وأدوات إجرائية، للجملة الكبيرة (المحكي/الخطاب)، وبذلك تحل إشكالية إيجاد نحو (Grammaire) للمحكي، على شاكلة ما هو موجود بالنسبة إلى الجملة، من جهة، وتوطد علاقة الأدب بمادة اشتغاله اللغة، من جهة أخرى، وهذا ما حاول بارت تأكيده حين قال: «قد نجد بالفعل في المحكي بتضخيمات وتحويلات تناسب حجمه المستويات الأساسية للفعل: الأزمنة، المظاهر، الصيغ، والضمائر»(٢٤).

بعد هذا التمهيد الذي حاولنا من خلاله إبراز التحولات الأساسية التي عرفها مسار البحث في النص الحكائي عبر مراحله التاريخية المختلفة، يمكننا الآن التساؤل عما استفاده التحليل الحكائي من ارتباطه باللسانيات؟

مستويات الوصف

إن أول ما منحته اللسانيات للتحليل البنوي للمحكي هو المفهوم الإجرائي الحاسم والأساسي القائم على أن أهم خطوة تحدد فهمنا لأي نسق أو بنية، هو معرفتنا بكيفية تنظيم عناصره، وكذا نوعية العلاقات القائمة فيما بينها، إذ من دون ذلك لا يمكن بأي حال من الأحوال تفكيكه ولا استخراج معناه، مما يسمح لنا مبدئياً بتغيير تصورنا المبسط للمحكي كمجموع جمل فحسب، بنسق معقد من العناصر المتداخلة يجب فك الارتباط فيما بينها اعتماداً على المفهوم اللساني المتمثل في «مستويات الوصف» Les niveaux de description، بحيث إنه إذا كانت الجملة، مثلاً توصف لسانياً على مستويات متعددة (المستوى الصوتي، المعجمي التركيبي، والسياقي التداولي إلخ...) وتقيم بينها ما يسميه بارت علاقة تراتبية(Un Rapport Hierarchique). يتجلى ذلك بشكل واضح في كون المستويات السابقة للجملة، على الرغم من أن كلاً منها يشتمل على عناصره الخاصة، التي تستوجب وصفاً خاصاً بها، في استقلال تام عن باقي عناصر المستويات الأخرى، إلا أنه، مع ذلك، لا يمكن لأي مستوى وحده خلق المعنى. بالإضافة إلى كونه لا يكتسب معناه الخاص إلا عبر إدماجه في مستوى أعلى منه: «كل وحدة تنتمي إلى مستوى معين، لا تكتسب معنى، إلا عندما تتمكن من الاندماج في مستوى أعلى. فالفونيم (الوحدة الصوتية)، مع أنه موصوف في ذاته، فهو لا يعني شيئاً، ولا يشارك في المعنى إلا مدمجاً في كلمة. والكلمة نفسها يجب دمجها في الجملة. إن نظرية المستويات - كما أعلن عنها بنفنيست(Benveniste) - تمنح صنفين اثنين من العلاقات. توزيعية (distribu-tionnelles): «إذا كانت العلاقات متوضعة على المستوى نفسه»، واندماجية (integratives): «إذا كان التداخل من مستوى إلى آخر». وينتج من هذا أن العلاقات التوزيعية لا تكفي لإدراك المعنى، فللقيام بتحليل بنوي، يجب إذن أولاً تمييز عدد من المستويات، ووضع هذه المستويات ضمن منظور تراتبي (اندماجي) integratoire»(٢٥). وهي القناعة نفسها تقريباً التي تنتهي إليها آراء أغلب واضعي نظرية السرد الغربيين إن لم نقل كلهم، على اختلاف مشاربهم، وتنوع المصطلحات التي استعملوها للتعبير عنها. وهكذا فإذا ما أخذنا تودوروف Todo-rov، على سبيل المثال، فسنرى أنه يحدد مستويات دراسة المحكي في العناصر الآتية: «أقترح الاشتغال على مستويين كبيرين قابلين بدورهما للتقسيم: الحكاية (L'histoire) وتتكون


جاكوبسون

من منطلق للأعمال (une logique des actions)، ومن تركيب للشخصيات، والخطاب (Le discours) ويتضمن الأزمنة، والمظاهر، والصيغ المتعلقة بالمحكي»(٢٦). مما يدفعنا مبدئياً إلى القول، بأن قراءة المحكي وفهمه لا يعنيان - بأي حال من الأحوال - الانتقال من كلمة إلى أخرى على المستوى الأفقي فقط، وإنما هما - بالإضافة إلى ذلك - انتقال عمودي بين المستويات أيضاً.

مفهومان متلازمان

على أن ما يدعم مصداقية هذا التمييز في المحكي بين الحكاية والخطاب، ما نراه في الغالب من إمكانات لا حصر لها للتعبير عن الحكاية الواحدة، كموضوع للحكي بوسائل تعبيرية ومتنوعة، دون أن يؤثر ذلك في شيء من الحكاية/المادة التي تظل محافظة في جميع الحالات على جوهرها، فالحكاية: «يمكن أن تحكى بألف طريقة، وبوسائل تقنية جدّ مختلفة، وبمواد متنوعة. فالمحكي ذاته يمكن أن يتخذ موضوع لوحة، فيلماً أو أفلاماً، كما هو الأمر الآن، موضوع رواية... وبكلمة واحدة التمظهرات يمكن أن تتنوع، غير أن المحكي ما فوق اللساني (Translinguistique) يظل منطقياً سابقاً، وله الحق في تجليه الخاص»(٢٧). وهو ما أكده أيضاً كلود بريمون C. Bremond بقوله: «بنية القصة مستقلة عن التقنيات التي تتولى تأديتها، إذ يسهل نقلها من واحدة إلى أخرى، دون أن تفقد شيئاً من خصائصها الجوهرية. موضوع الأقصوصة يمكن أن يستخدم كعرض موجز للباليه، وموضوع الرواية يمكن أن ينقل إلى المسرح أو الشاشة، ويمكننا أن نقصّ فيلماً على من لم يشاهده، هناك كلمات نقرؤها، وصور نراها، وحركات نفسر معناها، ولكن خلال ذلك كله قصة نتابعها، ولعلها القصة نفسها»(٢٨). إلا أنه إذا كان واضعو نظرية السرد قد اتفقوا بالشكل الذي حاولنا إبراز مظاهره، على ضرورة تقسيم المحكي إلى مستويات محددة، فإنهم مقابل ذلك اختلفوا في المصطلحات التي وظفوها للتعبير عن ذلك.

ومع ذلك، وكيفما كانت التسميات التي أطلقها المنظّرون للتدليل على هذين المستويين، فمن الواجب التذكير بمسألة أساسية تتمثل في الطبيعة الإجرائية لهذا التصنيف، بحيث لا ينبغي أن يؤخذ على أساس كونه حقيقة فعلية قائمة على مستوى الواقع، ذلك أنه، كما قال أحد المنظّرين مؤكداً العلاقة التلازمية الموجودة بين هذين المستويين: «السرد والحكاية المتخيلة كلاهما مفهومان متلازمان، فلا قصة متخيلة من دون سرد، ولا سرد من دون قصة متخيلة»(٢٩).

المراجع والهوامش

١. ميخائيل باختين، الملحمة والرواية، ترجمة: د. جمال شحيد، سلسلة كتاب الفكر العربي، ٣، معهد الإنماء العربي، الطبعة الأولى ١٩٨٢م، ص٢٠.

2-B. Valette, Esthetique du roman moderne. ed. Nathan, p:8.
3-B. Valette, Op. cit, p:7.
4-Michel Raimond, Le roman, Armond Colin, p:19.

٥. رونيه ويليك، وأستين وارين، نظرية الأدب، ترجمة: محيي الدين صبحي، مراجعة د. حسام الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات والطبع، الطبعة الثانية، ١٩٨١م، ص٢٤٤.

6-B. Valette, Op. cit, p:5.

٧. نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس: ترجمة إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الأولى ١٩٨٢م، ص:٣٥.
٨. المرجع السابق، ص:٣٥.
٩. المرجع السابق، ص:١٦.
١٠. المرجع السابق، ص:١٧.
١١. رونيه ويليك، وأوستين وارين، مرجع سابق، ص:١٤٤.

12-R. fayolle, La critique, Armond Colin, 1978, p:206.

١٣. إبراهيم الخطيب، مقدمة ترجمة كتاب فلاديمير بروب: مورفولوجيه الخرافة، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ١٩٨٦م، ص:١١.

14 - R. Barthes, Introduction a L' analyse structurale des recits, in L'analyse structurale du recit. communications 8, ed. Points, P:7.
15-16-17-18- R. Barthes, in Op. cit. P:8.
19- R. Barthes, in Op. cit. P:9.
20- R. Barthes, in Op. cit. P:10.
21-J. Courtes, introduction a la semiotique narrative et discursive, ed: Hachette Universite, P:19.
22-R. Barthes, in Op. cit. P:9.
23-24-R. Barthes, in Op. cit. P:10.
25-26-R. Barthes, in Op. cit. P:11.
27-Jean Francois Halte - Andere Petit Jean, Pratique du recit, CEDIC, Textes et non textes, p: 117/116.

٢٨. جان ريكاردو، قضايا الرواية الجديدة، ترجمة: صباح جهيم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ص:١٢١.
نلاحظ بالإضافة إلى التسميات السابقة التي أشرنا إليها (حكاية/خطاب)(Histoire/discours)،
(ملفوظ/تلفظ) (enonciation/enonce) و(سرد/تخييل) (narration/fiction).

29-J. Francois Halte - A. Petit Jean, Op. cit. P:89.

الخبرة الطبية في التشريع الإسلامي

محمد فؤاد الذاكري
حلب - سورية



قد يعجب بعضنا أن يكون مشترعو الإسلام قد تنبهوا لنظام الخبرة الطبية والفنية، وعدّوا ذلك من حسنات التشريعات الحديثة. ومما لا ريب فيه أن القضاء في الإسلام يعتمد على نظام الخبراء الفنيين المختصين، ولا يصدر حكمًا في أي قضية تحتاج إلى خبرة خبير طبي أو فني إلا بالاعتماد على شهادة الخبير وتقريره.

ولا بد من الإشارة إلى أصل واضح في التشريع الإسلامي المنزّل يقرر نظام الخبرة الفنية بأنواعها (طبية - هندسية - زراعية... إلخ)؛ وذلك لقوله تعالى: *فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون*. النحل: ٤٣.

وقد أشار فقهاء الإسلام إلى هذا الأصل في كتبهم كافة، وأوضحوا أن (أهل الذكر) هم أهل الخبرة في كل فن وصناعة، وذو الخبرة الذي يخبر الشيء بعلمه، مصداقًا لما جاء في التنزيل العزيز: *فاسأل به خبيرًا*. الفرقان: ٥٩.

وقد عرف القضاء الإسلامي الخبراء الفنيين بأسماء مختلفة، كلها تدل على معنى واحد. فتارة باسم أهل الذكر، وتارة باسم أهل العلم(١)، وحينًا باسم أهل البصر(٢)، وأحيانًا باسم أهل الخبرة(٣)، ونحوها من الألفاظ والأسماء الكثيرة المستفيضة في الكتب الفقهية مما يدل دلالة قاطعة على أن المقصود بهم مجموعة الأشخاص من أرباب المهن (هندسة - طب - محاسبة...)، وغيرهم الذين تستعين بهم المحاكم للاستنارة بآرائهم في القضايا والموضوعات التي يحتاج إدراك كنهها، والوقوف على حقيقتها إلى علم خاص.

الخبرة الفنية في كتب الحسبة

ورد في كتب الحسبة صفات الخبير الفني المتخصص الذي يستعين به المحتسب للوقوف على دقائق المهنة وتفاصيلها، أو الصناعة ومعرفة الغش والتدليس الحاصل فيها، وهذا لا يتحقق إلا بوجود شخص مهني مختص ملم بها، ويوصف بأنه «رجل ثقة أمين بصير بصنعتهم»(٤)، وفي موضع آخر: «رجل ثقة بصير بعملهم وتدليسهم»(٥)، ومثال على ذلك: من المعروف أنه من جملة مهام المحتسب في العهود السابقة، امتحان الأطباء واختبار علومهم وفنونهم بحسب اختصاصهم (طبيب باطني - جراح - كحال...)، وإعطاؤهم إجازات تبيح لهم العمل في مجالهم، واستبعاد غير الأكفاء الذين لم يثبتوا جدارة كافية في أثناء الامتحان، وسحب تراخيصهم، «فلا يجعل لهم مداواة المرضى، ولا يجوز لهم الإقدام على علاج يخاطر فيه، ولا يتعرض لما لا علم له فيه. وفي حديث عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من تطبَّب ولم يعلم منه طبٌ قبل ذلك فهو ضامن»(٦).

من الطبيعي أن يعتمد المحتسب في امتحان الأطباء على مقدم الصناعة الطبية الذي يوصف بأنه حكيم مشهور بالحكمة؛ لأنه ليس واجبًا أن يلم المحتسب بالصناعة الطبية أو غيرها من الصناعات والمهن التي تحتاج إلى علم خاص

ومن الطبيعي أن يعتمد المحتسب في امتحان الأطباء على مقدم الصناعة الطبية الذي يوصف بأنه حكيم مشهور بالحكمة(٧)؛ لأنه ليس واجبًا أن يلم المحتسب بالصناعة الطبية أو غيرها من الصناعات والمهن التي تحتاج إلى علم خاص، فنراه يلجأ إلى خبير طبي، أمين ثقة عارف يعتمد على قوله(٨).

نظام الخبرة الطبية

ذكر مشترعو الإسلام تطبيق نظام الخبرة الطبية في القضايا الجزائية، ومن ذلك وجود خبراء (أطباء مختصين) لتقدير درجة الأضرار والأذيات التي تصيب الأعضاء الإنسانية (الأنف، الأذن، العين، الأسنان...)، وما فات من جمال الإنسان على إثر تشويهه، أو الاعتداء عليه بضرب أو جرح ونحوهما، بالإضافة إلى وصف الجروح، وتقدير نسبة التعطيل في وظائف الأعضاء من جراء الكدمات والسحجات والترضيض.

والخبير الطبي هو الطبيب المكلف بإجراء الفحوص الطبية بناء على طلب السلطات القضائية، ويشترط أن يحسن القيام بالأعمال التي يعهد بها إليه بصدق وأمانة، وألاّ يثبت في تقاريره إلا الحقيقة، ويجب أن يتسم بصفات الهدوء والتأني والمتانة والصبر والحلم والرقة والجرأة وسعة الخلق وعدم التأثر والمحاباة من الوجهة الأخلاقية، وبالدرس والتنقيب والثبات من الوجهة العملية.

قال الإمام - محمد بن إدريس الشافعي - رضي الله عنه - «وإذا ضرب الرجل الرجل، فقال قد صممت، سُئل أهلُ العلم بالصمم»(٩)، وقال أيضًا: «...فإن جرحت عين رجل، أو ضربت أو ابيضت، فقال المجني عليه: قد ذهب بصرها، سئل أهل العلم بها...»(١٠).

رسم متخيل للعالم العربي الرازي

وبالنسبة إلى كيفية التحقق من نقص البصر يذكر الشافعي طريقة رائعة فيها الإصابة والفن، ولعل المبدأ الأساسي لهذا التحقق لايزال مطبقًا في الزمن الحاضر، قال الإمام الشافعي: «وإذا ضرب الرجل عين الرجل، فقبلت قول أهل البصر بالعيون: إن بصرها نقص، ولم يحددوا نقصه، ولا أحسبهم يحددونه، أو قبلت قول المجني: إنه نقص، اختبرته بأن أعصب على عينه المجني عليها، ثم أنصب له شخصًا على ربوة أو مستوى، فإذا أثبته بعدته حتى ينتهي بصره فلا يثبته. ثم أعصب عينه الصحيحة، وأطلق عينه المجني عليها، فأنصب له شخصًا، فإذا أثبته بعدته حتى ينتهي بصرها، ثم أذرع منتهى بصر المجني عليها، والعين الصحيحة، فإن كان يبصر بها نصف بصر عينه الصحيحة جعلت له نصف أرش(١١) العين.

وإن قال أهل البصر بالعيون: إن البصر كلما أبعدته كان أكلّ له، وكانوا يعرفون بالذرع قدر ما ذهب من البصر معرفة إحاطة، قبلت منهم، وإن لم يعرفوا معرفة إحاطة، أو اختلفوا، جعلته بالذرع؛ لأنه الظاهر.

ولقد سمعت بعض من ينسب إلى الصدق والبصر يقول: لا يحدّ أبداً نقص العين إذا بقي فيها من البصر شيء قل أو كثر إلا بما وصفت من نصب الشخص له»(١٢).

ونلاحظ أن المشرع يأخذ الأعراض المرضية المعتبرة بالمعاينة الطبية، ويعتمد الأعراض المرئية الظاهرة، ولا عبرة للأعراض المروية التي لم تتأيد بالأعراض المرئية؛ لأنه قد يتصنع بعض المدعين أو المجروحين أوضاعاً مهلكة، وإصابات غير حقيقية؛ بغية إغفال الخبير الطبي أو القاضي لاستحصال تعويض لا يستحقونه، وإيقاع العقوبة بخصومهم. فيجب على الخبير الطبي ألاّ يأخذ بظواهر الأمور وألاّ يصغي إلى محيط الجريح الذي لا يقلّ غيرة عن الجريح في السعي إلى تلقين الخبير الطبي صحة تأثر الجريح، وخطورة حالته، بل عليه أن يدقق الآثار الجراحية المادية، فيظهر له المصطنع من الحقيقي.

دية الأسنان

فطن المشرع إلى عواقب التشويه الحاصل في الأسنان من جراء الصدمات والرضوض، قال الشافعي: «ولم أر بين أهل العلم خلافاً في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في السن بخمس... فالثنايا والرباعيات والأنياب والأضراس... وفي كل واحد منها إذا قلع خمس من الإبل لا يفضل منها سن على سن»(١٣).

ويستند على ذلك بحكم عبدالله بن عباس، رضي الله عنهما، حين سئل: ماذا في الضرس؟ فأجاب: فيه خمس من الإبل، فسئل: أتجعل مقدم الفم مثل الأضراس. فأجاب: لو لم تعتبر ذلك إلا بالأصابع عقلها سواء(١٤). وهكذا يقرر الإمام الشافعي: إذا أثغر الرجل، واستخلفت أسنانه، فكبيرها ومتراصفها وصغيرها وتامها وأبيضها وحسنها سواء في العقل، كما يكون ذلك سواء فيما خلق من الأعين والأصابع التي يختلف حسنها وقبحها(١٥).

جمال الأسنان

قد يكون الضرر الحاصل في الأسنان منحصراً في سوء المنظر التجميلي فقط، فيقول الشافعي: «إذا جنى رجل على سن رجل فاسودّ مكانها فعليه حكومة، وكذلك

يجب على الخبير الطبي ألاّ يأخذ بظواهر الأمور، بل عليه أن يدقق الآثار الجراحية المادية، فيظهر له المصطنع من الحقيقي



الوصفات الطبية تزخر بها المؤلفات العربية القديمة

إن آلمها ثم اسودّت بعد أو دميت ثم اسودّت بعد؛ وإن أقامت مدة لم تسودّ ثم اسودّت بعد سئل أهل العلم فإن قالوا: هذا لا يكون إلا من جناية الجاني فعليه حكومة»(١٦).

وحكم المشرع يعتمد على إدراكه منفعة الأسنان وأهميتها وتقديره للناحية الجمالية، لأنه «في الأسنان والأضراس منفعة بالمضغ وحبس الطعام والريق واللسان وجمال فلا يجوز أن يجني الرجل على الرجل فتسودّ سنه وتبقى لم يذهب منها شيء إلا حسن اللون، فاجعل الأرش فيها تاماً»(١٧).

وقد يحدث كثيراً أن يكون أذى الأسنان موروثاً، أو ملازماً لحالات مرضية معينة، أو تناقص وظائف الأسنان، ناجماً عن التقدم في العمر، ولم يفت الشافعي

ذكر تلك الحالات فقال: «وإذا وهى فم الرجل من مرض أو كبر فاضطربت أسنانه أو بعضها.. فقلع الرجل المضطربة منها...»(١٨).

أسنان الأطفال

القاعدة العامة يقررها المشرع بقوله: «وإذا نزعت سن الصبي لم يثغر انتظر به فإن أثغر فوه كله ولم تنبت السن التي نزعت ففيها خمس من الإبل»(١٩).

ولما كان للتعويض المادي (الدية) دور مهم في التشريع الجزائي الإسلامي فيما يتعلق بالشجاج والجروح والكسور والتشويه الجسدي وتفويت الجمال الإنساني، فقد حرص المشرع أن يضع أسماء وصفات خاصة بأذيات الأسنان ليتم تقدير نسبة العيوب والتعطيل بحسب الحالة الموصوفة من قبل الخبير الطبي والحكم بالتعويض الشرعي الموافق.

وفيما يأتي ما ورد بخصوص الأضرار الواقعة على أسنان الأطفال (اللبنية)، وما ينجم عنها من عواقب وآثار معيبة على الأسنان الدائمة التي يمكن أن تبزغ فيما بعد وهي:

أولاً: الناقصة الطول عن التي تقاربها نقصاً متفاوتاً.

ثانياً: غير المستوية النبتة بعوج كان إلى داخل الفم أو خارجه أو في شق.

ثالثاً: سوداء أو حمراء أو صفراء.

أعضاء جسم الإنسان في مخطوط عربي قديم

رابعاً: قصيرة عن التي تليها بما تفوت به سن مما يليها.

خامساً: مفروقة الطرفين.

سادساً: ناقصة أحد الطرفين(٢٠).

يظهر لنا جلياً الأهمية التي أولاها المشرع الإسلامي للخبير الطبي وشهادته؛ وذلك في فرض العقوبات، وتحديد المسؤوليات؛ حفظاً للحق العام والحقوق الشخصية معاً، فالخبير الطبي سيدلي بشهادته في الحالة المعروضة عليه أمام المحكمة، وبناء على أقواله سيصدر القاضي حكمه الشرعي الموافق.

وفي الإطار العام يجب أن تتوافر في الخبير صفات الشاهد العامة وهي: الحرية والعقل والإسلام والبلوغ والصلاح في الدين والمروءة والتيقظ(٢١)؛ لأن شهادة الخبير الطبي أو تقريره هو (البيِّنة) لوقوع صحة البيان بقوله، وارتفاع الإشكال بشهادته؛ وذلك غاية التزكية، وبها يتم ويتحقق العدل الذي هو أصل في كل فضيلة، فالإمام لا تثبت ولايته، ولا تلزم طاعته ما لم يكن عدلاً، والقاضي لا تنفذ أحكامه ما لم يكن عدلاً، والمفتي لا تلزم فتاويه، ما لم يكن عدلاً.

قال الله تعالى في كتابه العزيز: *الذين إن مكَّنَّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور*. الحج: ٤١.

المراجع والهوامش

١. الشافعي، الأم، ج٦، ص١٥٥، المطبعة الأميرية، مصر، ١٣٢٤هـ.
٢. المصدر السابق، ج٦، ص٢٥٦، ومحمد بن قيم الجوزية، الطرق الحكمية، ص٢٠٩.
٣. المصدر السابق، ج٥، ص٣٥، وابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية، ص٢٠٩.
٤. ابن الأخوة القرشي، معالم القربة في أحكام الحسبة، ص٢٣٤، مكتبة المتنبي، القاهرة، وأبو الحسن الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥. المصدر السابق، ص٢٢٣.
٦. المصدر السابق، ص١٦٦.
٧. المصدر السابق، ص١٩٧.
٨. المصدر السابق، ص٢١٩.
٩. الشافعي، الأم، ج٦، ص٥٩، ومحمد فؤاد الذاكري، آداب الطبيب والتزاماته في قوانين الحسبة، بحث منشور في مجلة الفيصل العدد (٢١٧) رجب سنة ١٤١٥هـ.
١٠. المصدر السابق، ج٦، ص٥٦.
١١. الأرش: الدية، وقيل: دية الجراحة، أو ما يسترد من ثمن المبيع إذا ظهر فيه عيب. معجم الوسيط - مجمع اللغة العربية، القاهرة: ط٣، مادة (أرش).
١٢. الشافعي، الأم، ج٦، ص٥٨.
١٣، ١٤، ١٥. المصدر السابق، ج٦، ص١١٠.
١٦. المصدر السابق، ج٦، ص١١٢.
١٧. المصدر السابق، ج٦، ص١١٣.
١٨. المصدر السابق، ج٦، ص١١٢.
١٩-٢٠. المصدر السابق، ج٦، ص١١٣.
٢١. ابن الأخوة، معالم القربة، ص٢١١.

الفراكتالات

علي عساف
الطائف - السعودية

نجد في الطبيعة، وفي كثير من العلوم ظواهر فيزيائية تتميز بأشكال هندسية خشنة وغير منتظمة، مختلفة عن منحنيات الهندسة التفاضلية الإقليدية (العادية) وسطوحها. بحيث إن صفة عدم تغير الامتداد تؤدي دورًا مهمًا في هذه الظواهر، متجلية بكون الشكل لا يمتلك طولاً مميزًا. فمثلاً نحصل على خواص فيزيائية شاذة بالقرب من النقطة الحرجة في الانتقالات الطورية المستمرة، ممثلة بقوانين أسيّة سُلّمية. إن مثل هذه الظواهر تقودنا إلى الحديث عن أشكال هندسية جديدة تدعى بالفراكتالات (الكسرانيات) ومفردها فراكتال.



إن فكرة الفراكتالات قديمة فهي موجودة منذ عهد هاوسدورف Hausdorff، وبيرين Perrin، وواينر Wiener، لكنها لم تُطَوَّر إلا حديثًا بفعل أعمال ماندلبروت Mandelbrot، الذي أدخل هذه الفكرة في الحقيقة منذ عام ١٩٧٠م. إن بعض الأشكال الفراكتالية، كمنحني «فون كوخ» Von Koch، و«بيانو» Peano أو مجموعة «كانتور» Cantor تمثل أشكالاً متوسطة بين السطوح والحجوم.

مئة عام على النظرية

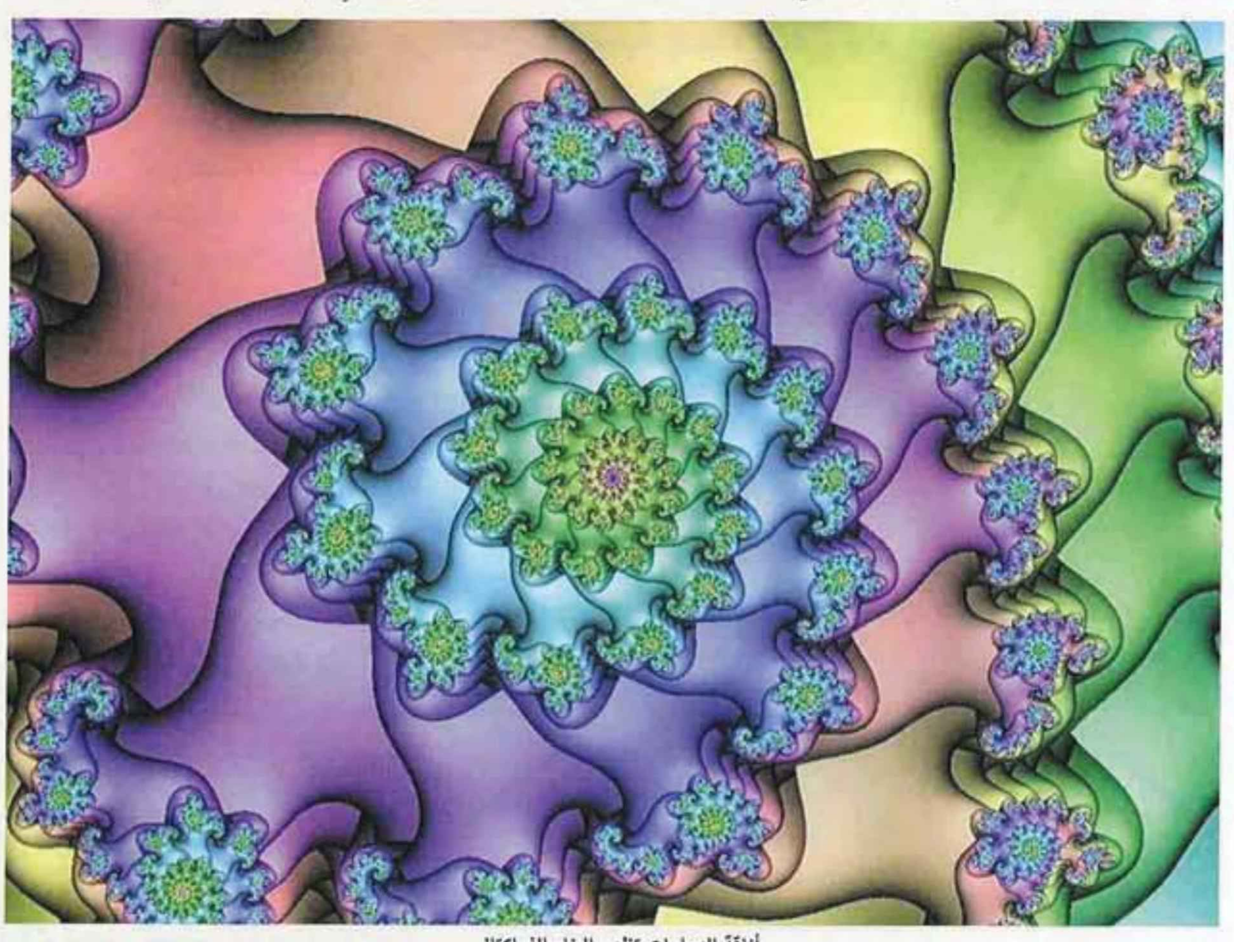
ولدت مثل هذه الأشكال عند علماء رياضيين لدراسة الظواهر الطبيعية أو البشرية الأكثر تباينًا. مثلاً، كيف يمكن أن ندرس مشهدًا طبيعيًا للجبال، أو للغيوم، أو لدخان متموج من سيجارة تبغ؟. فهذه المعضلات لم تلفت أنظار

الفيزيائيين في مراحلها الأولى، لكنها أثارت اهتمامهم فيما بعد. فالحقيقة لم تكن من أجل مستقيم، دائرة، قطع ناقص، مثلث. فهذه الفراكتالات أصبحت تشكل الآن نماذج أساسية ومشتركة في عدة فروع من العلوم والتكنولوجيا (في الطب والفيزياء والكيمياء والأحياء....إلخ) كهندسة جديدة لسبر غور الطبيعة، وفهم ما يجري فيها من حوادث وظواهر، وما تنطوي عليه من قوانين.

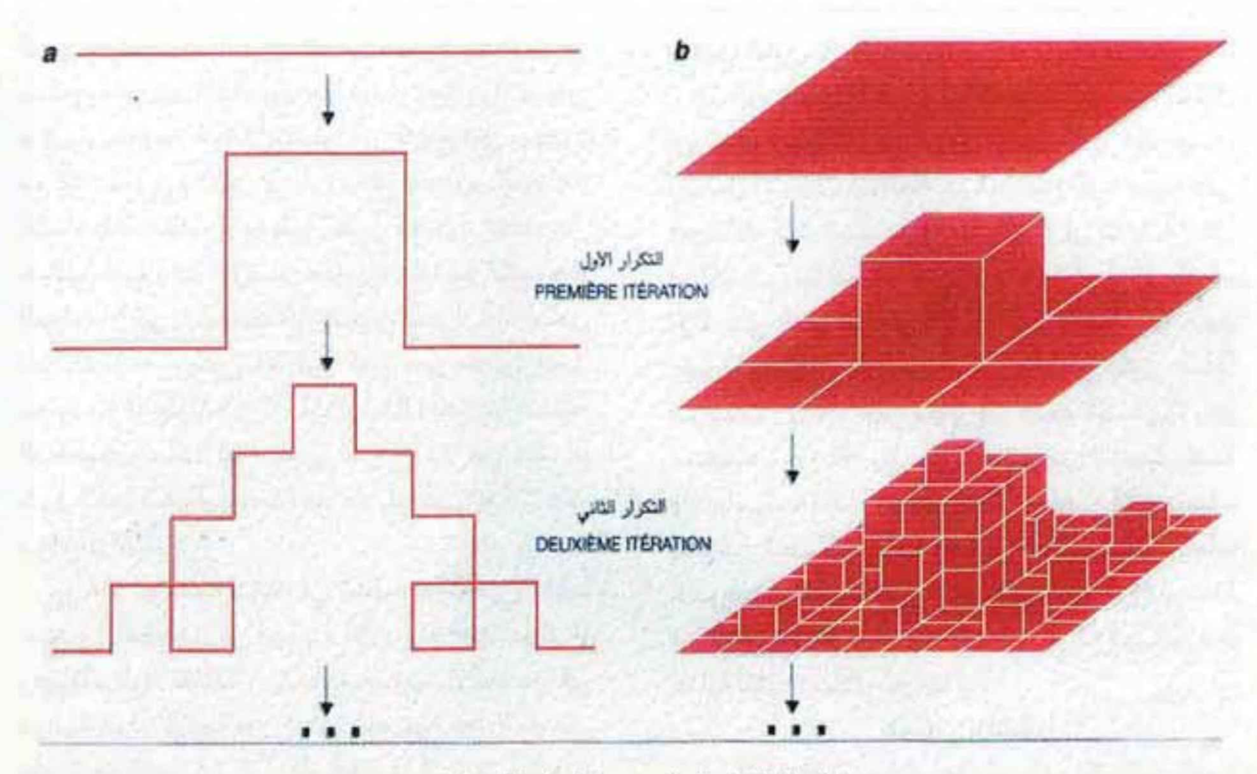
إن الشرارة الأولى لهذه النظرية (فراكتال) انطلقت في الحقيقة منذ أكثر من مئة عام في مراسلة للعالم كانتور إلى العالم ديدكند Dedekind عام ١٨٧٧م: إن السطوح والحجوم يمكن أن توضع في تقابل وحيد مع المنحنيات المتصلة (المستمرة). إذن للسطوح والحجوم التأثير نفسه كالمنحنيات. إنها تنطلق - في الحقيقة - من بعض الأساسيات في الهندسة الإقليدية، ولا سيما مفهوم البُعد.

إن الفراكتالات، رياضيًا، دوال متصلة، لمتغيرات حقيقية في الحالة العامة، لكنها غير قابلة للاشتقاق في أي نقطة. إن الصفة التي تميز الشكل الفراكتالي هي أن أي جزء منه يشبه الشكل الكلي مهما يكن هذا الجزء صغيرًا: نسمى هذه الخاصية «لا متغيرة السلم» أو خاصية «التشابه الذاتي» التي تُعبّر عن الاسم الحقيقي لشكل فراكتالي ذي بُعد عددي غير صحيح (عدد عشري)، وهذا ما يتطابق مع تعريف ماندلبروت: «إن الفراكتال شكل يتألف من عناصر مماثلة للشكل الكلي بطريقة معينة».

كما هو موضح في الشكل المقابل، نحصل في الجزء(a) على منحنٍ ذي طول لا نهائي على صفحة



أناقة الدوامات تظهر البناء الفراكتالي



توليد الفراكتالات في المستوى (a)، وفي الفراغ (b)

ورقية عن طريق عملية تكرار متتالية. فنبدأ من قطعة مستقيمة واحدة ثم نقسمها ثلاثة أقسام متساوية.

وفي المرحلة التالية نستبدل القسم الأوسط بالعقد المكون من ثلاث قطع متساوية. ومن ثم نحصل على خط مكون من خمس قطع. ثم نعيد هذه العملية على كل قطعة من القطع الخمس التي حصلنا عليها، وهكذا نحصل على المنحني الثالث بعد حدوث تكرارين.

وفي الجزء (b) نحصل على سطح فراكتالي ابتداء من مربع نقسمه تسعة مربعات متساوية. ننزع المربع المركزي، ونضع مكانه قبعة صغيرة، وبتكرار هذه العملية على كل مربع نحصل على سطح فراكتالي ذي مساحة كبيرة جداً، تصل إلى ما لانهاية في نهاية المطاف.

إن السطح الداخلي للرئة مثلاً يمثل شكلاً فراكتالياً.

حاليًا تم تمثيل عدة موضوعات وظواهر حقيقية بالفراكتالات، كالجمل العشوائية التي كانت تُعدّ قديمًا حوادث هامشية ناتجة من المصادفة، بينما يمكن الآن دراسة هذه الجمل وتحديدها ورسم مساراتها غير المتوقعة والخاضعة للشروط الابتدائية. ليس من السهل دراسة هذه الجمل؛ لأنها تمثل في الواقع جملاً فراكتالية. بمعنى آخر، إن المسارات التي ترسمها هذه الجمل لا يمكن أن تُكتب على شكل معادلات خطية، بل هي غير خطية دومًا، بينما أكثر المعادلات في الفيزياء التقليدية خطية. وكما نعلم ليس سهلاً إيجاد حلول للمعادلات غير الخطية.

كما تُعرف الفراكتالات أيضًا عبر الصور الجميلة الملونة لمجموعات ماندلبروت، وجوليا Julia، إذ تظهر الهندسة الفراكتالية فيها أعجوبة رياضية. وفي الطبيعة تظهر هذه الهندسة وكأنها الهندسة الطبيعية لعدد من الظواهر العشوائية، كالحركة البراونية مثلاً.

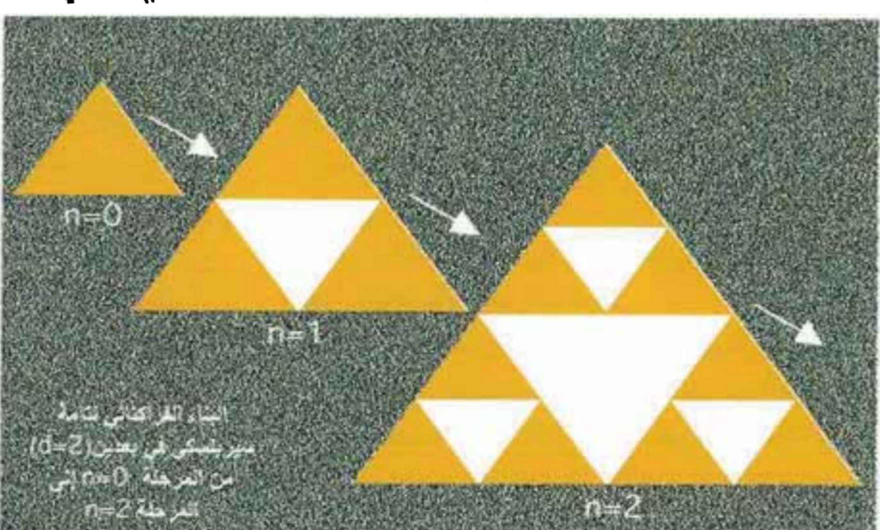
كما أنها تظهر كلما احتجنا إلى خطوط غير محدودة الطول، ولكنها محصورة ضمن سطوح محدودة، أو سطوح ذات مساحة غير محدودة، ومحتواة ضمن حجوم محدودة. فمثلاً منحني فون كوخ غير محدود مع أنه محتوى بالكامل ضمن سطح محدود. إذ يمكننا إنشاء خط متكسر ذي طول غير محدود ابتداءً من عملية قطع وإعادة وصل متكررة عدة مرات، وهذه العملية الأخيرة يسميها الرياضيون التكرار، إذ تسعى نحو اللانهاية. ويكون خط فون كوخ غير محدود أيضاً بسبب تزايد طوله في كل تكرار. فإذا أجرينا عملية التقطيع وإعادة البناء على مربع بدلاً من خط، ثم كررنا هذه العملية عدة مرات نحصل عندئذ على سطح فراكتالي.

إن هذه الهندسة كانت في السنوات الأخيرة منشأ عدد من الظواهر في فيزياء الأوساط العشوائية، وفيزياء المواد المكثفة، وكانت مفيدة بشكل خاص في دراسة المواد الناتجة من ظواهر تجميعية عشوائية غير منتظمة، كالجليد والمواد المسامية مثلاً. وقد سمحت هذه الفكرة بمعرفة عدد من الصفات الفيزيائية لهذه المواد، كانتشار الصوت، والناقلية الكهربائية والحرارية، والحرارة النوعية، والخواص الميكانيكية، والضوئية...إلخ. من الأمثلة التي يمكن أن نذكرها أيضًا على الأشكال الفراكتالية هي: البوليميرات المتشعبة أو الخطية، الشرارات الكهربائية، البرق، وأخيرًا الكون نفسه.

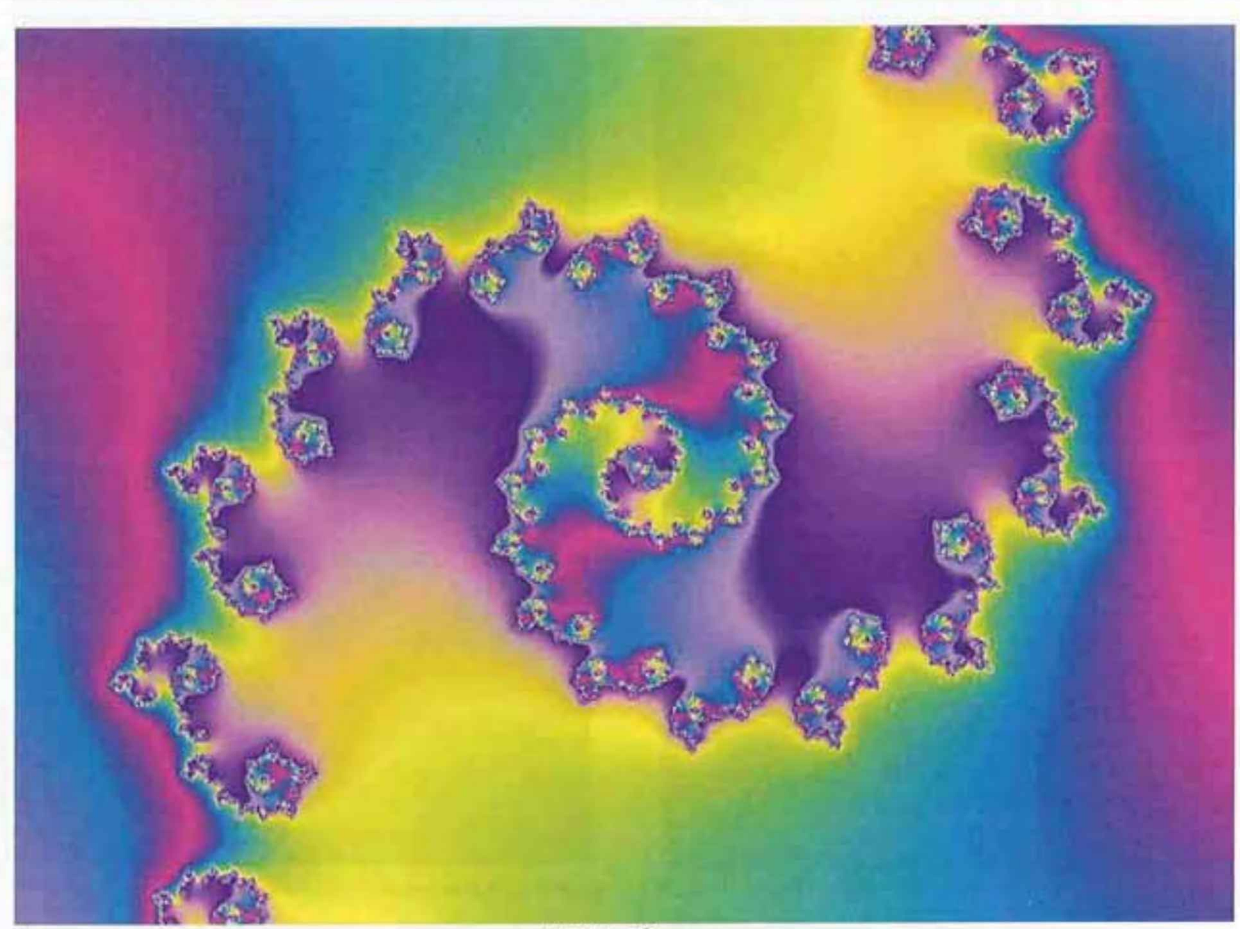
إن الخواص الاهتزازية للمواد التي لها أشكال فراكتالية مختلفة جدًا عن المواد العادية المتراصة. ومجمل الأبحاث المتعلقة بدراسة هذه المواد مبنية على فكرة الكميات السُلّمية (العددية)، إذ إن دراسة شكل فراكتالي ما تتطلب معرفة ثلاثة أبعاد: d البُعد الإقليدي الذي يحوي الشكل الفراكتالي D، بُعد الفراكتال، وليس من الضروري أن يكون عددًا صحيحًا، d بُعد الفراكتون (أو البعد الطيفي)، وهو مختلف عن D، ويتعلق بالخواص التحريكية (الديناميكية) للشكل الفراكتالي، بمعنى آخر يصف كثافة الحالات Density of states عدد أنماط التواترات المأخوذة في المجال ω و $\omega+d\omega$ لجملة فراكتالية، ويقترح بعض الباحثين أن له قيمة واحدة عالمية لكل الأشكال الفراكتالية.

نوعان وأشكال

في الحقيقة، يوجد نوعان من الفراكتالات. النوع الأول: فراكتال منتظم يتميز بخاصية التشابه الذاتي، كما ذكرنا سابقًا، أي إن جزءًا ما من الشكل الفركتالي يشبه الشكل بكامله، وهذا النوع يمثل - في الواقع - جملاً مثالية قلما نجده في الطبيعة (جبال، أنهار، غيوم)، أو في العلوم (بوليميرات، جليد، أوساط مسامية). وإن أفضل مثال على هذا النوع هو شبكة سير بنسكي المثلثاتية ذات البعدين، (وندعوها بالتامي عن الفرنسية Tamis)، والتي تعدّ بحق جملة فراكتالية قانونية محددة بشكل جيد، ولتشكيل هذه التامة نبدأ - أولاً - بمثلث متساوي الأضلاع (مرحلة n=0)، ثم نضع في هذا المثلث مثلثًا آخر (مرحلة n=1)، وهلم جرًا... فالمرحلة (n+1) يمكن الحصول عليها



البناء الفراكتالي لتامة سير بنسكي في بعدين (d=2) من المرحلة n=0 إلى المرحلة n=2

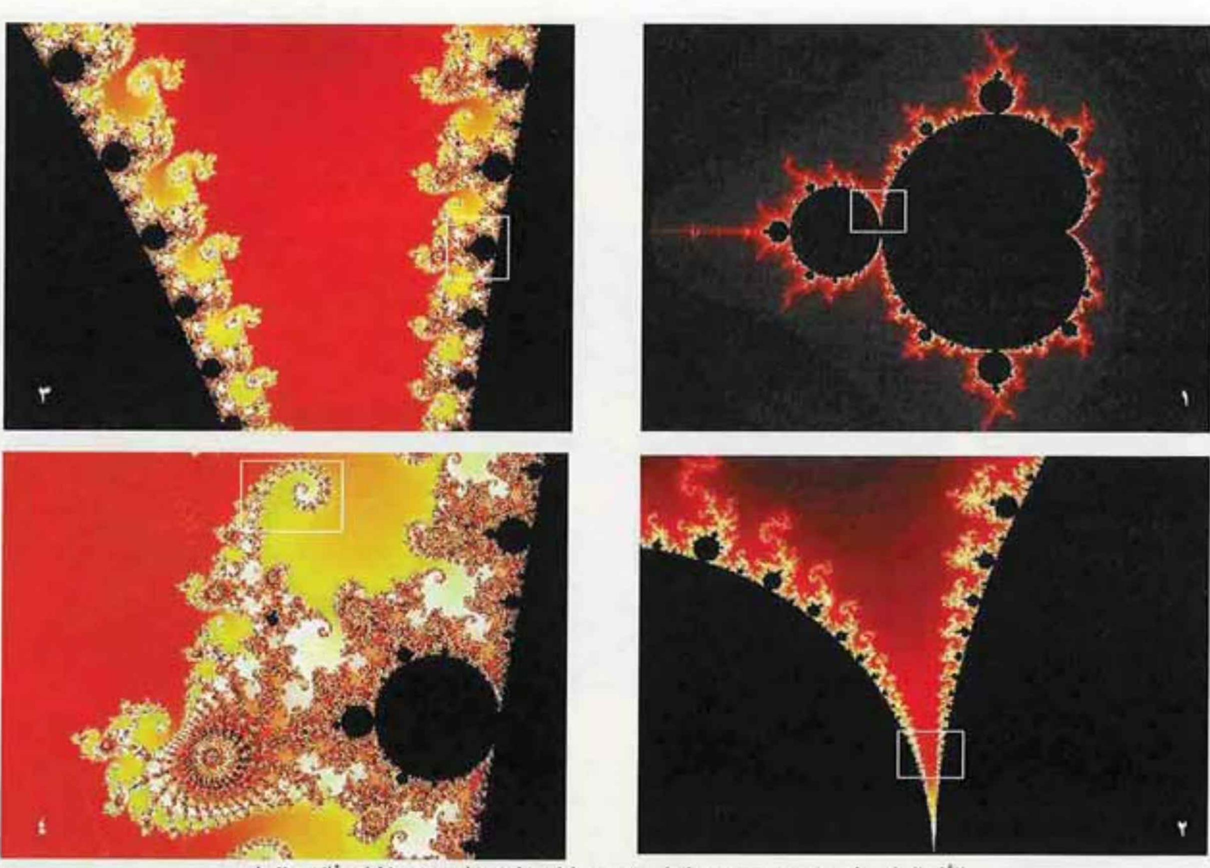


مجموعة جوليا JULIA

بشكل استقرائي من المرحلة n بوضع ثلاثة مثلثات جنبًا إلى جنب في زاوية المرحلة n. وإذا فرضنا أن عدداً من الذرات (أو الجزيئات) موزع على مواقع (رؤوس) هذه التامة، فإن العدد الكلي لهذه الذرات في مرحلة n هو:

$$N_n=\frac{3(1+3^n)}{2}$$

الجدير بالذكر أن الفراكتالات أشكال غير بلورية، مستوية أو فراغية، ذات ثقوب، غير دورية، متناظرة بشكل حجمي (لا متغيرة السُلّم)، كما أشرنا سابقًا. النوع الثاني من الفراكتالات هو فراكتال غير منتظم (عشوائي) يتميز بخاصية التشابه الإحصائي (أو الوسطي) أي أن جزءاً ما من الشكل يماثل بصورة إحصائية أو وسطية الشكل نفسه. كمثال على هذا النوع يمكن أن نأخذ مادة فيزيائية حقيقية هي، أيروجل السيليس (SiO_4)، وهي أجسام صلبة مسامية شفافة تشكل نموذجاً ذا بنية فراكتالية واضحة، كما دلت التجربة؛ إذ إن الأشكال الفراكتالية التي نصادفها في الفيزياء لا تملك في الحالة العامة إلا خاصية التشابه الذاتي الإحصائي (أو الوسطي) من أجل سُلّم (مجال) محدود في المسافة (أو الزمن)L: a « L « ξ حيث a هي الكمية الذرية (سُلّم ميكروسكوبي) و ξ هي كمية العينة (سُلم ماكروسكوبي). أي إن الفراكتالية (الكسرانية) في الجمل الفيزيائية محصورة دوماً بين النهايتين السابقتين: مسافة صغيرة a هي الوحدة الأساسية غير فراكتالية تكوّن بنية الفراكتال (ذرات، جزيئات، رنيذات)، ونهاية عليا ξ تسمى طول الارتباط تميز بنية الفراكتال بحيث يفقد



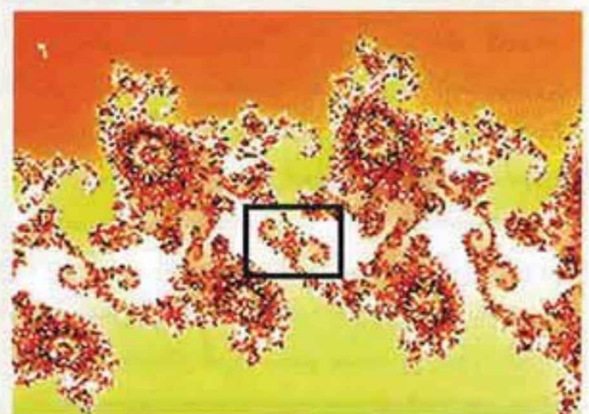
الأشكال (١-٨) توضح مجموعتي ماندلبروت وجوليا، وما تتميزان به من تشابه ذاتي وتكرار

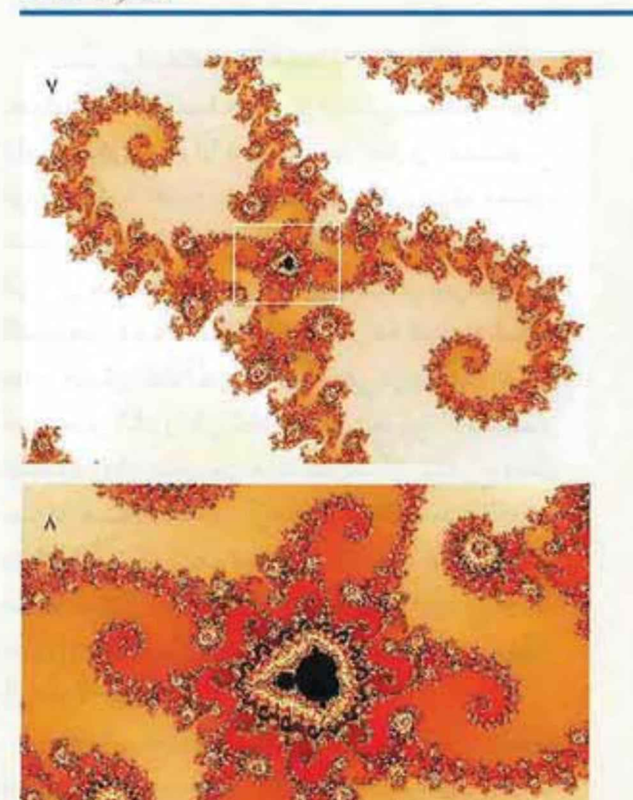
الشكل بعد ذلك صفة التشابه الذاتي، وتغدو الكثافة ثابتة.

إن المحاكاة العددية تبين أنه إذا كان لدينا في الشكل الفراكتالي العشوائي منطقتان ذواتا مقاسين مختلفين، ومن التجمع نفسه، فإنهما يظهران إحصائيًا بالمظهر نفسه إذا كبَّرنا المنطقة الصغرى بقدر مقاس المنطقة الكبرى. ونصادف أيضًا هذا النوع من الفراكتالات كثيرًا في الفيزياء الإحصائية، كالمسارات العشوائية الآنفة الذكر.

إن الهندسة الفراكتالية قد تكون ملائمة لحدوث تبادلات من خلالها، عبر ظاهرة تدعى بظاهرة الانتشار (التسرب)؛ لأن هذه الهندسة تُبدي سطحًا لا نهائي الاتساع، وهذا ما يؤمن انتقالات غزيرة للمواد والجزيئات. فكلنا يعلم أن هناك سيلاً من المادة يتدفق عبر السطوح الفاصلة بين وسطين في عدد من العمليات الطبيعية أو الاصطناعية. مثلاً، تتبادل النباتات الماء والأملاح عبر سطوح الجذور، كذلك يتم ارتشاح مركبات الغذاء الجزيئية عبر سطوح الجذر، كذلك يتم ارتشاح مركبات الغذاء الجزيئية عبر سطح الأمعاءالذي يحوي الزغابات المعوية إلى الدم. أيضاً الرئة البشرية، ففي كل ضربة قلب يصل لتر واحد من الدم الوريدي إلى سطح التبادل فيها، حيث يؤكسج ويصبح دماً شريانياً. وإذا مُدَّ هذا السطح على مستوٍ أفقي نجد أن مساحته ستصل إلى أكثر من مئة متر مربع، أي ما يعادل مساحة ملعب كرة التنس. كما أنه عندما نقلع بالسيارة فإننا نريد من المدخرة (البطارية) تزويد المحرك باستطاعة كافية، ومن أجل الحصول على ذلك نحتاج إلى تيار عالٍ نسبياً لدوران المحرك، ومن ثم يجب أن يكون لدينا سطح تبادل مساحته عدة أمتار مربعة تقريباً؛ ولذا يستخدم صانعو



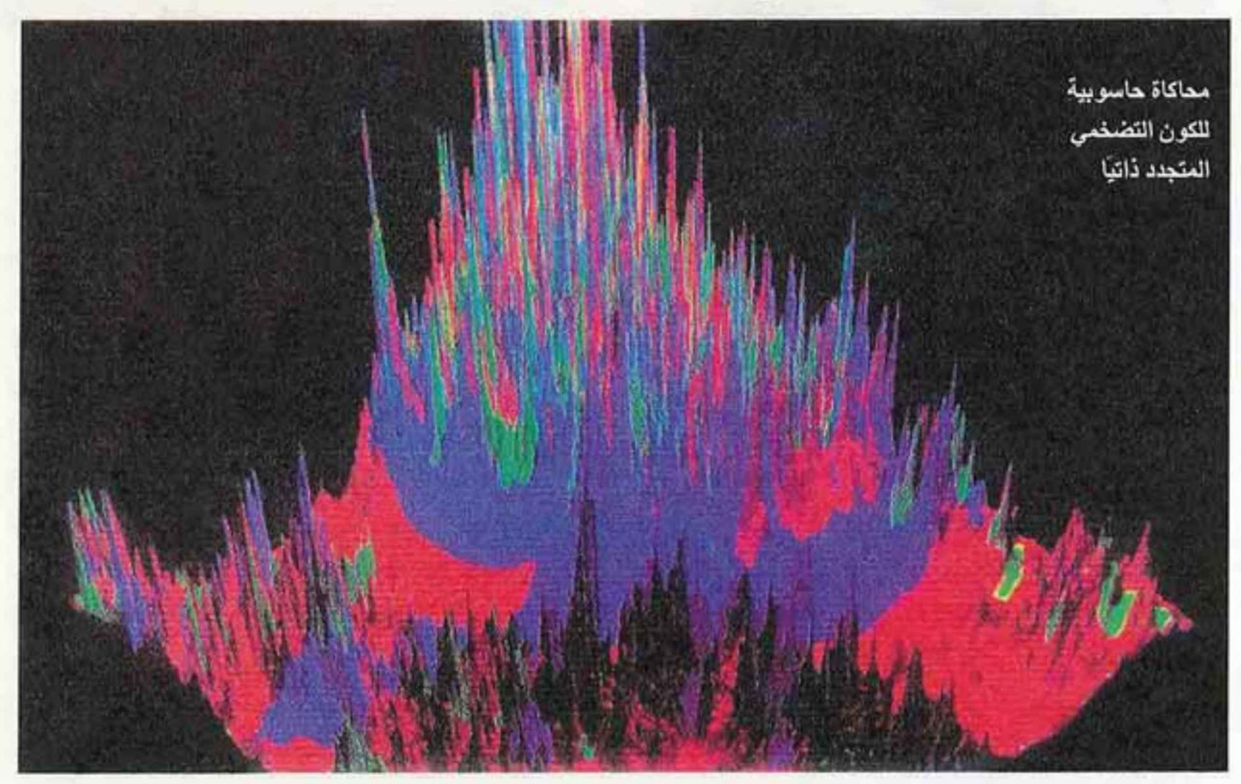




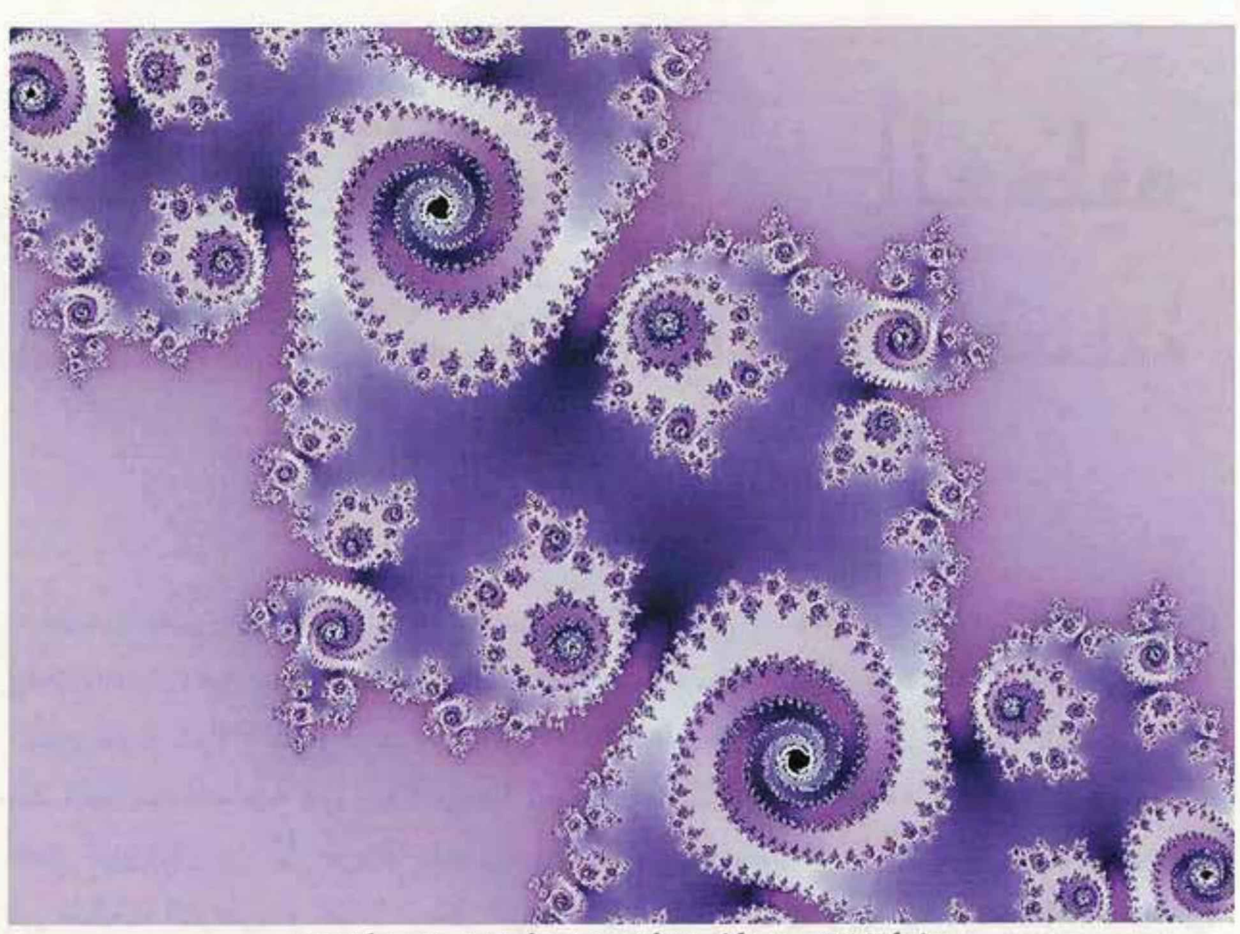
المدخرات مساري ذات سطوح فعالة كبيرة، كالمساري السامية التي يجب أن تحتوي على ثقوب واسعة لكي يصبح الوسط فعالاً. لكن هذه الانتقالات للمواد من خلال السطوح الفراكتالية لا تتم في الطبيعة بشكل منتظم، أي إنه من المستحيل ترتيب جزيئات المادة تلقائياً، الواحدة تلو الأخرى، فهي خاضعة لرحمة المصادفة، وتأخذ هنا شكل الحركة البراونية (العشوائية)، بمعنى آخر، إن هذه الجزيئات تتبع ظاهرة تتبع الانتشار السابقة، وهذه الظاهرة بدورها شائعة في الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا حتى في المطبخ. فكلنا يعلم أنه إذا وضعنا نقطة من الحبر على سطح ماء في وعاء، فسنرى بعد فترة قصيرة من الزمن أنها تتوزع بشكل ضبابي في الماء كله إلى أن يصبح تركيز الحبر في الوعاء واحداً؛ والسبب في ذلك هو أن جزيئات الحبر تتسرب داخل الوعاء نتيجة حركة ذراتها وجزيئاتها حركة عشوائية. ويحدث الشيء نفسه عندما يذر المزارعون السماد على الأرض، إذ تنتقل الأسمدة نحو الجذور، وكذلك عندما يتناول الإنسان الأدوية فإنها تنتقل إلى الأعضاء الحساسة بواسطة الانتشار أيضاً. في الحقيقة تنتقل المادة حتى في حال غياب الماء أو الدورة الدموية، ولحدوث هذا الانتشار يكفي وجود هيجان حراري في منطقة ما من الفضاء. وهذا يعني وجود تدفق واضح من المناطق الغنية إلى المناطق الفقيرة، فنعبر عن ذلك بقولنا: إن للمناطق الغنية كموناً (جهداً) أكبر من كمون المناطق الفقيرة، وندعو هذا بالكمون الكيماوي. في حالة مدّخرة السيارة سينتقل التيار الكهربائي (أي تدفق الجسيمات المشحونة أو الأيونات) من المناطق ذات الكمون المرتفع إلى المناطق ذات الكمون المنخفض، ونسمي ذلك بالكمون الكهربائي.

وهناك دراسات حديثة تتعلق بالكون نفسه الذي نعيش فيه، إذ تصفه بأنه فراكتالي متجدد بشكل ذاتي، ويكوّن أكوانًا تضخمية أخرى. فقد نودع قريبًا الفكرة القائلة بأن الكون بدأ بكرة نارية وحيدة نتجت من الانفجار العظيم. فهناك دراسات حديثة تجري حاليًا تبين أن الكون قد مر بمرحلة من التضخم. فقد تضخم الكون بدرجة كبيرة خلال جزء صغير جدًا من الثانية، وفي نهاية هذه الفترة استمر الكون في تطوره وفق نموذج الانفجار العظيم. وأن مجمل هذه الدراسات تندرج تحت نظرية حديثة تسمى بالنظرية التضخمية للكون، بدلاً من أن يكون كرة متمددة اللهب هو فراكتال ضخم مكون من عدة كرات تضخمية تُنتج كُرات جديدة، وهذه بدورها تنتج كرات أكثر فأكثر، وهكذا إلى ما لا نهاية.

وبمقتضى هذه النظرية فإن الكون إذا حوى منطقة تضخمية واحدة على الأقل ذات حجم كبير بدرجة كافية فإنها تبدأ من دون توقف بإنتاج مناطق تضخمية جديدة، والتضخم عند كل نقطة معينة قد ينتهي سريعًا، ولكنه يستمر في الاتساع في أمكنة كثيرة أخرى. وبناء على ذلك، فإن الحجم الكلي لهذه المناطق يزداد بلا حدود. وتستمر هذه العملية التي ندعوها بالتضخم الخالد، على شاكلة تفاعل متسلسل منتجة نموذجًا فراكتاليًا للكون، على الرغم من أن النظرية التضخمية فسرت الكثير من السمات في عالمنا، إلا أن هناك عددًا من التنبؤات المهمة التي أنجزتها هذه النظرية تحتاج إلى اختبار، كتنبؤ اضطرابات الكثافة الناتجة في أثناء التضخم، وتنبؤ أن الكون يجب أن يكون مسطحًا إلى أقصى حد. كما أن النماذج التضخمية مبنية على نظرية الجسيمات الأساسية (الأولية)، وهذه النظرية ليست مستقرة تمامًا، وبعض أشكال هذه النظرية لا يؤدي مباشرة إلى التضخم، ولا سيما نظرية الأوتار الفائقة Super-string، إذ إن استنتاج التضخم من نموذج «وتر فائق» يمكن أن يتطلب أفكارًا جوهرية جديدة. ومع ذلك يبقى التضخم أمرًا أساسيًا لتأسيس نظرية كونية



محاكاة حاسوبية للكون التضخمي المتجدد ذاتيًا



نظرية الفراكتال مستخدمة في دراسة البنى العشوائية والظواهر الفيزيائية المعقدة

متماسكة. هناك أيضاً دراسات فيزيائية تحريكية، تجريبية ونظرية، حديثة أجريت على مواد لها طابع فراكتالي، آيروجل السيلس المذكور سابقاً، أظهرت أن الأنماط الاهتزازية لمثل هذه المواد، والتي تُدعى بالفراكتونات، مختلفة جداً عن الأنماط الاهتزازية للمواد ذات الأوساط المتجانسة، والتي تُسمى بالفونونات. فالفراكتونات اهتزازات مرنة عالية التواتر، متوضعة بشكل قوي (كثيف متراص) وذات طول موجة قصير. بينما الفونونات ضعيفة التوضع، وذات طول موجة كبير، ومنطقة تواترات منخفضة.

نستنتج من هذه الدراسة المقتضبة أن نظرية الفراكتال، التي لم نتعرض لها هنا بشكل كامل، مستخدمة بشكل كبير في دراسة البنى العشوائية والظواهر الفيزيائية المعقدة، ونجد تطبيقاتها في شتى أنواع العلوم (طب، فيزياء، كيمياء،...) ولتعرف خواصها الفيزيائية الآنفة الذكر، ومن خلال دراسة هذه النماذج القانونية نتعرف خواص الأشكال العشوائية الأكثر تعقيداً.

المراجع

١. مجلة العلوم. المجلد ١١، العددان ٨ و ٩ أغسطس/سبتمبر ١٩٩٥م (ترجمة).
٢. مجلة العلوم. المجلد ١١، العددان ٦ و ٧ يونيو/يوليو ١٩٩٥م (ترجمة).
3 -R. Vacher et al, Le Courrier du CNRS, 1989, Image de la Physique, Supplement Au No 74.
4- B.B. Mandelbrot, Les Objects Fractals: Form, Hasard et Dimension, Flammarion, Paris, 1985.
5- Pour la Science No 150 Avril 1990.
6- Benoit C and Assaf A, Letter d'information trimestrielle, Premier trimestre 1991 - No 39.

. مصدر الصور: الإنترنت [الفيصل].

الانفجار البيولوجي العظيم
ورحلة بداية تشكّل الحياة خطوة خطوة

خالص جلبي

بريده - السعودية

عندما كان الفريق العلمي السويدي الصيني يبحث في منطقة (شينج يانغ) Chengjiang من جنوب الصين، يقلّب صفحات كتاب «طبقات الأرض»، يقرأ عبر لغة الباليونتولوجيا(١) حروفًا جديدة تلقي الضوء على مزيد من أسرار تاريخ الأرض، وتفك تلك الطلاسم المخفية من رحلة الحياة البيولوجية للكائنات؛ اصطدم فجأة بكائن صغير في عمق كيلومتر من الأرض، لا يزيد طوله على أربعة سنتيمترات قد ترك آثاره المتحجرة في طبقات الأرض، وعندما أرسل إلى مخبر تقويم الزمن كان الرقم صاعقًا، هذه المرة ليس مثل هيكل أرديبيثيكوس راميدوس Ardipethicus- Ramidus في قصة الإنسان والذي بلغ ٤،٤(٢) ملايين سنة، بل نحو نصف مليار سنة، وبالضبط ٥٣٠ مليون سنة(٣).

الحيوان الصيني عاش قبل ما يزيد على نصف مليار سنة

هذا الحيوان الذي أعطي اسم يونانوزون - ليفيدوم Yunnanozoon - Lividum والذي عاش قبل ما يزيد على نصف مليار سنة، يستحم في المحيط المائي البدائي للكرة الأرضية، والذي بدا أقرب إلى أوراق المراعي المسطحة بحجم إبهام إنسان، وبفم خرطومي يرشف ماء المحيط المالح الممزوج بالطين، ببنية قاسية، وبعمود فقري مرن؛ أوحي إلى علماء الباليونتولوجيا أن يكون هذا الحيوان مقدمة بقية الفقريات والكائنات التي عمرت الوجود لاحقًا، فمسيرة الحياة لم تمش خطوة خطوة كما كان التصور حتى الآن، بل انطلقت عارمة بكل عنفوان، في حقبة لم تتجاوز عشرة ملايين من السنين، لتنتج معظم النماذج التي تنتسب إليها الكائنات التي تعمر العالم اليوم.

ولكن يبقى السؤال: أين يقف هذا الكائن في مسيرة ظهور الكائنات البيولوجية عمومًا؟

إن المعلومات الموجودة بين أيدينا حتى الآن في علم تاريخ الأرض (الباليونتولوجيا) Paleontology تعطينا مسلسلاً رهيبًا في عمر الزمن والأحداث، تم التوصل إليه من خلال تطوير علوم جديدة في معرفة عمر بقايا الكائنات والحضارات، من خلال ساعات كونية



الحمم البركانية جزء من تشكل الأرض

وبايولوجية مغروسة في الطبيعة، كما في ساعة الكربون ١٤ وعلاقة تحول البوتاسيوم - الأرغون، فعن طريق تحول الكربون ١٤ يمكن ضبط الزمن حتى سبعة وخمسين ألف سنة، وعن طريق ساعة تحول مادة البوتاسيوم إلى أرغون، يمكن معرفة التاريخ الممتد إلى مليارات السنوات، لأن نصف عمر الذرات يتطلب ١,٢٥ مليار سنة، أي عمليًا حتى ساعة بداية الكون، وبهذه الطريقة أمكن تحديد يوم ولادة الكرة الأرضية التي نعيش عليها، وأمكن معرفة أن بداية تشكل الكرة الأرضية التي نعيش عليها تعود إلى ٤٫٦ مليارات سنة.

بداية الأرض وبداية الحياة

ولكن إذا كان عمر الأرض من الناحية الباليونتولوجية قد بدأ في رحلته قبل ما يزيد على أربعة مليارات ونصف المليار من السنوات، فيبقى السؤال: هل كانت الحياة موجودة على ظهر الأرض مع بدايتها أم تلتها بعد فترة؟ وإذا كان الأمر كذلك فمتى بدأت الحياة على وجه التحديد على وجه البسيطة؟ وهل وجدت دفعة واحدة أم ظهرت كما يظهر ممثلو المسرح، والمسرح هنا كوني كما نرى؟ ومتى ظهر الملك الإنسان أهم شخصيات المسرح الكوني على وجه البسيطة؟

بانوراما (أربع وعشرين) ساعة.
قصة الحياة على الأرض

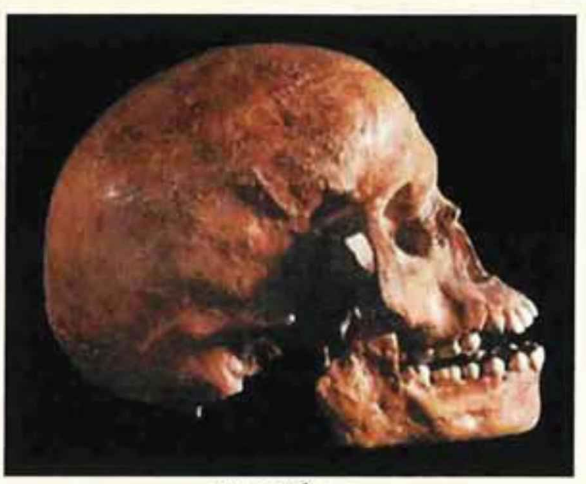
عرضت مجلة ألمانية علمية منظرًا كونيًا أخاذًا مضغوطًا في فترة أربع وعشرين ساعة(٤) فلو تصورنا الفيلم الكوني الذي بدأ يظهر على شاشة الوجود منذ ٤,٦ مليارات سنة، مختصرًا في يوم وليلة؛ فسوف **نرى المسلسل على الشكل الآتي، ويمكن اختصاره بعشر نقاط أو مراحل:**

- بعد ظهور الكرة الأرضية لم تكن هناك حياة على

الإطلاق، ليس هناك إلا الصحراء عبر الأفق. لا يوجد أي أثر لأي نبتة صغيرة أو عشب أخضر أو قطرة ماء. ما يسيطر على ظهر الأرض هو الجفاف والحر الذي لا يناسب أي لون من الحياة النباتية أو الحيوانية.

عواصف مزمجرة من غازات الهيدروجين والهليوم تعبث بالمناخ. والرعد يفرغ شحنته الكهربائية في صورة برق وهاج ساطع. الأرض تهتز وتترنح وتبصق الحمم البركانية محولة ظهر الأرض إلى جحيم يتلظى. ثم جمدت القشرة الأرضية أخيراً قبل ٤.٥ مليارات سنة وتشكلت الصخور ولم تبدأ الحياة بعد.

- بقيت الحالة هكذا مدة ٨٠٠ مليون سنة من دون نفس وأثر للحياة. لم يوجد الأكسجين بعد. وعند الساعة



جمجمة النايندرتال



جمجمة الإنسان العاقل العاقل

٢.٤٥ صباحاً أي قبل نحو أربعة مليارات سنة، بدأ تشكل الماء وامتلأت البحار بالماء الدافئ، وبدأ تشكل الجزيئات العضوية الكبيرة مثل السكر والأحماض الأمينية.

- في الساعة الخامسة والثلث صباحاً بدأ ظهور الخلايا الأولية على سواحل أستراليا، وبدأ تشكل الجينات الأولية (الكروموسومات التي تحوي الأحماض النووية). كان هذا قبل ٣.٥ مليارات سنة.

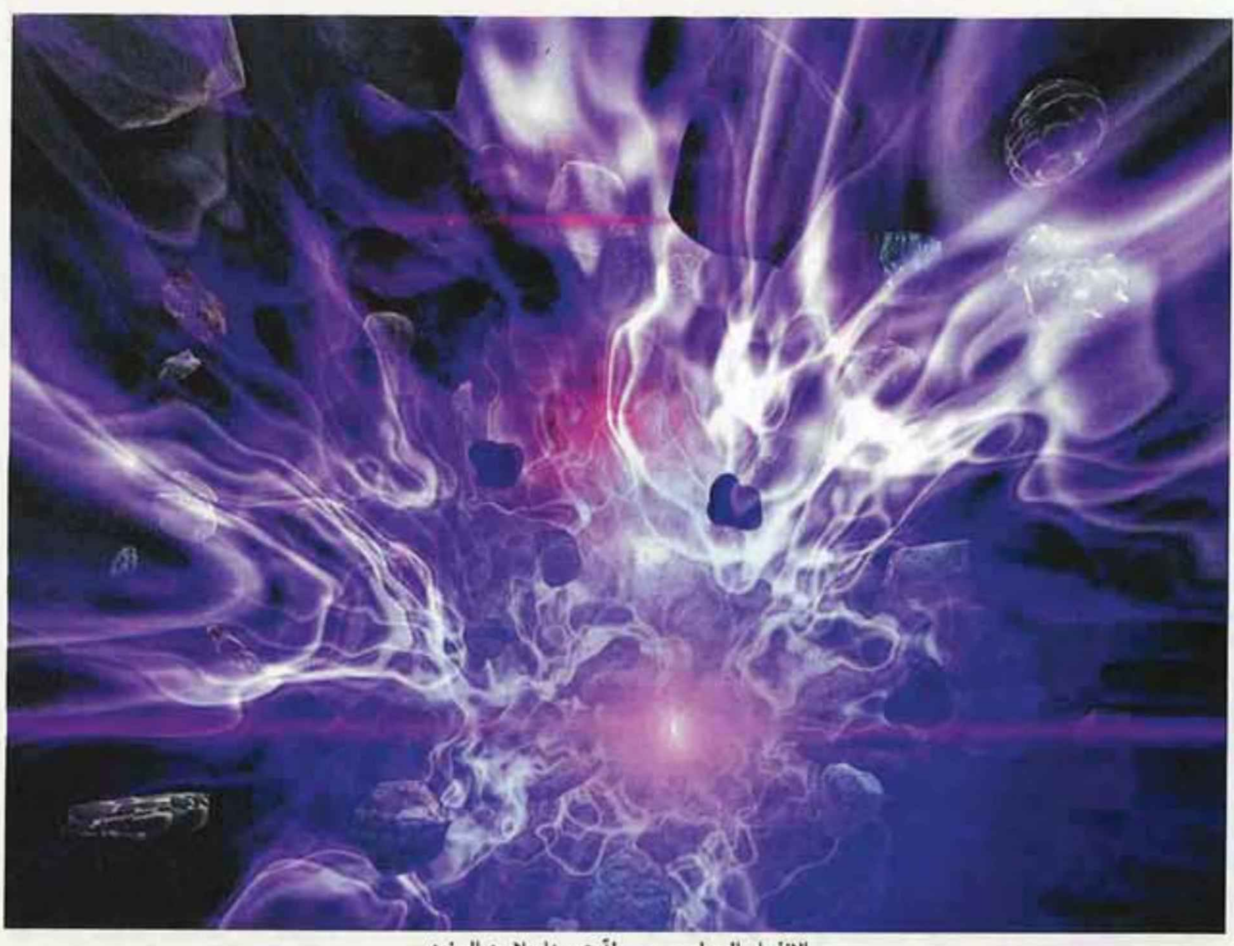
- بدأت رحلة الخلية من دون نواة؛ واستمرت فترة طويلة حتى استقر وضع الحمض النووي، وأخذ هذا التوجه نحو مليارين من السنوات قبل أن تتشكل الخلية ذات النواة، التي هي وحدة الحياة الأساسية. وعند الساعة الثامنة ليلاً وعشر دقائق من هذا التقويم بدأ تشكل الخلايا الوحيدة.

- عند الساعة التاسعة ليلاً (الساعة ٢١) أي بعد مرور قرابة ٣.٦ مليارات سنة من الرحلة بدأت الرخويات واللافقريات في الظهور في الماء. أي قبل نحو ٧٢٠ مليون سنة.

- عند الساعة التاسعة مساءً وخمس وثلاثين دقيقة (الساعة ٢١.٣٥) أي بعد مرور نحو أربعة مليارات سنة من تشكل الأرض بدأت الحياة بالانفجار في تنوع محير، وهو ما كشفت عنه البحوث الباليونتولوجية حديثاً.

- عند الساعة التاسعة ليلاً وسبع وخمسين دقيقة (الساعة ٢١.٥٧) بعد مرور ٤.١ مليارات سنة على بدء تشكل الأرض؛ ظهرت النباتات والأشجار إلى الوجود ومازال الوقت طويلاً بعد أمام ظهور الإنسان.

- وقبل أن تختم الساعة الحادية عشرة ليلاً (الساعة ٢٢.٤٨) ظهرت الديناصورات العملاقة، تدب على الأرض بأطنانها الثقيلة وأدمغتها القاصرة، كان ذلك قبل ٢٢٥ مليون سنة من الآن، ولكنها اختفت من وجه الأرض تماماً وبالكامل بلغز لم يتم التأكد منه حتى الآن قبل ٦٥ مليون سنة، وتشير بعض النظريات إلى اصطدام الأرض بمذنب كبير غيّر الظروف الحياتية على الأرض فقضى على الديناصورات، ومن هنا نفهم



الانفجار البيولوجي ورحلة عمرها ملايين السنين

سخافةَ الأفلام وخطأها العلمي عندما تظهر الإنسان مع الديناصورات في وقت زمني واحد، فالإنسان لم يعاصر الديناصورات نهائيًا، وعندما ظهر الإنسان على ظهر البسيطة لم يكن هناك أثر لتلك الأوابد.

ظهور الإنسان في الثانية الأخيرة من هذا التقويم

- ويبدأ العصر الحجري وبدايات الإنسان الثقافية قبل أن يختم الوقت بدقيقة واحدة فقط، وأما النبوات الكبرى فقد ظهرت بدورها خلال ما تبقى من هذه الدقيقة من هذا التقويم، ويظهر الإنسان العاقل في الثانية الأخيرة من هذا المسلسل المثير.

- إن القصة لم تنته بعد، فأمام الإنسان رحلة ٥,٥ مليارات سنة أخرى، يعمر فيها الأرض ويبدأ فيها التاريخ الفعلي، فالنماذج الإنسانية التي مرت على ظهر الأرض كانت كثيرة، من أمثال الهومو إيريكتوس Homoerectus والهوموهابيليس Homohabilis، وختمت بنموذجنا المتقدم: الإنسان العاقل العاقل Homo Sapienes Sapienes ، وتشير المعلومات الباليونتولوجية الأخيرة إلى أن جنسنا اجتمع مع جنس النايندرتال Neandertal الذي أعلن عنه علميًا للمرة الأولى في القرن الماضي، وعثر على الهيكل قريبًا من مدينة دوسلدورف الألمانية Duesseldorf ، ثم عثر عليه في كل أرجاء المعمورة، ويمثل نموذجًا عجز عن التكيف، أو حاق به شيء لم يكشف اللثام عنه فغيبته طبقات الأرض، وعاش قبل نحو ثلاثين ألف سنة واجتمع أسلافنا الأوائل معهم، ولكنهم امَّحوا من خارطة الوجود بالتمام والكمال خلف سر آخر مغيب!! فالتاريخ

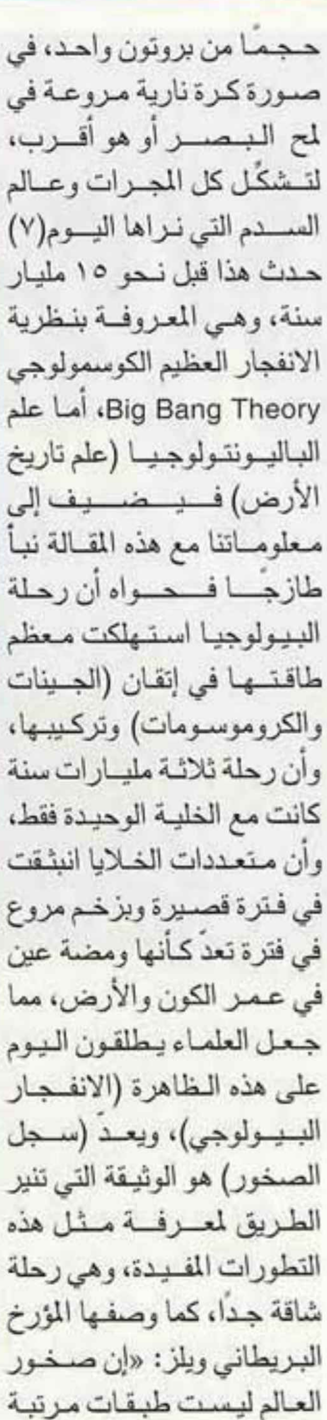
لم يبدأ بعد، وليس كما زعم الكاتب الأمريكي فرانسيس فوكوياما أن التاريخ انتهى، مع احتلال أمريكا العالم بثقافتها المبنية على الليبرالية الاقتصادية والديموقراطية السياسية. والعالم اليوم هو بين صنفين: إما من انضم إلى هذا الشاطئ الأمريكي فكتبت له النجاة (كذا!!) وإما من انحسر عنه فابتلعته لجات الأوقيانوس! وإما من يحاول اللحاق بهذا النموذج كي يكتب لنفسه الوجود وعدم الانقراض كما حصل مع إنسان النايندرتال(٥).

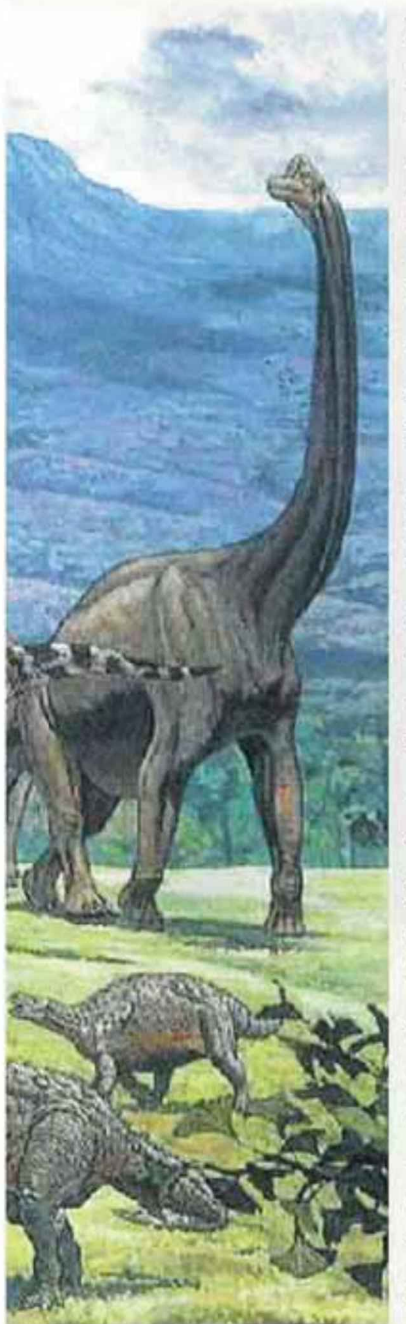
إن التاريخ الفعلي لم يبدأ بعد إذا أخذنا في الحسبان الامتداد الزمني الرهيب لتاريخ الأرض، ثم الرحلة الرهيبة البيولوجية التي امتدت مئات الملايين من السنين، بينما لم تدشن الثورة الزراعية إلا منذ تسعة آلاف سنة، والحضارة لم تبدأ إلا منذ ستة آلاف سنة، واخترعت الكتابة قبل خمسة آلاف سنة فقط، واستخدمت المطبعة قبل خمسة قرون فقط، ولم تقفز بشكل نوعي في الاستخدام إلا منذ عشرات السنوات، ولم يستخدم البخار إلا منذ ٢٠٠ سنة، والكهرباء دخلت الصناعة منذ ١٢٠ سنة، ولم تستخدم الذرة سلميًا إلا منذ ثلاثين سنة، وكل الإنجازات الإلكترونية والطبية وتقنية الاتصالات وثورة المعلومات ليس لها أكثر من عقد إلى عقدين فقط من الزمان!!

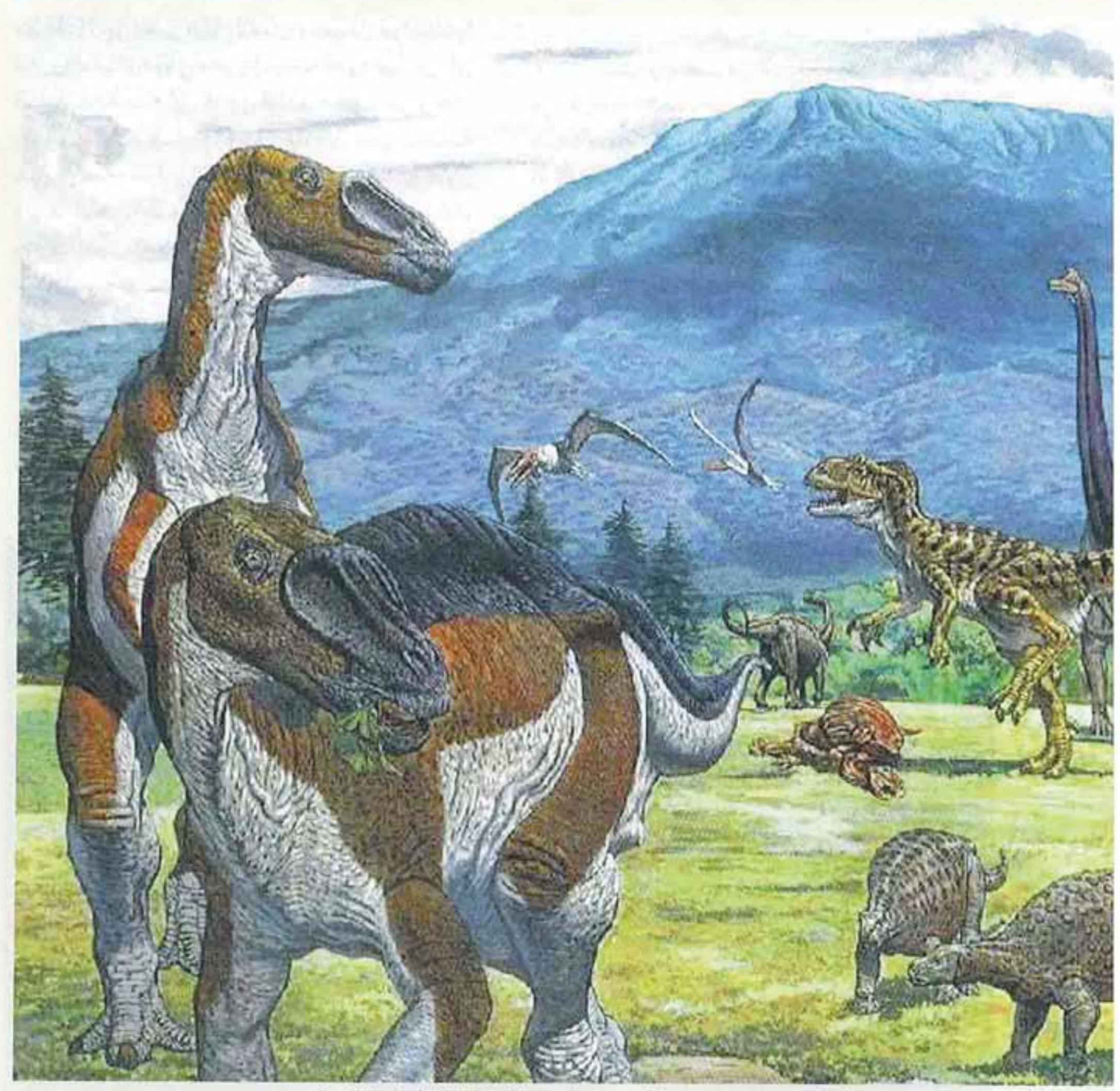
فما الذي ينتظر الإنسان إذًا؟ وهل التاريخ ختم كما زعم فرانسيس فوكوياما أم إننا أمام بداية التاريخ؟ وبماذا يختلف فوكوياما عن العجائز في بلادنا الذين كانوا يقولون: تؤلف ولا تؤلفان؛ أي إن العالم سينهدم مع دخول الألف سنة القادمة، وإن التاريخ الهجري لن يستمر في الألف الثانية، أو كما كان يقول لي جماعات (شهود يهوه)(٦) الذين اجتمعت بهم في ألمانيا: إن المسيح سينزل إلى العالم بعد خمس سنوات فقط، وإن العالم سينتهي في سلسلة من عمليات الخرافة و غسل المخ واغتيال العقل لا نهاية لها.

ثلاثة انفجارات

إن ثلاثة علوم تعطينا نبأ عما حدث على ظهر الأرض، فأما علم الكوسمولوجيا (علم الكون) فإنه يخبرنا أن الوجود انفجر من نقطة رياضية، أصغر حجمًا من بروتون واحد، في صورة كرة نارية مروعة في لمح البصر أو هو أقرب، لتشكّل كل المجرات وعالم السدم التي نراها اليوم(٧) حدث هذا قبل نحو ١٥ مليار سنة، وهي المعروفة بنظرية الانفجار العظيم الكوسمولوجي Big Bang Theory، أما علم الباليونتولوجيا (علم تاريخ الأرض) فيضيف إلى معلوماتنا مع هذه المقالة نبأ طازجًا فحواه أن رحلة البيولوجيا استهلكت معظم طاقتها في إتقان (الجينات والكروموسومات) وتركيبها، وأن رحلة ثلاثة مليارات سنة كانت مع الخلية الوحيدة فقط، وأن متعددات الخلايا انبثقت في فترة قصيرة وبزخم مروع في فترة تعدّ كأنها ومضة عين في عمر الكون والأرض، مما جعل العلماء يطلقون اليوم على هذه الظاهرة (الانفجار البيولوجي)، ويعدّ (سجل الصخور) هو الوثيقة التي تنير الطريق لمعرفة مثل هذه التطورات المفيدة، وهي رحلة شاقة جدًا، كما وصفها المؤرخ البريطاني ويلز: «إن صخور العالم ليست طبقات مرتبة إحداها فوق الأخرى، ترتيبًا ييسر على الإنسان جهد قراءتها، فهي لا تشبه الكتب ولا الصفحات في أي مكتبة، بل هي ممزقة مهلهلة، مقذوفة أو مدفونة هنا وهناك، قد زالت معالمها، فهي أشبه شيء بمكتب عمل







قبل ٢٢٥ مليون سنة ظهرت الديناصورات العملاقة تدب على الأرض بأطنانها الثقيلة وأدمغتها القاصرة

سيّئ النظام، بعد أن أصابته على التوالي قذائف المدافع، وعبثت به يد احتلال عسكريّ مُعاد، ونالت منه يد السالبين، وصدعه زلزال وأصابه شرّر فتنة عنيفة، واشتعلت به النيران، ولبث الناس يطؤون سجل الصخور ذاك وهم لا يشعرون به مدى أجيال لا تحصى»(٨). أما علم الإنثروبولوجيا (علم الإنسان) فإنه يتحفنا بخبر مثير عن رحلة الإنسان التي بدأت ربما قبل سبعة ملايين من السنين، ومرت بثلاث مراحل

مهمة: الأولى مشى فيها الإنسان منتصباً، فبواسطتها تحررت اليدان، وهي ميزة إنسانية انفرد بها عن كل الكائنات، وانتبه ابن خلدون لها فجعلها هي والفكر وسائل بناء الحضارة(٩) كان هذا قبل نحو خمسة ملايين سنة، كما تم الكشف عن هيكلين؛ كشف الأول منهما الأنثروبولوجي الأمريكي تيم وايت في الحبشة، وعرف بهيكل (ارديبيثيكوس ـ راميدوس) يعود إلى ٤.٤ ملايين سنة، والثاني كشفته العالمة الأنثروبولوجية البريطانية ميف ليكي Meave Leakey في كينيا وعرف بهيكل استرالوبيثيكوس أناميسيس Australo-pethicus - Anamensis ويعود إلى نحو أربعة ملايين من السنين، ويعدّ هذان الهيكلان أهم الاكتشافات وأحدثها وأكثرها إيغالاً في الزمن، تم الكشف عنهما خلال العشرين سنة المنصرمة. والمرحلة الثانية اعتمدت نمو الدماغ ليصل في النهاية إلى نحو ١٣٠٠ سنتيمتر مكعب في المتوسط. وهذا كانت له آثاره في الارتباط الاجتماعي واعتماد الإنسان على والديه، بسبب مجيئه إلى العالم وهو غير مكتمل، فدماغه مع الولادة في نصف حجمه، خلافًا للحيوانات التي تولد مكتملة الدماغ، فتنفصل عن والديها، فلا تنمو اجتماعيًا، وهكذا تحول الإنسان إلى كائن اجتماعي. والمرحلة الثالثة هي الثورة الثقافية، وتمت قبل نحو مئة ألف سنة، حينما بدأ يترك آثاره في الكهوف، كما عثر على الكثير من مظاهر نمو الشعور بالمقدس وفكرة اليوم الآخر وتشكيل الأساطير، وفكرة بناء الكون على الجمال والغائية والبرمجة.

ولكن الإنسان لم يتخلص من مرحلة الأدوات الحجرية ليقفز إلى الحضارة في سومر ومصر إلا منذ



اصطدام الأرض بمذنب كبير غيّر الظروف الحياتية على الأرض فقضى على الديناصورات

ستة آلاف سنة فقط، ومعظم الفضل يعود في هذا إلى المرأة التي أدخلت الإنســـان إلى مقدمات الحضارة ببناء مجتمع المدينة من خلال تدشين الثورة الزراعية.

إن هذه الرحلة الجميلة تدخل تحت الفكرة القرآنية بالحث على السير في الأرض، وانتبه لها العلامة ابن خلدون قديماً، ولكن ما فتح الطريق إليه ابن خلدون لم يتابعه سوى العلماء الغربيين، الذين لا نرحب كثيراً بأبحاثهم والنتائج التي يصلون إليها، مع أننا يجب أن نسبقهم فيها على طريقة ابن خلدون الرائدة.



متى بدأت الحياة على وجه البسيطة؟!

قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق؟ العنكبوت:٢٠

إن هذه الآية من سورة العنكبوت عملاقة في المحور الذي تخطه للفكر، فالأمر هنا هو السير في الأرض، حيث تتحول الأرض والواقع إلى شواهد وكتاب ينطق بحقائق لا يُعثر عليها إلا فيه، فالأمر هنا هو في السير في الأرض وليس السير في الكتاب، أي قراءة الواقع وليس قراءة النصوص، وظن الاستغناء بالكتاب عن الواقع هو الذي قاد العالم الإسلامي إلى كارثة ثقافية مروعة، والنظر هنا لكيفية بدء الخلق، أي لفت النظر لمعرفة أصول الأشياء، لأن الأشياء إذا لم تُعرَف بدايتها، لم يعرف تطورها على وجه الدقة، فالأحداث تقوم على جدلية داخلية عجيبة من تشابك الماضي والحاضر والمستقبل، وتعانق السبب والمسبب، فكل حدث هو نتيجة لما قبله، ولكنه في الوقت نفسه سبب لما سيأتي بعده. فنحن أمام تدشين فكر فلسفي جدلي نقدي صارم. كما أن الآية تشير إلى كلمة الخلق التي هي كلمة ضخمة جداً، يقع تحتها كل ما عدا الخالق، فالكون تتمثل فيه حقيقتان، حقيقة الخالق والمخلوق، فالآية تفتح بانوراما (لا نهائية) لإدراك هذا القانون عبر المخلوقات التي لا تنتهي، بدءاً من كيان الذرة إلى ملكوت المجرة، ومن أبسط العضويات إلى أعظم الكيانات البيولوجية تعقيداً، ومن أدق الأفكار وأكثرها رشاقة إلى أعظم الحضارات وأكثرها شموخاً، فهذه الكلمة تمسح طيفاً عجيباً من الإمكانات، فكل ما هو مخلوق يخضع لهذه القاعدة من إعادة النظر ورؤية بداياته الأولية، من كيفية نشأة الأحداث، وولادة الأشياء، وقيام الدول، ونهضة المؤسسات، وولادة الأحزاب، وانبثاق الحضارات، مادامت كلها كيانات ولدت وتخضع لقانون الخلق ومطوقة في النهاية بمصير الزوال والموت والانقراض والاندثار.

أفكار بيولوجية مدهشة عند ابن خلدون

لم يكن ابن خلدون من علماء تاريخ الأرض، ولكنه كان عالم اجتماع بالدرجة الأولى، إلا أنه انتبه في كتابه إلى حقائق ضخمة في الوجود، ومنها إشارته إلى علاقات الكائنات بعضها ببعض، فهو يرى أن المخلوقات كلها، المعدنية منها أو الحيوانية على السواء، متصلة مترابطة بعضها ببعض، كما أنها - على حسب تعبيره - عندها أو فيها من الاستعداد أن يتحول بعضها إلى بعض (واستحالة بعض الموجودات إلى بعض) لنتأمل ما يقول العلامة ابن خلدون في هذا القانون الوجودي (الأنطولوجي) antology: «اعلم - أرشدنا الله وإياك - أنّا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والإحكام، وربط الأسباب

بالمسببات، واتصال الأكوان بالأكوان، واستحالة بعض الموجودات إلى بعض، لا تنقضي عجائبه في ذلك، ولا تنتهي غاياته، وابدأ من ذلك بالعالم المحسوس الجثماني، وأولاً عالم العناصر المشاهدة كيف تدرّج صاعداً من الأرض إلى الماء، ثم إلى الهواء، ثم إلى النار متصلاً بعضها ببعض، وكل واحد منها مستعد إلى أن يستحيل إلى ما يليه صاعداً وهابطاً».

إن هذه القفزة النوعية في الفهم يخشع لها الإنسان لكونها فتحت الطريق أمام الوصول إلى الجدول الدوري لتصنيف العناصر الذي اكتشفه الروسي مندلييف لاحقاً بعد ستة قرون، عندما أدرك النقطتين معاً في تدرّج العناصر، فكل عنصر في هذا الوجود يفترق عن الذي قبله وبعده بزيادة أو نقص بروتون واحد، وإمكانية تحول عنصر إلى آخر الذي اكتشفه لاحقاً العالم الألماني (أوتوهان) Otto Hahn حطم المسلمة اليونانية القديمة، أن الذرة غير قابلة للتحول والتجزؤ؛ لكونها أصغر شيء موجود ثابت في هذا الكون، وعن طريق شطر ذرة اليورانيوم (التي تحمل نواتها ٩٢ بروتوناً) وتحويلها إلى ذرتين من الباريوم والكريبتون (تحمل ذرة الباريوم ٥٦ بروتوناً ونواة الكريبتون ٣٦ فيكون المجموع ٩٢ بروتوناً) وتخسر الذرة نيترونات تطير من البناء الذري الأصلي فتصدم نواة أخرى لتنشطر نويات جديدة وهكذا، وهو سر التفاعل النووي الذي قاد لتطوير السلاح النووي لاحقاً، ولم يكن ليتم هذا لولا التخلص من مرض الآبائية أي المسلمات العقلية والأفكار المنقولة التي تعيق حركة العقل)(١٠) لينتقل ابن خلدون بعد ذلك في فقرة مثيرة جداً عن فهمه للظاهرة البيولوجية فيقول: «ثم انظر إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدرج: آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بذر له، وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف، ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط، ومعنى الاتصال في هذه المكونات أن آخر أفق منها مستعد بالاستعداد الغريب لأن يصير أول أفق الذي بعده، واتسع عالم الحيوان، وتعددت أنواعه، وانتهى في تدريج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والروية، ترتفع إليه من عالم القدرة الذي اجتمع فيه الحس والإدراك، ولم ينته إلى الروية والفكر بالفعل، وكان ذلك أول أفق من الإنسان بعده وهذا غاية شهودنا». عندما ينتهي الإنسان من قراءة هذه الفقرات لمفكر مسلم تقيّ كتبها قبل ستة قرون يصاب بالدوار، لأنه يرى أن الحضارة تكتب اليوم من الشمال إلى اليمين وكانت تكتب من اليمين إلى الشمال، وقارئنا يضطر دوماً عند القراءة إلى معرفة مصادر المعرفة التي تتدفق من الشمال إلى اليمين لا يمكن أن يرصدها من دون أن يصاب بالحول والدوار.

الهوامش والمراجع

١ـ علم الباليونتولوجيا Paleontology هو علم تاريخ الأرض فيختلف بذلك عن الجيولوجيا (علم طبقات الأرض)، والأركيولوجيا (علم كشف آثار الحضارات) وأما الأنثروبولوجيا فهو (علم الإنسان عامة)، وهناك الجديد من العلوم في مزج أكثر من علمين في بعض، كما في مزج علم الجينات مع الحفريات باليوجينيتيك Paleogenetic أو مزج الجيولوجيا مع الكيمياء وكلها تسعى إلى الكشف أو شق الطريق لفضاء معرفي جديد.

٢ـ يراجع في هذا البحث الكامل عن أهم كشف إنثروبولوجي حتى الآن، الذي نشر في المجلة الألمانية P.M Evulotion.

٣ـ نشر هذا الكشف من الأحافير في مجلة الطبيعة ((Nature البريطانية، وأشارت إلى قصة الكشف مجلة الشبيجل الألمانية Der Spiegel بالتفصيل في عددها الرابع من عام ١٩٩٦م صفحة ١٣٦.

٤ـ مجلة P.M. Perspektive العدد الخاص عن التطور بعنوان Das Wunder Der Evolution المقالة بقلم السيدة باربارا جيرنج Barbara Gehrng في ١٥ صفحة العدد رقم ٤٤ من ص ٤ حتى ١٩.

٥ـ يراجع في هذا كتاب (نهاية التاريخ والإنسان الأخير) الذي أحدث ضجة واسعة حين صدوره، تأليف الكاتب الأمريكي ذي الأصل الياباني فرانسيس فوكوياما ـ نشر مركز الإنماء القومي.

٦ـ فرقة مسيحية جديدة ظهرت في أمريكا، وامتدت إلى أوربا وبقية العالم، وتعتمد العهد القديم جداً في شروحاتها، وهي ناشطة جداً في أوربا، وكانت لي معهم مناقشات مطولة؛ وهم يتوقعون نهاية العالم قريباً جداً.

٧ـ يراجع في هذا كتاب العلم في منظوره الجديد ـ سلسلة عالم المعرفة رقم ١٣٤ ـ تأليف روبرت أوغروس وجورج ستانسيو ص ٦٤.

٨ـ معالم تاريخ الإنسانية ـ تأليف هـ.ج. ويلز ـ المجلد الأول ـ ص٢٨.

٩ـ يراجع في هذا: المقدمة، فصل «الاجتماع الإنساني ضرورة».

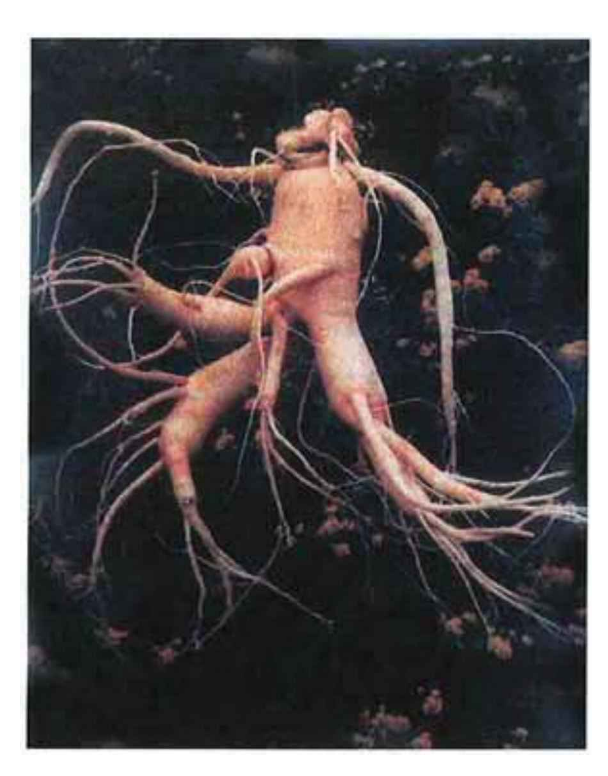
١٠ـ المقدمة لابن خلدون ـ بحث تفسير حقيقة النبوة والكهانة والعرافين ومدارك الغيب ص٩٥.

ـ الصور: أرشيف المجلة والإنترنت.

الجينسينغ
عشبة الشرق السحرية

مصطفى جزائري
دمشق - سورية

لقد جاء في أسطورة صينية أن الجينسينغ هي عشبةٌ ظهرت أول مرة عندما سقطت صاعقةٌ على ينبوع ماءٍ صافٍ، فاختلطت العناصر الأربعة: التراب والماء والنار والهواء بعضها ببعض. وهذا يعني أن العناصر كلها اجتمعت في جذر الجينسينغ. صحيحٌ أن هذا الكلام من نسج الخيال، لكنه يؤكد الصفة السحرية الملازمة لهذه العشبة. وما انفك هذا السحر يجذب الناس بأعداد متزايدة، ويحفز العلماء إلى دراسة خصائص الجينسينغ الغامضة.



والواقع أن الكوريين والصينيين اهتموا بهذه العشبة منذ عدة قرون، وامتد هذا الاهتمام في بداية القرن العشرين إلى باقي الدول، فابتدأت المخابر في روسيا وألمانيا واليابان وأمريكا بتحليل هذه العشبة للوصول إلى تركيبها.

كما أن موضوعها قد أثير في كثير من المؤتمرات الدولية خلال القرن العشرين. وقد تبيّن أن مثالية هذه العشبة تعود إلى تركيبها الكيماوي الغني، فقد أمكن تحليلها إلى عشرين مركبًا كيماويًا أظهر كل منها خصائص مختلفة عن سواه إلى حدّ أن أحدها كان منشطاً والآخر مهدئاً.

تركيب العشبة

تبيّن نتيجة التحليل الكيماوي أن العشبة تحتوي على غليكوسيد متصبن، وزيت طيار، وكربوهيدرات وأحماض شتى، وباناكسوزيد، وباناكساتريول، وزيت أساسي، وجينسينوزيد، وأنواع من الأحماض الأمينية، وكنز من المعادن والفيتامينات.

ملكة الأعشاب الطبية

عشبة الجينسينغ لا تغري في شكلها الناظر إليها، فهي عند بلوغها ترتفع من ستين إلى سبعين سنتيمترًا، وتحمل أزهارًا حمراء، وعناقيد من الحبوب الحمراء محاطة بخمس أوراق مسننة، لكن لب النبتة الحقيقي هو جذرها الأبيض الرمادي الطري كاللحم. وفي النبتة البالغة يصل طول هذا الجذر إلى سبعة سنتيمترات، ويصل وزنه إلى خمسة وسبعين غراماً، ويتفرع عنه فخذان جعلا الصينيين الأوائل يسمونها (جينسينغ)، وهي تعني (جذر الإنسان) لأنه يشبه الإنسان. وتنتشر العشبة في المناطق المرتفعة وشبه الرطبة في الجبال وداخل الأدغال والغابات، وهذه العشبة تعيش فترةً طويلة قد تصل إلى ٢٠٠ سنة ويتم جمع المحصول كل ٦ ـ ٨ سنوات، وتنبت البذور في السنة الثانية.

الجينسينغ دواءٌ لكل داء

لا يزال الصينيون يقدِّرون الجينسينغ منذ خمسة آلاف سنة، ويعدّونها العشبة الطبية الكلية القدرة. وتسرف كتب الطب الصينية في إطراء فعالية العشبة في معالجة اضطرابات الجهاز الهضمي، وداء المفاصل، والصداع، والأرق، والإرهاق، وفقدان الذاكرة، والزكام، والعجز الجنسي، حتى السرطان. وكان الجنود الصينيون يستخدمونها لتمدهم بالقدرة في الحرب، أما الأباطرة فقد استخدموها لإطالة الحياة. وينظر الأطباء التقليديون في الصين وكوريا إلى العشبة على أنها عقّار للوقاية أكثر منها للعلاج، وهم يعتقدون أنه إذا ثابر المرء على تعاطيها فترةً منتظمة من الزمن؛ فإنها تصد عنه معظم الأمراض، وتصون صحته العامة، وتساعد الجسم على شفاء نفسه.

أما العقل الغربي فلا يصدق شيئًا إلا بعد إخضاعه للتجربة، وهذا ما حدث ابتداءً من عام ١٩٦٩م إذ ابتدأت المخابر في الدول الغربية بتحليل العشبة وظهرت نتائج علمية دقيقة مدعمة بالأرقام عن هذه العشبة، وسنبين في ما يأتي هذه النتائج:

درس العالم ستيفن مولر من ألمانيا أثر العشبة في خلايا بشرية مزروعة فتبين له أمران:

الأول: أن الخلايا التي حقنت بالجينسينغ نمت بسرعة أكبر.

الثاني: أن هذه الخلايا كانت مقاومة للظروف المخبرية المعاكسة أكثر من سواها.



الجينسنغ غذاء رئيس للأطفال في كوريا والصين

وفي بلغاريا درس العالم فسيلين بانكوف آثار الجينسينغ في الدماغ، فوجد أنه يُحسن القدرة على التعلم، ويقوي الذاكرة. وقد توصل علماء الغرب إلى النتائج نفسها، وهم يعزون ذلك إلى تحفيز العشبة للغدد الصم التي تفرز الهرمونات وتؤثر في الاستعداد العقلي والجسدي.

ومن المعلوم أن كبد الإنسان يخزّن السكر الزائد على شكل غليكوجين حتى إذا ما انخفض مستوى سكر الدم حوّل الكبد الغليكوجين إلى سكر يرسله في تيار الدم إلى الخلايا ليعطيها الطاقة. أما خلايا البنكرياس فهي تفرز الأنسولين الذي يساعد على الاحتراق لتوليد الطاقة، والإصابة بمرض السكر تدمر هذه الخلايا



جذور الجينسنغ

وتعطلها عن إفراز الأنسولين. وقد بيّنت التجارب أن الجينسينغ يخفض مستوى السكر في الدم بشكل يماثل فعل الأنسولين تماماً.

وقد بيّنت نتائج مركز الأبحاث في كثير من الدول أن تناول الجينسينغ بصورة منتظمة يساعد الكبد من عدة جهات:

- فهو يعزّز وظائف الكبد بتنشيطه الدورة الدموية في الجسم.

- وهو يحسّن وظائف الكبد؛ لأنه يرمم الخلايا المخربة، ويسرّع شفاء الخلايا المصابة بالالتهاب نتيجة تناول العقاقير الكيماوية.

- وهو يساعد الكبد؛ لأنه يحسّن وظيفة الأيض في الخلايا. وسرعان ما ينتقل الجسم من حالة الركود إلى النشاط.

كما يساعد الجينسينغ على تنظيم إفرازات العصارة المعدية، وبذلك يزيد من كمية الدم المتدفقة إلى المعدة. ومن المعروف أن أحد أسباب القرحة المعدية سبب نفسي، إذ إن الحزن أو القلق الذي يصيب الإنسان يؤثر في أعصاب المعدة، ويجعلها تفرز حمض كلور الماء بشكل زائد يجعله يتغلب على المخاط، ثم تظهر القرحة المعدية، والجينسينغ هنا، بتأثيره في العصب المرتبط بالمعدة، يزيد إفراز المخاط فيمنع القرحة. وقد ثبت من خلال التجارب أن الذين يتناولون الجينسينغ بانتظام يقرون بتأثيره المنعش، وبأنه يحفظ المعدة بعيدة عن القرحات والألم.



ورق الجينسنغ

وأثبتت التجارب المخبرية أن الجينسينغ يحفز انقسام كريات الدم، ويجددها، ويساعد على تشكيل الهيموغلوبين، كما أنه يقوي عضلة القلب، ويقلل من حاجته إلى الأكسجين، ويمنع تشكل الجلطات الدموية. وبما أنه يحتوي على معادن البوتاسيوم والماغنيزيوم والكالسيوم والمنغنيز فهو يحرض الأنزيمات ويحفز إنتاج كريات الدم، ومن ثم فهو يقاوم فقر الدم باحتوائه على الحديد وعلى فيتامين ب١٢.

لقد ارتبط اسم الجينسينغ عند عامة الناس بالجنس، والواقع أن الجينسينغ منشط عام لكل

أجهزة الجسم، ولا يمكن حصر فائدته بالناحية الجنسية فقط. وقد وجد العلماء نتيجة تجاربهم أن الجينسنغ يسهل انقسام الخلايا داخل الخصية، وهذا يساعد على زيادة عدد الحيوانات المنوية. ويجدر بنا هنا أن نجري موازنة بين الجينسنغ والفياغرا، فالجينسنغ علاج طبيعي يحسن الدافع الجنسي؛ لأنه يعالج الضعف العام للجسم كما مر معنا، فهو يحسن ظروف التغذية الجيدة للجسم فيقويه فيزيائيًا وفيزيولوجيًا، وهو يبعد الأمراض عن الجسم، كفقر الدم، والسكر، وأمراض الكبد، وهذا يفسح المجال أمام الدافع الجنسي الحقيقي للظهور. أما الفياغرا فهو علاج كيماوي له تأثيرات جانبية خطيرة تصل إلى حد الموت أحيانًا. ولا بد أن نشير إلى أن التجارب أثبتت أن الجينسنغ له أثر كبير في الرجل العقيم، أي الرجل الذي لا يصل عدد الحيوانات المنوية لديه إلى حد الإخصاب، وأثبتت التقارير المخبرية أن تناول الجينسنغ بصورة منتظمة يرفع معدل الإخصاب إلى المعدل الطبيعي.

أما في ميدان السرطان والإيدز فالتجارب فيه حثيثة، وخاصة في الصين وكوريا. وقد ثبت حتى الآن أن الجينسنغ يدمر خلايا السرطان، ويقاوم نموها، وهو يزيد عدد الخلايا اللمفاوية التي تدمر فيروس الإيدز، وما زالت التجارب مستمرة في هذا المضمار.



الجينسنغ مقاوم للشيخوخة

لقد افتنّ الصينيون والكوريون في استخدام عشبة الجينسنغ، فعزلوا المواد الفعالة فيها، واستخدموها حقنًا وكبسولات في علاج الكثير من الأمراض العضالة، كالسرطان، وتشمع الكبد، والإيدز.

كما أنهم يستعملون جذر العشبة غذاء على موائد الطعام، ويصنعون منها شرابًا مغذيًا للأطفال، وحساءً يستخدمه الجميع، ويصنعون من النبتة عقّارات يخلطونها مع الأعشاب الأخرى، ويستخدمونها لدوار البحر والصداع ولإزالة أثر النيكوتين والكحول من الجسم. وقد صنعوا من النبتة شايًا يعبأ في ظروف، وصنعوا منه بودرة ناعمة جدًا للخلط مع العصير، وصنعوا من العشبة أيضًا عسلاً للجمع بين أثر العشبة وأثر العسل في تقوية الجسم وتجديد طاقته. ولم يتركوا مجالاً للاستفادة من العشبة إلا طرقوه، فهم - على سبيل المثال - قد صنعوا منها سجائر، وعلكة للمضغ، ومعاجين أسنان، وشامبو للحمام، وماء كولونيا، وكريمات ومساحيق لتطرية الوجه واليدين، وللتخلص من النمش والتجاعيد، وصنعوا منه كريمات لتصفيف الشعر وتقويته.

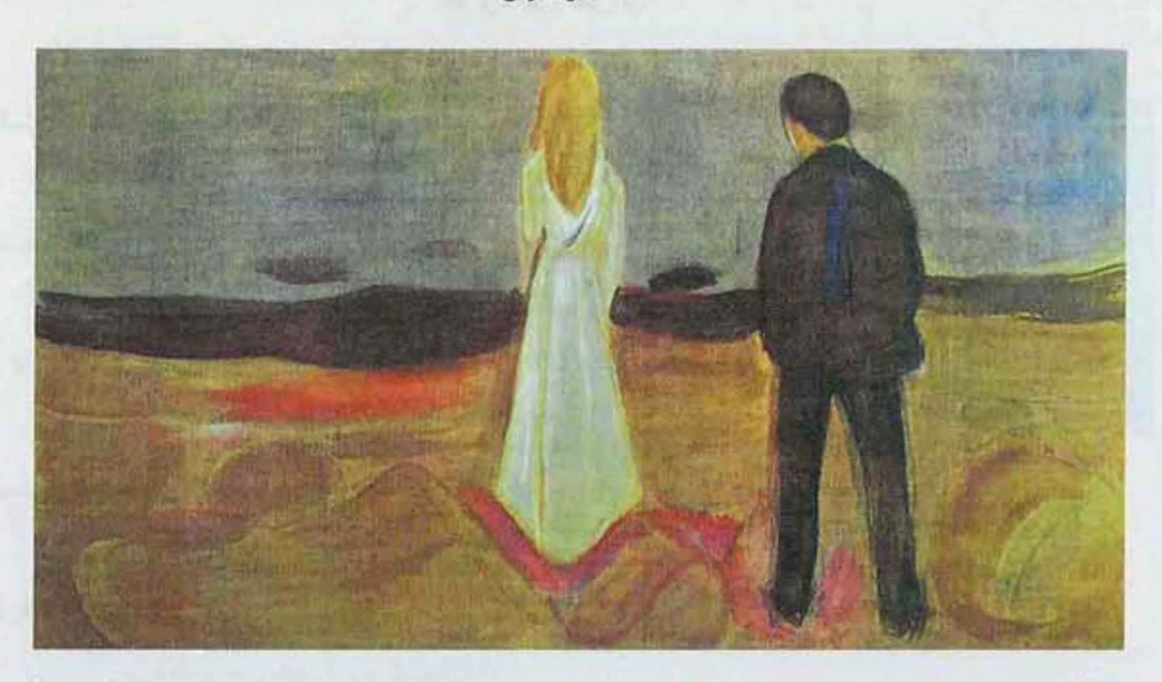
أما الغربيون فقد أطلقوا على الجينسنغ لقب: عشبة الشرق السحرية، واستحقت أن تسمى ملكة الأعشاب الطبية؛ لأن الله أودع فيها الكثير الكثير من الأسرار والفوائد، وتبارك الله أحسن الخالقين.

المراجع

- النباتات الطبية والعطرية، د. حسان الورع، جامعة حلب.
- النباتات الطبية وفوائدها، م. عماد الكويفي، دمشق.
- الأطعمة الشافية والنباتات المداوية، د. أيمن الحسيني، القاهرة.
- أعداد مختلفة من مجلة المختار.
- Ginsong, Insam Room كتاب عن عشبة الجينسنغ صادر في كوريا الشمالية باللغة الإنجليزية، وقد استفاد كاتب المقال من بعض مواد هذا الكتاب بعد أن ترجمها إلى اللغة العربية.

جرحٌ آخر يشبهني

أحمد الشلفي
تعز - اليمن



سأمرُ...
قد مرّوا وما احترقوا
سأمرُّ..
كان الجرحُ يشبهني
والنارُ تحرقني
وما احترقوا
سأمرُّ...
قد أصحو على أفقٍ
فيطول في أهدابيَ الأفقُ
هذي سماء الجرح تنهشني
وذهول قلبي ما به رَمَقُ
حدّقتُ أبحث عنك

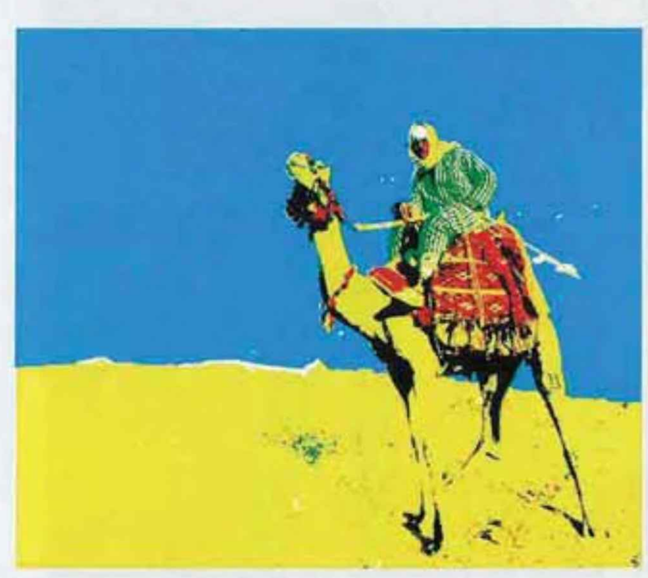
كنت صدًى
من جُرحيَ المَوّار ينبثقُ
هل أنت أنت؟!
تطول أسئلتي
وتروح تعبث بي وتنغلقُ
من أنت..؟!
هل أنتِ انكسارُ دمي
هل أنتِ شَدْوي حين يأتلقُ
هل أنت جرحٌ يستبيح دمي؟!
سرٌ يُخالج دهشتي..
عبقٌ!
شجنٌ على عينيكِ مُرتسمٌ

وعلى ذهولي راحَ ينطلقُ
أتراكِ تنكسرين في لغتي
أترى يغازل قلبكِ الأرقُ
أرسلتُ في بحر العذابِ مُنًى
فأتتْ مُنايَ إليكِ تستبقُ
أرسلت أهدابي لأغسلها
فأصابها في بحركِ الغرقُ
مازلتِ تختصرين قافيتي
مازال يعصر قلبكِ القلقُ
والبَوحُ كان البوحُ يسرقني
هل تذكرين..
إذ الدُّجى غسقُ

عفراء

عروة بن حزام *

أفـي كـلّ يـوم أنـتَ رام بـلادَهـا
بعَـيْنَيْنِ إنسـاناهُمـا غـرقـانِ؟(١)
ألا فـاحْـمِـلاني، باركَ اللهُ فـيكمـا
إلى حـاضـرِ الرَوْحـاءِ ثمّ دَعَـاني
ألِمّـا على عَـفْـراءَ إنكمـا غـدًا
بشَحْطِ النوى والبَيْن مُعْـترفانِ(٢)
أغـرّكـما منّي قمـيصٌ. لَبِسْتُـه.
جـديدٌ وبُرْدا يَمْنَـةٍ زَهيـانِ(٣)
مـتى ترفـعـا عنّي القـمـيصَ تَبَيّنَا
بيَ الضّرَّ من عفراءَ، يا فتَـيانِ(٤)
وتَعْـتَـرفـا لحـمًـا قليـلاً وأعظُمًـا
رقـاقًـا وقلبًـا دائمَ الخَـفَـقـانِ
على كَـبِدي من حب عـفراءَ قُـرْحةٌ
وعـينايَ من وَجْـدٍ بهـا تَكِفـانِ(٥)
يقـولُ لي الأصحـابُ، إذْ يَعْـذِلونني:
أشـوقٌ عِـراقيٌ وأنتَ يمَاني؟
وليسَ يَمـانٍ للعـراقِ بصـاحبٍ
عسى في صُروف الدهر يلتقيانِ(٦)
تَحَمّلْتُ من عـفـراءَ ما ليس لي به
ولا للجـبـال الراسـيـاتِ، يدانِ



كـأن قطاةً عُلّقَتْ بجنَاحِـهـا
على كَـبِدي من شِدّةِ الخَـفَـقَانِ!
جـعلت لعَـرّافِ اليـمـامـةِ حُكْمَـهُ
وعَرّافِ نجْـدٍ إن هما شَفَيـاني(٧)
فـقـالا: «نَعَمْ، نشـفي من الداء كلّه»
وقـامـا مع العُـوّاد يَبْـتَـدرانِ(٨)
فـمـا تَركـا من رُقْـيَـةٍ يَعْلمـانِها
ولا شَـرْبَةٍ إلاّ وقـد سَقَـيـاني(٩)
ومـا شَـفَـيَـا الداءَ الذي بيَ كلّه
ولا ذَخَـرا نُصْـحًـا ولا ألوَاني(١٠)

فـقـالا: «شـفـاك الـلـه، والله، مـا لنا
بمـا ضَــمِنَتْ منك الضلوعُ يَدان»

فيا عمُّ يا ذا الغدر، لا زلتَ مُبْتَلىً
حَليــــفًــــا لـهمٍّ لازمٍ وهوانِ

وإني لأهْوى الحـشـرَ إن قيل: إنّني
وعفراءَ يومَ الحشرِ مُلتقيانِ!(١١)

ألا يا غُــــرابَيْ دِمنةِ الدار، بيِّنا:
أبِالهجـرِ من عفراءَ تَنْتَـحبانِ(١٢)

فإن كـان حقًا مـا تقولانِ فـاذهبا
بِلَحْمي إلى وَكْـرَيْكُمـا فكُلاني(١٣)

أناسِيَـةٌ عـفـراءُ ذِكْـرِيَ بعدمـا
تـركتُ لـهــــا ذكـــرًا بكلِّ مكانِ؟

تكَنّفَني الواشـونَ من كل جـانبٍ
ولو كـان واشٍ واحـدٌ لكَفـاني(١٤)

يُكلِّفني عـمّي ثمـانين نـاقـةً
ومـاليَ، يـا عفـراءُ، غيـرُ ثمانِ(١٥)

فيـا ليتَ مَحيانا جمـيعًا، وليْتنا
إذا نحن مِـتْنا ضَـمّنا كَـفنانِ(١٦)

ويا ليت أنّا الدهرَ في غيـرِ ريبةٍ
خَلِيّـانِ نرعى البَهْمَ مُـؤتلِفـانِ(١٧)

فو اللهِ، ما حدّثتُ سِرّكِ صاحبًا
أخًـا لي، ولا فاهتْ به الشفتانِ(١٨)

تَحمّلْتُ زَفْراتِ الضّحى فأطَقْتُها
ومـا لي بِزَفْـراتِ العَـشِيِّ يَدانِ(١٩)

الهوامش

* هو عروة بن حزام بن مُهاصر أحد بني ضبّة بن عبد من بني عُذرة، يتم من أبيه باكراً فعاش في كفالة عمه مالك بن مهاصر. وكان لعمه ابنة اسمها عفراء، نشأ عروة معها، فألِفَ كل واحد منهما صاحبه.

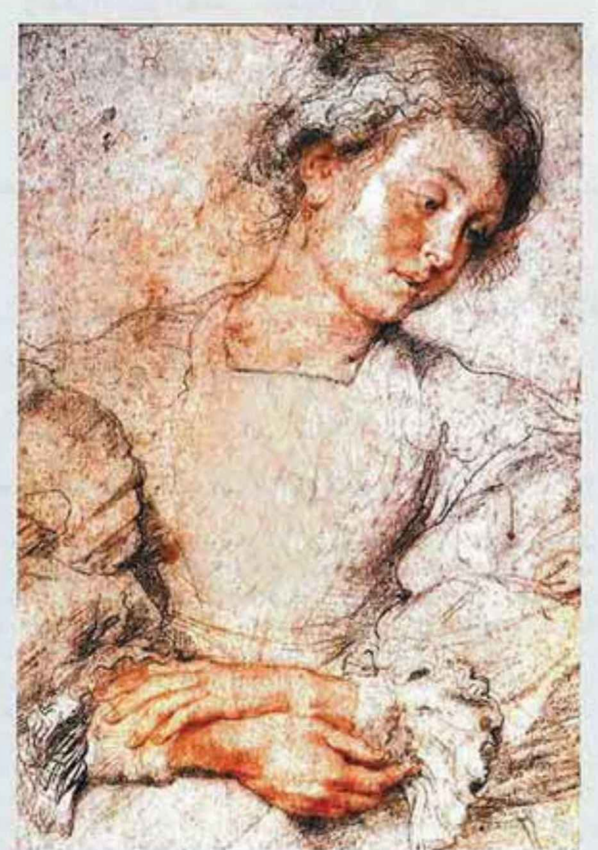
وأراد عروة أن يتزوج عفراء، ولكن أمها كانت كارهة له لفقره. ورحل عروة إلى عمٍّ له في الري بفارس يطلب منه شيئاً من المال، فاتفق أن ورد على آل عفراء رجل غنيٌّ من أنساب بني أمية ومن أهل البلقاء (الشام، شرق الأردن اليوم) فتزوج عفراء. وأراد مالك بن مهاصر أن يخفف الصدمة عن عروة إذا عاد ولم يجد عفراء فعهد إلى قبر عتيق فجدّده ليوهم عروة أن عفراء ماتت. ورجع عروة وشيكًا، ولكن عرَف جليّة الأمر، فرحل في نفر من أهله إلى البلقاء. فيقال: إن زوج عفراء عرَف قدوم عروة، ودعاه إلى أن ينزل ضيفًا عليه، وأن يرى عفراء، فأبى ذلك كرماً منه وحفاظًا، وعاد إلى بلده فمات قبل أن يصل إلى المدينة، نحو سنة ٣٠هـ (٦٥٠م).

ويزعمون أن عفراء مرت يوماً بقبر عروة، فنزلت عليه تبكي وتنتحب حتى ماتت عنده.

١. ..... بعينين ممتلئتين بالدموع.
٢. ألمّ: زار زيارة قصيرة. الشحط: البعد. النوى: البعاد، الفراق (البعد عن المحبوب).
٣. زهيان مثنى زهي (؟) أو زاهٍ: متعدد الألوان أو حسن المنظر.
٤. تبينان: تتبينان (تبصراني وتتحققان من تحولي).
٥. وجد: حب. وكَفَ الدمع: سال.
٦. عسى هنا بمعنى حتى: ليس العراقي موافقًا في الدار لليمنى حتى يلتقيا (إنهما لا يلتقيان) أو: إن العراقي واليماني بعيدان في الدار، ولكن ربما التقيا.
٧. عرّاف اليمامة وعرّاف نجد (راجع الشعر والشعراء ٢٢٨٦).
٨. أوهماني أنهما قادران على شفاء ما بي ولكنهما كانا يعلمان أن لا شفاء لي؛ ولذلك نهضا مع العواد (جمع عائد: الذي يزور المريض) وغادرا غرفتي؛ لأنهما كانا يوقنان أني سأموت وشيكًا.
٩. وذلك بعد أن كانا قد عالجاني بكل نوع من أنواع الرقى (الرقية دعاء يقال على رأس المريض لتخفيف مرضه النفساني). الشربة: الدواء يؤخذ بالفم.
١٠. لم يشفياني شفاء تامًا مع أنهما لم يدعا نصيحة ينصحانني بها ولا بخلا علي بشيء من المداواة.
١١. الحشر: القيام من القبور (انتهاء هذه الحياة).
١٢. غرابا دمنة الدار: الغرابان الملازمان للدار يصيحان بها لا يفتران.
١٣. إذا كان التفريق بيني وبين عفراء صحيحًا فإني أفضل أن أموت، وتأخذا لحمي إلى وكريكما، وتأكلانه مع فراخكما.
١٤. تكنفني: أحاط بي.
١٥. يكلفني عمي ثمانين ناقة (مهراً لعفراء).
١٦. ضمنا كفنان (يقصد: ضمنا كفن واحد).
١٧. الخلي: الموجود في أرض خلاء ليس فيها أحد غيره. البهْمَ: صغار الغنم (الضأن والمعزى).
١٨. ما بحت بحبي لك إلى أحد.
١٩. تحملت زفرات (تأوهي من ألم الحب) في الضحى (في أول أمري)، ولا أستطيع أن أتحمل في العشي (في أواخر أمري: أواخر عمري) ما كنت قد تحملت مثله من قبل.

قَيْد

فوزية العلوي
القصرين - تونس



حبيّ، كلون مساءٍ حزينْ
وينطق ما بينَ صمْتي وصمْته
وأنّى لصوته أنْ يستبينْ
حبيّ ويغْتالُ صبْري
ويملؤني باخضرار التمني
وإنّي أطيرُ إليه أغني
فألفي الكلامَ على شفتيْه
يُهادلُ أفنانَ عشْق وإنّي
أكادُ أهمُّ، أقولُ أهمُّ
أبوحُ أنا بالّذي هو منّي
فيُمسي كلامي
كطيْف منَام
بَعيد المَرام
كثير التجنّي

•••

حبيّ ومنتجعٌ للأغاني
وإمّا أتاني
تميدُ بيَ الأرضُ سبْعًا
وترتجُ سبْعًا
ويأخذُني في انهمارِ الثواني
دُوَارٌ
كمَا الفلكُ يجري
بأضغاثِ نهْر
وألقاهُ نُوحًا
أمُدُّ يديَّ إليْه عسَاني

•••

حبيَّ وأهزوجةٌ للتّلاقي
على راحتَيه شَميمُ الخُزامَى
عَصيُّ التَّجلّي
عزيزُ العناقِ
يُناديني جهْرًا
فأهتزُّ سِحرًا
ويأتيني سرًا
فيُذكي احتراقي
وإما أضجُ أقول سأمضي
فألقاهُ قسرًا يشدّ وِثاقي.



الكائن الذي اختلّ توازنه فانتهب جسده

عبدالله بن بخيت
الرياض - السعودية

في فترة متقدمة قررت أن أسمي هذه القصة (الخروج من العتمة)، ولكن هذا العنوان لم يعجبني من عدة وجوه. فهو أولاً لا يفي بالموضوع بالكامل؛ لأن الخروج من العتمة قد يوحي بالخروج إلى الشهرة والمجد. وفي الوقت نفسه يستثني كامل المصير الذي آل إليه الصرصار. وحتى إذا اكتملت بجملة أخرى توضح معالم هذا الخروج، بقولي، مثلاً: الخروج من العتمة والموت فيها أو الانتحار، هذا العنوان لا يقرر مصير الصرصار الحقيقي وإنما يولد انطباعات مختلفة.. أهمها أن هذا الكائن خرج من العتمة بملء إرادته، وهذا مناف للوقائع التي سوف نقرؤها بعد قليل. ثم إن الخروج من العتمةَ قد يرتد عليّ ككاتب. فالقلائل من الزملاء الذين يعرفون أنه سبق لي أن عملت في الصحافة الأدبية ستقفز إلى مخيلاتهم أوهام وأخيلة توثق الصلة بين هذا العنوان وخروجي مجدداً إلى الضوء. ومن غير اللائق أن أقرن اسمي وأسلوب خروجي بمغامرة صرصار فاشل خرج إلى الضوء فانتهب جسده.

على كل حال مسألة العنوان لا تشكل مأزقاً بالنسبة إليّ إلا في بعض الحالات القليلة جداً مثل هذه الحالة التي يهتز فيها تماسكي أمام النص، ولذا سألعب دورين متناقضين: دور الشاهد، ودور الكاتب. فعندما أقرأ النص من الخلف أجدني متورطاً في المغامرة نفسها. وعندما أقرأ النص من الأمام ألاحظ أني مجرد شاهد على معركة تتكرر في الطبيعة دون انقطاع. وهذا التلاقي المزدوج يستدرجني لمزيد من التورط في بحث الصلات بين الواقع والخيال. سواء على صعيد الحياة اليومية المعيشة أو على صعيد النص.. وقد يلاحظ القارئ أنني استبعدت اسم الصرصار من العنوان مع العلم بأنه قد يلعب دور البطل في نظر بعض القراء. مما قد يثير في داخلي بعض التساؤلات عن معنى البطولة وعن هذا الزمن الذي يولد الملائمات التي تسمح للصراصير بمنازلتنا، واقتسام البطولة معنا في داخل النصوص التي نكتبها. ومن غير اللائق أيضاً أن يكتب اسم الصرصار بالبنط العريض في وثيقة يراد لها أن تكون محترمة. والصرصار الذي تم إفناؤه في هذه القصة يسمى الصرصار الأمريكي. والغريب في الأمر أنني لم ألاحظ عليه أي مظاهر إمبريالية باستثناء أسلوب التغذية الانتهابي الذي ينتهجه؛ إذ يأكل كل شيء تقع عليه قواضمه بما فيها مخلفاته. ويقال: إنه سوف يتجاوز العصر الذري الذي ينتظر الإنسان بتكييف أجهزته. وهو يمثل بصورة أو بأخرى أقدم كائن على الأرض بهيئته هذه مما يؤكد قدرته على التلاؤم والتكيف مع صور الحياة المختلفة التي تمر على الأرض، وليس هناك أجدر من كائن تخلى كلية عن كل أشكال الرفاهية المتوافرة، واعتصم بمراحيض بيوت الفقراء، فقد احتجب عن مبررات الفروسية والمجد، وراح يعزز استمراره بالتنازل المتواصل حتى أضحى قطعة لا تقتطع من الطبيعة. ولك أن تتخيل تراث مئة وخمسين مليون سنة من التواضع. فعندما اجتاح العصر الجليدي الأرض تفرقت الكائنات أيدي سبأ إلا هو فقد أجرى بعض التعديلات الطفيفة على جهازه الهضمي ثم أدخل الثلج كجزء أساسي في قائمة تغذيته، واستأنف بقاءه على الشريط المحاذي لحافة الموت عازماً على مواصلة الحياة دون أدنى درجة من المباهج. من يتصور أن هذا الكائن الذي غالباً ما يذهب ضحية دعسة قدم مهملة، استطاع أن يقاوم جميع الظروف الحادة التي مرت بها الأرض؟! فالمقاومة لديه لا تكمن في قدراته الدفاعية إذا لاحظنا أنه يعيش دائماً على حافة الموت، فأجهزته التنفسية حيث تقع خياشيمه في بطنه لا تتيح له حتى فرصة السقوط في الماء، ومع ذلك انتقل من الغابات والأحراش عندما ضاقت فرص العيش هناك، ولجأ إلى الأماكن الرطبة. وقد دافع عن

بقائه عندما توسعت أمامه فرص الموت باتخاذ أعظم وسيلة دفاع ضد الموت وهي التناسل المروع. فإذا اصطفى الموت مئة تم تعويضهما بألف. وهكذا راوغ كل فرص الفناء التي وفرتها الطبيعة لكل الكائنات التي لازمت حركة تكوين الحياة في بدايتها. بالإضافة إلى ذلك فقد حقق أكبر قدر من التكيف بتفريغ كل أشكال التعقيد في داخله. والتزم أقل التكاليف مما أغرى الطبيعة بإهماله. فهو لا يقاوم، لذا فهو لا يقاوم. فانحدرت سلالته عصراً بعد عصر، وجيلاً بعد جيل، حتى هو لن يستطيع أن يوقف ذاته عن الوجود؛ فقد خلف أسلافه في داخله عنصر القوة المنتزعة من أقصى درجات الضعف. فعندما يشترك مع الآخرين في العنصر الوحيد الذي يؤمن الحياة، فإنه يستقل عنها ماضياً في غربته، يهيئ لذاته مناخ العزلة التي سوف يعيشها بعد ملايين السنين عندما تفنى الكائنات ولا يبقى إلا هو، وهذا ما يؤكده اختياره المبكر للصمت والظلمة.

ارتكب الخطيئة وخرج إلى الضوء وأتاح الفرصة للنمل والشمس والكاتب. النمل ليتغذى عليه، والشمس لتقتص منه، والكاتب ليكتب عنه. تباركت تلك الفرصة القديمة التي ألقت بظلالها على مخيلة عبدالله بخيت عندما كان يهم بالانضمام إلى طائفة النائمين بعدما أطاحت بهم حرارة الشمس في تلك القيلولة منذ أكثر من عشرين عاماً. عندما هوى الصرصار أمام عينيه، ورفرف بجناحيه فزعاً كطائر أصيب بطلق صياد. وارتطم بالأرض. ثم اصطدم بزوايا مختلفة، واستقر على ظهره في مساحة واسعة، فانسحب جسده في كل الاتجاهات، واتجه بقوة الدفع المتبقية في جناحيه ليعود فيرتطم بالعمود. فطفق يدور حول نفسه بعد أن استقرت أجنحته تحته تماماً. وتعلقت أرجله الست في الفضاء تبحث عن صلابة في الهواء تتمسك بها. استغرق وهلة من الزمن يقلب الأمر على جوانبه، فانتبه إلى المأزق الذي تورط فيه، فعاد إلى الحركة لعل جسده يصيب من النجد الصغيرة المنتشرة في الأسمنت المتآكل فيصطدم بها فيحظى بتوازنه. ولكن الأرض حيدت نفسها فاستبد به الهلع، وراح يختبئ في الأمان الذي تقدمه له حركاته، حيث أبطأ من حركاته المتوترة، وغاص في حركات متقطعة تنقله أو تزحزحه قليلاً عن موقعه، وكأنه ينوجس خيفة من مستقبل قريب غامض. وسرعان ما أيدت الأحداث ذلك.

إذ ظهرت فجأة طلائع من النمل تتجه نحوه بثقة وثبات. وفجأة اعترته نوبة مجنونة من الحركة كأنما زُرق في داخله قوى جديدة بعد أن استقر في حركاته البطيئة. فربما سمع دبيب النمل يقترب، وأحس أنه دخل مرحلة حرجة أمام هذه الجحافل من الغزاة المتوحشة التي تتقدم نحوه بعزم لا يشوبه التردد. عاودته تجارب السنين الطويلة التي خاض غمارها وخرج فيها جنسه منتصراً، فاشتبك مع المأزق الذي وقع فيه واشتعلت فيه الرغبة لتأصيل استمراره. فاستنجد بالحركات العنيفة والدوران المستمر. وفي تلك اللحظات لم يحس الإحساس الكامل بالفشل إذ مازالت جحافل النمل بعيدة عن جسده. ولكن خبرته الطويلة مع هذا المنحدر الذي تدهور فيه أخبرته أن البطء الذي يشوب حركات النمل ليس إلا حكمة الطبيعة لاستنفاد آخر قطرة من قدراته على المقاومة. حتى إذا بلغته الغزاة يكون قد أعد نفسه إعدادا كاملاً كفريسة سهلة لها. لم أتعرف على مميزات خاصة في النملات الأولى التي دخلت منطقة الصراع. ولكنني لاحظت أن هناك خطة محكمة للإطباق عليه. إذ بدأت دفعات من النمل أو كتائب منه تتجاوزه مخلفته وراءها ببضعة سنتيمترات لتستدير وتقرر هجوماً من جهة أخرى في الوقت نفسه الذي دخلت فيه زميلاتها المعركة من الجهة الرئيسة. وبعد لحظات أصبح في داخل حزام من النمل ضرب عليه مع جميع الجهات. فأصبحت كل حركة من حركاته تؤدي به إلى المزيد من التورط. مما أربك قراراته، وأخذ يعاني من التحولات المستمرة. والتنقل من أسلوب إلى أسلوب مضاد من أساليب المقاومة. فالرعب يفقد الكائن حكمته. فتارة يلجأ إلى الحركات العنيفة التي تفرض على المهاجمين توسيع دائرة الصراع مع بقاء عنف الهجوم مستمراً، وأخرى ييأس في سكون مؤلم وكأنه فارق الحياة نهائياً. وتارة أخرى يقبع في مكانه مسلماً جسده للخصوم وقد باعد بين أقدامه. حتى إن ضربات رجليه فقدت الانسجام والتوافق، وراحت كل ضربة تعبر عن معاناة تختلف عن الأخرى، وكأنه يتوسل الصفح والغفران على طموح ألم به فنقله إلى الأعالي التي تهاوى منها ليختل توازنه ويمسي عرضة للزوال الأبدي. وفي أحيان كثيرة يقامر بالتزام الهدوء وكأنه يبوح لخصومه بأن الحياة متكاملة فيه مما لا يسوغ انتهاب جسده. وكان النمل يستغل كل لحظة سكون ليتسلق الجسد المسجى. ومع أن المعركة قد دخلت أسمى مراحلها لم تظهر أي دلائل تشير إلى أن هناك من سيمد العون لهذا الكائن البائس. فكانت تلك هي اللحظة الحاسمة التي كان بوسعي أن أتدخل، وأضع حداً لهذا العنصر الهدام من عناصر الطبيعة. إلا أن ترددي فوت الفرصة، وأصبحت ملزماً فقط باستكمال تفاصيل المشهد كافة، فتدخلي الآن خيانة واختراق للوقت من مؤخرته. فالقوة الصلبة التي قد تتيح لهذا الكائن المساهمة في الحياة قد تلاشت ولم تعد أمامه إلا مقاومة أخيرة تؤمن له ميتة كريمة. فليس هناك شيء يجعله يفلت من

مصيره. فقد لاحظت خيطاً من النمل يتخذ وضعيات تحيط بأطرافه لاستدراج أي بقية من حياة ربما تخلفت في أعصابه بعد أن تصدعت الحراشيف الواقية للقلب الممتد بطول الجسد بفعل الهجوم الضاري للطلائع الأولى التي بَثَّتْ في هذا القلب الكبير كل قيم الطعن والعض وتدفق الإبادة. ثم تسللت مع الضياء لتفجر في داخله سلطة الشمس التي أنكرها طويلاً بالاهتياج المضجر لتفاخر الدم الأبيض القديم الذي تخثرت مساراته. وكان العمود وهو أحد الأعمدة التي تتكئ عليها حياة البيت، يقسم شعاع الشمس إلى شطرين، تاركاً صورته الظلالية البنية الداكنة، كنثار حديد صدئ، تلتمس طريق نهاياتها على باب الحجرة القديم الذي أكلته الأيدي، حيث تعود الشمس لتطوقه قليلاً قليلاً وهي تقضمه حتى يتلاشى، فتعود فتبسط سلطانها من جديد. فتفر ظلالات الأشياء الأخرى في حركة هاربة دائمة مع دوران الشمس، في رجاء المساء، لتستيقظ الصراصير وتشهد الوقائع التي خلفها ذلك الكائن المنكوب. ولكن النهار كان في منتصفه وسوف تقتص الشمس من غريمها القديم الذي زاحمها أصالة التاريخ، بالتكيف والتنازل والتناسل المروع، باقتحام منابع إمتاع الظلمة في تجاويفه الغويطة. صار كل شيء في المنزل مكتظاً بالضوء والأنياب الظافرة فلاذ أخيراً إلى محتوى مخيلته من تراث الظلمة وتقاليد الصمت التي رعاها ملايين السنين. تاركاً نبضاً خفيفاً في أنحاء الجسد كنجوم متناهية في البعد دهمها الصبح تومض في الإبطاءات المتناثرة في الزمن القصير المتبقي للمعركة. ولكن النمل بالغ في الإنجاز فراح يحطم أجهزة الدماغ، فقد ثقب الرأس، واقتحم مخزون الخيال، وأشعل في ذاكرة المقاومة لديه حريقاً من الشمس حتى أطفأ آخر معاقل الظلمة مما أنضج عملية إلغائه من الوجود واقعياً وخيالياً. وأخيراً اتسعت بحيرة الأنياب الصغيرة التي كان يطفح فيها، وتناثرت أجزاء جسده، وأخذت تتجه إلى المغارات التي يمتلئ بها خط اللقاء بين الحيطان والأرض. أما الأرض فقد استأنفت حيادها إذ تفرقت النجد الصغيرة لتفسح الطريق لنقل حطام الجثة إلى مخزون الشتاء القادم.

بدت لحظة السحب ترتفع إلى معنى يخلو تماماً من التغيير، وكأن الجثة وجدت بحالها هذه منذ الأزل، وأن الأحداث التي جرت قبلها كانت ابتكارات خيالية ولدت مع ولادة هذا النص، وسوف تغيب مع نهايته. فاستولدت حساسية لم تكن موجودة من قبل. ربما انقلب تدفق الحبر حيث راح القلم يمتص المعاني من النص ويسربها عبر أصابعه إلى الجسد، فاهتز تماسك عواطفه، ولم يعد يفكر في النص بالطريقة المألوفة.. كان هناك أزيز شديد يضج في دماغه وبمشاهدة واحدة لعينيه تلمس مدى الانطفاء والزوال الذي أصابه في كل مرة يضطر أن يجري بعض التعديلات الطفيفة على موقفه العاطفي بأن يتلمس غترته أو يمسح وجهه وهو لا يشعر بالقدرة على إغماض عينيه خشية أن يغيبا عن محاجرهما فلا يستطيع أن يسترجعهما مرة أخرى. كانت راحتا يديه رطبتين مملوءتين بالعرق، وكان في حاجة قصوى إلى مساندة من قضيب أو أكرة الباب أو حائط. التمس طريقه وسط شتات إرادته وهو يعزي نفسه بأن الأشياء التي تفقد حقيقتها في وعيه تعيد بين الحين والآخر وجودها، وأن الإجراءات التي نفذت على جسد الصرصار متعلقة بالذاكرة الملوثة بالخيال.

حاول أن يستدعي حلماً من أحلام يقظته وفشل في تثبيت الصورة، وعاد إلى الواقع وفكر في صورة جنسية تلهيه، ولكنه شعر بالإرهاق قد دب في خياله حتى عجز عن تعرية أي امرأة. رأى أن يصرخ أو يغني فانطلق منه الصوت



كضياء تمزق على موشور. وفجأة طفا على صوته رنة أسى حديثة العهد كشفت عن إمكانية تلاؤمه مع التلف السائد، رغم ما أظهر من طموحات خاصة جعلته يدلع وحده في كتمة النهار الذي ران على الموقف. وكان هناك روح صغيرة قد أهملت في داخله في ظل التماسك الذي أبداه بروح متعالية، تُميِّز مدى رغبته في اكتساب المائد الذي سوغه لنفسه ووزعه ببراعة على الورق.

طفحت هذه الروح الصغيرة فجأة وكأنها قفزت وأمسكت بلسانه فارتفعت يده اليسرى فجأة عن النص كمن تذكر شيئاً خطيراً لا يقال في هذا الموقف. وأطل جفاف سريع على شفتيه فانبجس لسانه بسرعة خاطفة لينديها.

وفي ثوان صامتة اخترقت النص المرتبك على الورق شعر بهزة كرعشة برد سرت في دمه الدافئ، فكادت تقلب كيانه لولا المبادرة الحكيمة التي أقرتها روحه بأن انهض يا عبدالله بن بخيت واترك القلم واستأنف الحياة.

حكاية شعبية من الصومال

ترجمة: محمد أحمد شقير
القاهرة. مصر

يُحكَى ذات يوم أن زمرةً من القطط عقدت اجتماعًا برئاسة زعيم القطط يقضي بقيامها بهجوم كاسح وحاسم ضد رهْط من الفئران. وعندما تم اللقاء بحضور الجميع تحدث الزعيم قائلاً: «أيها القطط، أحييكم جميعًا، لقد اجتمعنا هذا اليوم ها هنا لأنكم تعلمون أن الفئران تستمتع بيوم حافل بالرخاء والهناء، وأن العالم يناصرها ويعطف عليها ويقف بجانبها. وبناءً عليه يا معشر القوم فلا مفر لنا سوى أن نفكر بوسيلة تقضي على جميع الفئران لكي نغذي أنفسنا من لحمها الشهي، فكيف نتصرف؟

وبعد هنيهة اعتلى المنبر قط عجوز عاقل هاتفًا: «عاش الزعيم!! لديّ اقتراح أود أن أعرضه عليكم، وهو خداع الفئران، وذلك بعقد سلام معنا مما يلزم القيام بالدعوة إلى مؤتمر مشترك، ويكون هذا اللقاء في سهل بلا أشجار لئلا تتمكن الفئران من إيجاد مأوى لها، ويكون من السهل أن ننقض عليها تمامًا».

وقد قوبلَ هذا الاقتراح بحفاوة بالغة، ثم أعقبه زعيم القطط قائلاً: «أيها القط العاقل: أتمنى لحكمتك طول البقاء! لقد قدمت لنا اقتراحًا حكيمًا، وسأذهب بنفسي الآن لأخبر زعيم الفئران بهذا العرض للسلام، وسأسعى للحصول على موافقته، وما عليك إلا أن تنتظر الخبر مني».

فهتفت القطط جميعًا: «عاش الزعيم!!» وانفضَّ الاجتماع.

بعد ذلك توجه زعيم القطط إلى زعيم الفئران. وبما أن الحب لم يكن مفقودًا بين الجماعتين، وأنهما لا تثقان بعضهما ببعض في ذلك الحين، فقد استوجب أن يتحدث الطرفان عن بُعد.

قال زعيم القطط مخاطبًا زعيم الفئران: «أيها الزعيم، يا رمز الحرية، ويا أعقل العقلاء!! أطال الله عمرك، السلام عليك، وكيف حالك؟».

ثم خرج زعيم الفئران يرد عليه: «يا زعيم القطط!! أيتها الشجرة التي تخيم بظلالها علينا جميعًا، يا قاضي الكون، يا حامي حمى الشر، السلام عليك وكيف حالك؟».

فأجاب زعيم القطط دون مواربة بقوله: «لقد حضرت من أجل السلام، وأني أحمل إليك ولعشيرتك اقتراحًا بالأصالة عن نفسي وعن رعيّتي. وكما تعرفون، فإن جماعتَيْ القطط والفئران على عداء مستمر، وقد قاسينا من هذا العداء الكثير لأن ممارستنا في قتلكم قد قلَّلت من عددكم، ونحن بدورنا قد سئمنا من الصيد. لقد طاردناكم بين الشجيرات فأعمتنا الأشواك، فأصبحنا كلنا أنصاف عميان، ولهذا السبب اتفقنا فيما بيننا على أن السلام هو الأفضل، وإننا ندعوكم رسميًا إلى الاجتماع بنا في سهل «جوبا»Guba للتوقيع على معاهدة السلام، ونصبح أصدقاء مخلصين، وأقترح أن يتم اللقاء في اليوم الذي يعقب أفول البدر، وعند منتصف الصباح».

فرد عليه زعيم الفئران بقوله: «عاش الزعيم!! لقد تلقينا هذا الاقتراح رسميًا وإننا موافقون على اليوم الذي اخترتموه لاجتماعنا، وأملنا كبير في انعقاد مؤتمر السلام».

وبعدئذ غادر زعيم القطط المكان. فلما غاب عن الأنظار استدعى زعيم الفئران رعيته قائلاً لها: «لقد جاءني زعيم القطط، وحدثني عن السلام، ودعاني إلى إبرام صلح معهم، فقبلت ذلك العرض شريطة أن يتم

اللقاء في سهل «جوبا»، ولم أستطع النكوث بوعدي لأن ذلك يعد عملاً غير نبيل. وبناءً عليه، فلا بد من الذهاب للقائهم على الرغم من أننا لا نثق بهم، فالتجربة علمتنا ذلك، فماذا نحن فاعلون؟».

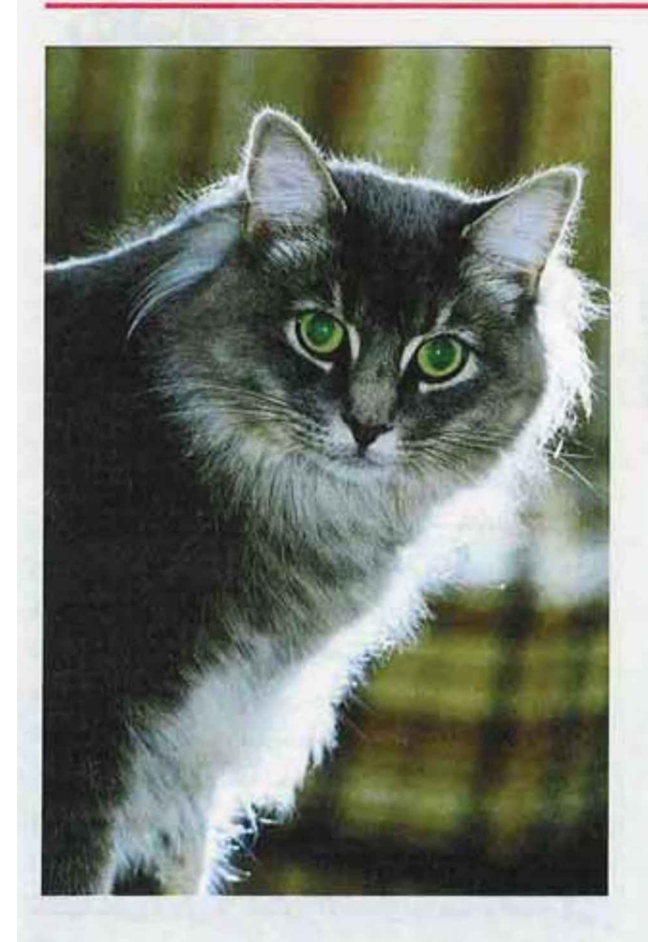
وتلا ذلك فترة صمت عندما ظهر فأر عجوز عاقل، وقال: «أقترح أن يحفر كل فأر لنفسه جحرًا في «جوبا» قبل يوم اللقاء، وعندما يأتي ذلك اليوم الموعود يجب علينا جميعًا الذهاب إلى هناك في الصباح الباكر، ويراعي كل واحد منا أن يزيل التراب بعيدًا عن موقعه لكي يبعد الشكوك عنه، وأن يجلس كل فأر على حافة جحره. فإن تقدمت الفئران بسلام، فهذا عمل سليم ومقبول. وإن دهمونا - كما نتوقع - فلا مناص من العودة إلى جحورنا على الفور».

وقبل الجميع بهذه النصيحة، وتفرقوا. وتوجه كل فأر إلى السهل وحفر لنفسه جحرًا، وأخفى فمه، وأزال التراب. ولما حان موعد اللقاء يمّمت الفئران وجوهها شطر سهل «جوبا»، وجلس كل واحد منها على حافة جحره.

وعند منتصف الصباح، أطلت القطط أملاً في الحصول على وجبة دسمة. ولدى وصولها إلى مكان يمكن سماعها، ألقى زعيم القطط نظرة فاحصة وشاملة على جموع رعيته، وطلب منها الجلوس لئلا تثير الظنون في نفوس الفئران، ومن ثم نادى زعيم الفئران، وقال: «يا زعيم الفئران العظيم، هل جميع رعيتك حاضرون؟»

فرد عليه زعيم الفئران: «أجل، وهل جميع رعيتك موجودون هنا أيضًا؟»

وبعد أن أكد له زعيم القطط ذلك بادر قائلاً: «أيها الزعيم، سوف أحيط رعيتي علمًا بنظام البروتوكول الخاص بهذا الاجتماع، فرجاء الانتظار». ثم التفت ونظر إلى رعيته بحذر شديد، ولما تيقن من حالة استعدادهم للهجوم التفت مرة أخرى صوب موقع الفئران السمان التي أمضت عامًا سعيدًا، ثم استدار إلى زعيم الفئران الذي كانت تبدو عليه مظاهر الصحة والنعمة المتمثلة بلحمه المكتنز، وقرر أن يهجم عليه شخصيًا، ثم أطلق صيحة الحرب داعيًا جيشه إلى



الزحف قائلاً: «اصطادوا جمعهم، ولا تدعوهم يفرون».

وعندما رأى زعيم الفئران القطط وهي تهاجمهم وقف على ساقيه الخلفيتين النحيفتين مناشداً أفراد عشيرته: «أيها الرجال، ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم زعيم القطط وجنده». ودخلت الفئران جحورها في لمح البصر، ولم يتركوا أي أثر هناك.

وخلاصة القول: إن القطط لم تنجح في تحقيق حلمها بوليمة دسمة فقط، بل اعتراها الخزي والعار لعدم الإيفاء بوعدها.

حقيقةً، لقد نسيت القطط المَثَل الصُّومالي القائل: Tap hayow, lagaa tab hayee بمعنى: «يا من تظن نفسك ذكيًا، تذكر دائمًا أنه لايزال هناك من هو أكثر منك ذكاءً».

الهوامش

المصدر: مجلة كورير (Courier)، اليونيسكو، عدد نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٦٨م.



استيطان المجرة

لقد تابعت باهتمام وشغف ما جاء في عدد ذي الحجة رقم (٢٩٤) عن «استيطان المجرة» للأخ خالص جلبي، والذي كان بحق موضوعاً مثيراً للانتباه والفضول لمستقبل الإنسان على وجه الأرض، وانطلاقه للحياة في الفضاء الخارجي. ولقد استوقفتني جملة جاءت في نهاية مقدمته للموضوع وهي.. (.. ونجا من هذه المحرقة العظمى الثدييات البسيطة التي جئنا نحن من تتابع أنسالها). فهذه الجملة تعرض لنا قضية قد طال الجدل فيها وبث فيها كثير من العلماء، وهي قضية (خلق الإنسان) حيث مازال الغرب يعملون يوماً بعد يوم على تأكيد نظرية داروين لتطور الإنسان ورجوع أصله إلى القرود.

فمن الملاحظ أن الأخ خالص قد ترجم المقالة دون أن ينتبه إلى هذه الجملة، ويقوم بالتعقيب عليها بما يجب من توضيح، ولو بشكل موجز؛ لأن هذه القضية قضية محسومة بالنسبة إلينا نحن المسلمين على الأقل. فاسمحوا لي أن أبين هذا الأمر لكي تعم الفائدة، وتصل لمن يرجوها، ولقد بلورت ما أريد طرحه في محورين:

المحور الأول: نظرية التطور وما يواجهها من عقبات

إن نظرية التطور تعتمد بمجملها على:

- أدلة متفرقة تتكون من الجماجم والعظام المبعثرة التي وجدت عن طريق الحفريات. وعلى الرغم من أن هذه المجموعة من المتحجرات كبيرة إلا أنها محاطة بالغموض والاختلاف بسبب التشتت وعدم الترابط في تنظيم البقايا وتركيبها والتي تتطلب الكثير من الفرضيات والتخمينات(١).
- اتباع قانون الفرضية فيما يتعلق بأوجه الشبه التشريحي بين الكائنات (فقد تم تجاهل أوجه الاختلاف بين الكائنات تماماً).

ولقد جاء في كتاب داروين (أصل الأنواع).... «.. كان أول ما اكتشفه داروين في أثناء رحلته بالسفينة بيجل هي الخطة التشريحية الواحدة التي بنيت عليها كل الفصائل الحيوانية، فالذراع في القرد هي الذراع نفسها في الضفدع، وهي الجناح نفسه في الطائر، كل عظمة هنا تقابلها عظمة تناظرها هناك مع تحورات طفيفة لتلائم الوظيفة، ونجد فقرات الذيل في القرد، نجدها في الإنسان متدامجة ملتصقة فيما يسمى بالعصعص، ونجد عضلات الذيل قد تحولت في الإنسان إلى قاع متين للحوض..»

كان طبيعياً بعد هذا أن يتصور داروين أن الحيوانات كلها أفراد أسرة واحدة تفرقت بهم البيئات، فتكيفت كل فصيلة مع بيئتها. ولقد أصاب داروين حينما وضع هذه المقدمة في التشابه التشريحي بين الحيوانات، وأصاب حين قال بالتطور. ولكنه اخطأ حينما أتى بتصوره لعملية الارتقاء، وأخطأ حينما حاول أن يتصور مراحل هذا الارتقاء وتفاصيله.

وعلى الرغم من أوجه الشبه التشريحي، فإن هذا يقودنا إلى دليل مهم جداً وهو وحدة الخالق، وأن صانعها جميعاً هو الله الواحد الأحد. فكل نوع من الكائنات الحية له بداية خاصة.. ولنأخذ مثالاً افتراضياً.. وسائل المواصلات تتشابه فيما بينها العربة والقطار والترام والديزل كلها تقوم على أسس هندسية وتركيبية متشابهة دالة على أنها من اختراع العقل البشري، ولكن هذا لا يمنع أن كل صنف جاء من فكرة هندسية مستقلة. كما

أنه لا يصح القول إن عربة اليد تطورت تلقائيًا بحكم القوانين الباطنة فيها إلى عربة حنطور ثم إلى عربة فورد ثم إلى قطار، فالواقع غير ذلك، وهو أن كل طور من هذه الأطوار جاء بطفرة ذهنية في عقل مخترع، وقفزة إبداع في عقل مهندس(٢).

العقبة الأولى في تفسير نظرية التطور: كان تفسير داروين لعملية الارتقاء أنه يتم بالعوامل المادية التلقائية وحدها.. حيث تتقاتل الحيوانات بالناب والمخلب في صراع الحياة الدموي الرهيب فيموت الضعيف، ويكون البقاء دائمًا للأصلح. وإذا كانت هذه النظرية تفسر لنا البقاء للأقوى فإنها لا تفسر لنا البقاء للأجمل.. فإن الجناح المنقوش للفراشة لا يمتاز بأي صلاحيات مادية أو معاشية عن الجناح الأبيض.. وليس أكفأ منه في الطيران.. وإذا قلنا إن الذكر يفضل الجناح المنقوش في التزاوج فلسوف نسأل لماذا؟!.. مادام هذا النقش لا يمثل أي مزيد من الكفاءة. وإذا دخل التفضيل للأجمل في الحساب فإن النظرية المادية تنهار من أساسها.. نحن هنا أمام يد مصور فنان ماهر يفتن ويبدع وهي يد الله.. ولسنا أمام عملية غليظة كصراع البقاء وحرب المخلب والناب.

العقبة الثانية في تفسير نظرية التطور: هي اعتماد النظرية على الطفرات، وهي الصفات الجديدة المفاجئة التي تظهر في النسل نتيجة تغيرات غير محسوبة في عملية تزاوج الخلية الأنثوية والخلية الذكرية، ولقاء الكروموسومات لتحديد الصفات الوراثية.. وأحيانًا تكون هذه الصفات الجديدة ضارة كالتشوهات، وأحيانًا تكون مفيدة للبيئة الجديدة فتنتقل هذه الصفة إلى الأجيال الجديدة وتقضي على الصفة القديمة، وبذلك يحدث الارتقاء.. وخطأ هذه النظرية أنها اعتمدت على الطفرات، وأسقطت عملية التدبير والإبداع.

إن البعوضة تضع بيضها في المستنقع.. وكل بيضة تأتي إلى الوجود مزودة بكيسين للطفو. من أين تعلمت البعوضة قوانين أرخميدس لتزود بيضها بهذه الأكياس الطافية؟!!.. وهذه النباتات المفترسة التي تصطنع لنفسها الفخاخ والشراك الخداعية العجيبة لتتصيد الحشرات وتهضمها وتأكلها.. بأي عقل استطاعت أن تصطنع تلك الحيل. نحن هنا أمام عقل كلي يفكر، ويبتكر لمخلوقاته، ويبدع لها الأسباب. قال تعالى: *رَبُّنا الذي أعطى كلَّ شيءٍ خلقه ثم هدى*. طه: ٥٠.

العقبة الثالثة أمام نظرية داروين: وهي ما اكتشف الآن باسم الخريطة الكروموسومية أو خريطة الجينات، ونحن نعلم الآن أن لكل نوع حيواني خريطة كروموسومية خاصة به، ويستحيل أن يخرج نوع من نوع بسبب اختلاف هذه الخريطة الكروموسومية(٣).

المحور الثاني: خلق الإنسان كما ورد في القرآن الكريم

لا يدعم القرآن نظرية التطور البشري. ووفقًا لما جاء في القرآن الكريم فإن الجنس البشري يعود في الأصل إلى نفس واحدة آدم عليه السلام. *يا أيها الناسُ اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيرًا ونساء*. النساء: ١.

كما يشير القرآن الكريم إلى بداية الإنسان الوضيعة... *وبدأ خَلْق الإنسان من طين. ثم جعل نسلَهُ من سلالة من ماء مهين. ثم سوَّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمعَ والأبصار والأفئدة*. السجدة: ٧ ـ ٩.

قد تبنى العلماء مناهج علمية لإثبات هذه النظرية إلا أنهم أخفقوا في بناء قصة مترابطة ومنطقية ومتماسكة لتطور الإنسان من الإنسان ـ القرد. إن الأساس العلمي لهذه النظرية ضعيف لأنه مبني على أدلة ناقصة وغير مترابطة. وفي فورة حماسة العلماء لإثبات صحة هذه النظرية غالوا في تأكيد أوجه الشبه بينما تجاهلوا تمامًا أوجه الاختلاف الرئيسة. على العكس من ذلك فقد ركز القرآن في أوجه الاختلاف، وفي الخصائص المميزة التي وهبت للإنسان فقط: بالعقل والقدرة على التحدث والكتابة، وتشهد إنجازات الإنسان العقلية والتقنية الهائلة بصمة المفهوم القرآني فيما يتعلق بمنزلة الإنسان.

والمفاهيم القرآنية ـ على العكس من وجهة نظر العلماء ـ واضحة وصريحة ـ إن الله سبحانه وتعالى وهب الروح للإنسان. *ثُم سوَّاهُ ونفخ فيه من رُوحه*. السجدة: ٩. وهذا اختلاف فريد ومميز.

لذا على العلماء ـ وهم الباحثون عن الحقيقة ـ ألا يترددوا في نبذ نظرية خاطئة لا يمكن أن تكون مقبولة علميًا، وأن يوجهوا أبحاثهم نحو الطريق الذي مهده القرآن الكريم لتفسير المغزى من خلق الإنسان وتطوره وفهمه. إن القرآن لا يقول إلا الحق.

وبالحقّ أنزلناه وبالحقّ نزل. الإسراء: ١٠٥.(٤)

أتمنى من الله تعالى أن أكون قد وفقت في الوصول إلى الهدف من تعميم الفائدة وتوضيح ما كان لا بد منه، على محاولتي في الإيجاز والاختصار.

وشكراً للمجلة التي تتيح فرصة التواصل معها على صفحاتها، واتساع صدرها لي وللجميع.

فايزة حسن باحسن
الحديدة - اليمن ص.ب ٤٧٣٤.

المراجع

١. تطور الإنسان بين المفاهيم القرآنية والنظريات العلمية، الفيصل العدد (٢٠٧) ص٢٢.
٢. حوار مع صديقي الملحد، د. مصطفى محمود، ص١٢٥.
٣. المرجع نفسه ص (١٢٧، ١٢٨ - ١٣٠).
٤. تطور الإنسان بين المفاهيم القرآنية والنظريات العلمية، الفيصل العدد (٢٠٢) ص ٢٤ - ٢٥.

الإسلام وضع الأسس الرئيسة للإدارة الحديثة

فن الإدارة في الإسلام

أكتب إليكم معقباً على مقال «فن الإدارة في الإسلام» المنشور في العدد «٢٩١» من المجلة؛ ولأن الموضوع يطول الحديث عنه، فإنني سوف أحاول تناول بعض النقاط على سبيل المثال.

فمن مبادئ الإدارة الحديثة أن تأخير العمل عن وقته قد يؤدي إلى فقدان قيمته وضياع حقه، وهو مشكلة المشكلات في الإدارة.

وقد روي عن عمر بن الخطاب قوله: «القوة في العمل ألا تؤخر عمل اليوم لغد، والأمانة ألا تخالف السريرة العلانية، واتّقوا الله عز وجل فإن التقوى بالتوقّي، ومن يتّقِ الله يقه»

ومن مبادئ الإدارة الحديثة إذكاء روح التنافس، فإن المنافسة من أفضل الحوافز على الإجادة والإتقان؛ لأنها من وجهة نظر علم النفس تحرك في الإنسان دافعاً ذاتياً لكي يتفوق على غيره؛ لأن الإنسان بطبيعته لا يحب أن يتميز عليه غيره، والمنافسة كذلك من أسباب رفع الكفاءة الإدارية، والرسول صلى الله عليه وسلم هو أول من جرب إجراء المسابقات بين أصحابه في كل المجالات.

ومن مبادئ الإدارة الحديثة الإتقان المستمر، يقول المولى عز وجل: *وأحسنوا إن الله يحبُّ المحسنين*. البقرة: ١٩٥، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه». ورفع المستوى الإداري بالمزيد من المعرفة والتدريب مبدأ إسلامي، فقد أمر الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قدوتنا المثلى أن يقول: *ربِّ زدني علما*. طه:١١٤.

وللإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حكمة بليغة حول مكافأة من يحسن العمل ويتفوق على غيره حيث قال: «يجب على الوالي أن يتعهد أموره ويتفقد أعوانه حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء، ثم لا يترك أحدهما بغير جزاء فإنه إذا ترك ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء وفسد الأمر وضاع العمل».

حقاً!! إن وضع الرجل المناسب في المكان المناسب يعدّ من أعظم مبادئ الإدارة الحديثة والتي وضع الإسلام الأسس الرئيسة لها، ومن أهم أسباب النجاح في إنجاز الأعمال وتحقيق الأهداف، بمعنى المواءمة بين متطلبات العمل وقدرات الفرد الذي سوف يشغل هذا العمل، مما يرفع من مستوى الأداء والكفاءة.

نعيم نعيم محمود السلاموني
مساكن المنتزه عمارة ٣٣ شقة ١٩ خلف معهد الفتيات الأزهري
الأعصر - دمياط - مصر.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يوماً من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، ويتم اختيار الفائزين بالجوائز بالقرعة.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد (٢٩٦) لتصبح على النحو الآتي:

- الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.
- الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.
- الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.
- الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.
- الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.
- الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.
- الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
- الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دوماً، مع تمنياتنا بحظ وافر لجميع القراء الأعزاء.

عنوان المجلة:

ص.ب (٣) - الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١



الفائز الأول: **ياسر رفعت محمود محمد - الزقازيق - مصر.**

الفائز الثاني: **محمد ياسر منصور - حلب - سورية.**

الفائز الثالث: **أسامة عثمان قاسم درويش - الحديدة - اليمن.**

الفائز الرابع: **عبدالمحسن بن سليمان المحمد - بيروت - لبنان.**

حل مسابقة العدد (٢٩٥)

١- أنا مَيْتٌ تغافل القبر عني   وهو إن يدر شقوتي ما تمهلْ

قائل البيت: محمود حسن إسماعيل.

٢- البيكرون: جزء من بليون من المتر.

٣- ثلا: مدينة أثرية يمنية.

٤- سمى العرب القدامى شهر المحرم: مؤتمر.

٥- مارون عبود: كاتب وناقد لبناني اتسم أدبه بالسخرية.

أسئلة مسابقة العدد ٢٩٨

ضع علامة ☑ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) ناثانيال هوثورن:

☐ كيماوي إنجليزي منح جائزة نوبل في الكيمياء بالمشاركة

☐ روائي أمريكي أشهر آثاره «الحرف القرمزي».

(٢) من قائل هذا البيت:

غِبْ وزُرْ غِبّاً تزِدْ حُبّاً فمن   أكثرَ الترداد أضناه المللْ

☐ ابن الوردي   ☐ ابن الرومي.

(٣) الألتميتر:

☐ أداة لقياس الارتفاع

☐ أداة لقياس الانتفاخ في الخمائر.

(٤) الماهوغاني:

☐ قبيلة من الهنود الحمر سكنت في مينسوتا، واشتهرت بشجاعتها في القتال

☐ خشب صلب، بني ضارب إلى الحمرة يصنع منه الأثاث الفاخر.

(٥) توزر:

☐ كلمة صينية مؤلفة من شقين (تاو) و(تسار)، ومعناها المؤمن بالفلسفة الطاوية

☐ مدينة في الصحراء التونسية.

الاسم: **المدينة:**   **ص.ب:**   **هاتف:**

العنوان: **الدولة:**   **الرمز البريدي:**   **ناسوخ:**

الجانب الأدبي في شخصية عبدالرحمن الداخل

خالد عبدالكريم البكر
الرياض - السعودية

عرف التاريخ الإسلامي عددًا غير قليل من الشخصيات المتميزة، التي كان لها إسهام ملحوظ في تشكيل مجرى الحوادث التاريخية، أو لنقل: إنها انغمست في نحت مراحل زمنية من تاريخنا؛ فهي شخصيات لم تنتجها ظروف تاريخية معينة، وإنما هي التي أنتجت تاريخًا؛ لما امتازت به من موهبة قراءة واقعها المعيش بصورة صحيحة، ومن ثم امتلاكها القدرة على استشراف المستقبل.

ويُعدّ الأمير الأموي عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان الملقب بصقر قريش (١١٣ - ١٧٢هـ) واحدًا من ألمع هذه الشخصيات التاريخية. فقد عجمته الخطوب وصقلته الشدائد، فكشفت عن رباطة جأشه ورجاحة عقله، ودلّت على حصافته السياسية وعبقريته الإدارية. فقد ترك الرجل موطنه بالشام طلبًا للنجاة من سيوف العباسيين سنة ١٣٢هـ، وفرّ شريدًا طريدًا وحيدًا في رحلة مثيرة تلقاء الغرب الإسلامي؛ فإذا هو يقتطع الأندلس من جسم الدولة الإسلامية، ويستخلصها لنفسه، فأنشأ فيها سنة ١٣٨هـ إمارة وراثية، تعاقب على حكمها من بعده بنوه وأحفاده.

ونجح في وضع حدّ لانفلات العصبية القبلية في الأندلس، وتمكن من السيطرة على التناقضات البشرية والجغرافية في ذاك الصقع النائي من قاصية الغرب الإسلامي، منتزعًا بذلك إعجاب خصومه قبل أصدقائه حتى أطلق عليه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، لقب «صقر قريش»، معترفًا بدهائه السياسي العظيم الذي سما به إلى مصاف «بناة الدول» من الأمراء ورجال السيف.

قسوة وعاطفة مشبوبة

وما من شك في أن طبيعة المرحلة التاريخية التي عاشها عبدالرحمن الداخل، وما تخللها من فصول مأساوية، إثر النكبات التي حلّت بأسرته الأموية، عقب انهيار سلطانهم السياسي بالمشرق، وملاحقتهم بالقتل والتشريد من قبل بني العباس، كل ذلك قد ألقى ظلالاً كثيفة على شخصيته، وضحت معالمها في أسلوبه الحذر في التعامل مع عدوه، إذ وصف بكونه «شجاعًا، مقدامًا، شديد الحذر، قليل الطمأنينة، لا يخلد إلى راحة، ولا يسكن إلى دعة، ولا يكل الأمر إلى غيره»(١). كما وضحت معالمها أيضًا في حزمه وصرامته التي كانت إلى القسوة أدنى منها إلى القصد والاعتدال. وقد اعترف بذلك ابنه الأمير هشام (١٣٩ - ١٨٠هـ) أمام الفقيه المصعب بن عمران، وذلك في

محاولته إقناع الفقيه المصعب بتولي القضاء، فقال حينئذ: «... قد علمت أنه إنما منعك من قبول القضاء من أبي الأخلاق التي كانت له، وقد عرفت أخلاقي»(٢).

لكن هذه القسوة الظاهرة التي كانت تخفي وراءها عاطفة مشبوبة، ألهبتها مشاعر الحنين إلى الوطن والأهل، والإحساس بالغربة. ولا غرو؛ فقد كان الرجل: «بليغاً مفوهاً، شاعراً محسناً، سمحاً سخياً طلق اللسان»(٣)، ولقد سجلت المصادر العربية شعرية غاية في الرقة والعذوبة، جادت بها قريحة عبدالرحمن في مناسبات مختلفة كان يخلو فيها إلى نفسه، متأملاً في مسيرة حياته المثيرة. فقد أورد الحميدي(٤) قصيدة لعبدالرحمن يتشوق فيها إلى معاهده بالشام، ومما جاء فيها قوله:

أيها الراكب الميمم أرضي
أقر من بعضي السلام لبعضي
إن جسمي كما علمت بأرض
وفؤادي ومالكيه بأرض
قدر البين بيننا فافترقنا
وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالفراق علينا
فعسى باجتماعنا سوف يقضي

إنها صيحة مغترب ضاقت جوانحه عن كتمان لوعته واشتياقه إلى أرضه التي دبّ ودرج على أرضها. ولعل هذه المشاعر كانت الأولى من نوعها في شكوى الغربة في الأندلس، ولعلها كانت ذات صلة ما في وصف الأندلس بـ «اليتيمة» و«الغريبة»(٥) في أدبيات التراث الإسلامي.

تجاذب نفسي

ولئن كان عبدالرحمن قد نجح في ترويض القوى المتصارعة في الأندلس؛ إنه لم ينجح في ترويض مشاعره النفسية وتكييفها مع البيئة الجديدة، إذ ما فتئ يحن إلى موطنه بالشام، ويتذكره في كل مناسبة. فقد روى الرازي أن عبدالرحمن الداخل خرج ذات يوم متنزهاً في مُنية الرصافة بقرطبة، فنظر إلى نخلة مفردة فاستشعر وحدتها وانفرادها في غير بيئتها الأصلية، إذ لم يكن النخل من المزروعات المستوطنة في شبه جزيرة إيبيريا قبل مجيء المسلمين(٦)، وسرعان ما أحس عبدالرحمن بشيء من التجاذب النفسي بينه وبين هذه النخلة، فكلاهما غريب في بيئة أوربية، فما كان منه إلا أن أرسل نفسه على سجيتها، فقال(٧):

تبدّت لنا وسط الرُصافة نخلةٌ
تناءتْ بأرض الغرب عن بلد النخلِ
فقلت: شبيهي في التغرّب والنوى
وطول التنائي عن بنيّ وعن أهلي
نشأتِ بأرض أنت فيها غريبةٌ
فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي
سقتكِ غوادي المُزْنِ من صَوْبها الذي
يسحُ ويستمري السّماكين بالوبل

ويظهر أن عبدالرحمن وجد في هذه النخلة مدلولاً رمزياً يجسّد معاناته ويصورها أحسن تصوير، فنظم فيها أكثر من قصيدة، فمن ذلك قوله(٨):

يا نخلُ أنتِ غريبةٌ مثلي
في الغرب نائيةٌ عن الأصلِ
فابكي وهل تبكي مُكَبّسةٌ
عجماءُ لم تُطبَعْ على خَبْلِ؟
لو أنها تبكي إذاً لبكت
ماءَ الفراتِ ومنبتَ النَّخْلِ
لكنها ذَهَلت وأذهلني
بُغضي بني العباس عن أهلي

معاناة غربة

ومثلما عانى عبدالرحمن من الغربة وقسوتها؛ فقد عانى كثيراً من العقوق والجحود من أقرب قرابته وخاصة خاصته. ففي الوقت الذي كان ينتظر فيه عبدالرحمن أن يعترف له بنو عمه بالفضل والإجلال، وأن يتفانوا جميعاً في تعضيد ملكه وشد أزره، تقديراً لعمله البطولي، وهو الذي شق البحار وجاب القفار، «يحاول ملكاً أو يموت فيُعذرا» حاملاً بين جوانحه مجد الأمويين، ناشراً رايتهم فوق رُبا الأندلس، وإذا بعضهم



يبدي مشاعر التذمر والسخط من قلة العطاء المخصص له، فيكتب إلى عبدالرحمن مطالبًا بزيادة جرايته!، فبم أجابه عبدالرحمن؟

إن الإجابة ههنا لا يمكن أن تكون إلا شعرًا، بحيث تجيء أشد وقعًا وأبقى على مرّ العصور. فقال الداخل حينئذ(٩):

شتّان مَنْ قام ذا امتعاض
مُنْتَضِيَ الشّفرتين نصْلا
فجاب قفرًا وشقّ بحرًا
مُساميًا لُجّةً ومَحْلا
فشاد مجدًا وبزّ مُلكًا
ومنبرًا للخطاب فصْلا
وجنّد الجند حين أودى
ومصّر المصر حين أخْلى
ثم دعا أهله جميعًا
حين انتأوا أنْ: هلمّ أهْلا
فجاء هذا طريدَ جوع
شريدَ سيفٍ أباد قتْلا
فنال أمنًا ونال شِبْعًا
وحاز مالاً وضمّ شَمْلا
ألم يكن حقُّ ذا على ذا
أعظمَ من مُنْعِم ومَوْلى؟

وتستبد الحيرة والدهشة بعبدالرحمن حينما ينتهي إلى مسامعه تشكيك بعض أعوانه في قدراته السياسية والعسكرية، وهو الذي جنّد الأجناد، ودوّن الدواوين، وشاد ملكًا تقاصرت دونه الهمم الباسقة والرماح الشاجرة. فقد بلغه عن أحدهم أنه قال: «لولا أنا ما توصل لهذا الملك، ولكان منه أبعد من العَيُوق»، وأن آخر قال: «سعده أعانه، لا عقله وتدبيره». فيجيبهم جميعًا بقوله(١٠):

لا يُلْفَ ممتنّ علينا قائلٌ
لولايَ ما ملك الأنامَ الداخلُ
سَعْدي وحزمي والمهنّد والقنا
ومَقادرٌ بلغتْ وحالٌ حائلُ
إن الملوكَ مع الزمان كواكبٌ
نجمٌ يطالعنا ونجمٌ آفلُ

والحــــزم كلُ الحــــزم ألاّ يغــــفلوا
أيروم تدبيــــر البــــرية غــــافلْ
ويقــول قــومٌ ســـعــده لا عـــقله
خـيـرُ السـعـادة مـا حـمـاها العـاقلْ
أبني أمـيــة قــد جـبـرنا صـدعكم
بالغـرب رغـمًـا والسـعـود قـبـائلْ
مــــادام من نسلي إمــــامٌ قــــائمٌ
فــالملك فــيكم ثابتٌ مــتــواصلْ

نأي عن الشعر السياسي

واللافت للنظر أن عبدالرحمن الداخل لم يشأ توظيف موهبته الشعرية في خدمة مشروعاته السياسية، إلا في أحيان قليلة نادرة، بغرض استمالة بعض زعماء العرب، كقوله في حيْوة بن مُلامس الحضرمي، زعيم اليمانية في إشبيلية(١١):

فلا خيـر في الدنيا ولا في نعيـمـهـا
إذا غــابَ عنهـا حـيـوةُ بنُ مـلامس
أخو السيف قـاري الضيف حـقًا يراهما
عليـــه ونـافي الضـــيم عن كلِّ بائس

ولقد أحسن عبدالرحمن صنعًا حينما كف عن الاستكثار من الشعر السياسي، لأنه لم يصدر في ذلك عن عاطفة صادقة، كما هي الحال في مقطوعاته الشعرية السابقة التي بكى فيها حينًا، واشتكى حينًا، وافتخر حينًا. فعبدالرحمن هو من غيّب حيوة بن ملامس عن الدنيا، ومع ذلك فالنعيم مقيم، والخير باق!.

ولم يكن عبدالرحمن ضنينًا بموهبته الأدبية حينما نأى بشعره عن الخوض في مشكلات السياسة وتعقيداتها؛ وإنما ارتأى إفساح المجال للون آخر من ألوان أدبه الرصين ليشاطره أحلامه في تكوين الدولة، وتدبير أمورها، فأعرض هنا عن (المنظوم)، وأقبل على (المنثور) من القول، ليستعمله بكل ما أوتي من قوة، بغية الترويج لأفكاره وشرح مواقفه، ولقد أحسن في ذلك وأجاد، فالرجل كان: «بليغًا مفوهًا»(١٢)، بل كان يخطب على المنابر في الجمع والأعياد وفي غيرها من المناسبات(١٣).

ولقد أوردت المصادر أقوالاً بليغة لعبدالرحمن الداخل، ربما كانت مقاطع من خطب تصل إلينا كاملة، فمن ذلك مثلاً أنه عندما حمي وطيس المعركة الفاصلة بينه وبين يوسف الفهري (ت١٤٢هـ) آخر ولاة الأندلس، وهي معركة المصارة سنة ١٣٨هـ، التفت عبدالرحمن الداخل إلى أصحابه، فقال وهو يحضهم على القتال: «... هذا اليوم هو أسّ ما يبنى عليه، إما ذل الدهر وإما عز الدهر، فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون، تربحوا بها بقية أعماركم فيما تشتهون»(١٤).

حصافة

لم تكن هذه الخطبة مجرد جمل إنشائية، أو شعارات حماسية، أو كلمات مرسلة في مثل هذه المواطن؛ بغرض قطف ثمار النصر في المعركة، دون التفكير فيما بعد

القسوة الظاهرة في شخصية عبدالرحمن الداخل كانت تخفي وراءها عاطفة مشبوبة، ألهبتها مشاعر الحنين إلى الوطن والأهل، والإحساس بالغربة

المعركة، كلا؛ إنما كان عبدالرحمن يضع الخطوط العريضة لسياسته المقبلة في مقاطع من خطبه في مواطن الحرب. انظر إليه وقد أيقن بالانتصار في معركة المصارة - المشار إليها آنفًا - حينذاك صاح عبدالرحمن في أصحابه بضرورة الكف عن قتل خصومهم، قائلاً: «... لا تستأصلوا شأفة أعداء ترجون صداقتهم، واستبقوهم لأشدُّ عداوةً منهم»(١٥).

إنها كلمات موجزة لكنها تحمل مضامين مكثفة، فهي من ناحية تدل على حصافة عبدالرحمن، إذ فكر في إقامة نوع من التوازن القبلي بين أنصاره من اليمانية وخصومه من القيسية، لئلا يقع مستقبلاً كالأسير بين زعماء اليمانية الذين ينتظرون منه مكافأتهم على نصرتهم له. ومن ناحية ثانية، فقد أدرك عبدالرحمن بثاقب بصره، ونفاذ بصيرته أن تبادل القتل بين اليمانية والقيسية سيؤدي إلى تناقص الطاقة البشرية للجيش الإسلامي، وسيؤثر - حتمًا - في قضية

الإسلام في الأندلس. والرابح الوحيد من هذا السجال الدموي، هو دويلات النصارى المتربصة على الحدود الشمالية.

وكلما جدّت الخطوب بعبدالرحمن؛ اشتدت موهبته الخطابية توهجًا ونضجًا. فانتزاع حكم الأندلس لم يكن نهاية المطاف بالنسبة إليه؛ بل كان يلزمه مواجهة الثورات الداخلية التي أشعلها حلفاء الأمس من زعماء اليمانية، ثم كان عليه، بصورة خاصة، أن يلتفت إلى المؤامرات والدسائس التي حاكها بعض الطامعين في الإمارة من أفراد أسرته الذين آواهم ولمّ شملهم بعد شتات.

وهنا تبرز مجددًا مسألة العقوق والجمود التي عانى منها عبدالرحمن معاناة شديدة، ولم يجد بدًا من الاستعانة بأدبه ليعبّر عنها، عسى أن يخفف من حملها الثقيل على نفسه.

نكبة عاطفية

لقد اكتشف عبدالرحمن مؤامرة ضده، دبّرها ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية، فسارع إلى قتل ابن أخيه على الفور وقتل جميع من شاركه في تدبير المؤامرة، ثم أمر بطرد أخيه الوليد بن معاوية من الأندلس بعد أن أمدّه بما يحتاج إليه من مال.

وهكذا وجد عبدالرحمن نفسه في نكبة عاطفية جديدة، إذ لم يكن أمامه إلا أن يفجع نفسه بابن أخيه بالقتل، وبأخيه بالنفي، قبل أن يفجعوه في ملكه، فما مشاعر عبدالرحمن إزاء هذه الحادثة؟. لقد قال حينذاك: «ما عجبي إلا من هؤلاء القوم، سعينا فيما يضجعهم في مهاد الأمن والنعمة، وخاطرنا فيه بحياتنا، حتى إذا بلغنا منه إلى مطلوبنا، ويسّر الله تعالى أسبابه، أقبلوا علينا بالسيوف، ولما آويناهم وشاركناهم فيما أفردنا الله تعالى به حتى أمنوا ودرّت عليهم أخلافُ النعم هزّوا أعطافهم، وشمخوا بآنافهم، وسموا إلى العظمى، فنازعونا فيما منحنا الله تعالى، فخذلهم الله بكفرهم النعم إذ أطلعنا على عوراتهم، فعاجلناهم قبل أن يعاجلونا، وأدّى ذلك إلى أن ساء ظننا في البريء منهم، وساء أيضًا ظنه فينا، وصار يتوقّع من تغيُّرنا عليه ما نتوقّع نحن منه، وإن أشدّ ما علي في ذلك أخي والد هذا المخذول، كيف تطيب لي نفسي بمجاورته بعد قتل ولده وقطع رحمه؟ أم كيف يجتمع بصري مع بصره؟»(١٦).

«بروتوكول»!

بهذه الكلمات المؤثرة أفصح عبدالرحمن عن حجم التحديات السياسية والاجتماعية التي واجهته في مشوار حياته، لكنها لم تنل من عزيمته، فلم يضعف ولم يجبن، وإنما مضى يرسم سياسة دولته ويدبر أمورها بخطا ثابتة، فكان لا يترك مناسبة إلا ألقى فيها كلمات بليغة،



قصد من ورائها إضفاء طابع الهيبة على منصب الإمارة وتنظيم مرافق دولته الناشئة من إدارة وجيش ونحوهما. فمن ذلك على سبيل المثال أنه حينما افتتح سرقسطة وقبض على زعماء الثورة فيها، أقبل عليه خواصه يهنئونه، فتقدم أحد جنوده من الصفوف الخلفية، وهنأه بصوت عال فاستشنع عبدالرحمن مقامه هذا لفظاظته ولخروجه عن آداب البلاد، فقال على الفور مخاطبًا هذا الجندي الصلف: «والله لولا أن هذا اليوم يوم أسبغ عليّ فيه النعمة من هو فوقي، فأوجب عليّ ذلك أن أنعم فيه على من هو دوني لأصلينك ما تعرضت له من سوء النكال. من تكون حتى تُقبل مهنئًا رافعًا صوتك غير متلجلج ولا متهيب لمكان الإمارة، ولا عارف بقيمتها،

حتى كأنك تخاطب أباك أو أخاك؟ وإن جهلك ليحملك على العود لمثلها، فلا تجد مثل هذا الشافع في مثلها من عقوبة»(١٧). وكأنما أراد عبدالرحمن بهذا التقريع المباشر سنّ قوانين (بروتوكولية) لتنظيم أسلوب التخاطب مع أمير البلاد. وقد ألح عبدالرحمن على هذه الفكرة في مناسبة ثانية جاءه فيها رجل يستجديه، فمثل بين يديه قائلاً: «يا ابن الخلائف الراشدين، والسادة الأكرمين، إليك فررت، وبك عُذت من زمن ظلوم، ودهر غشوم، قلّ المال، وكثّر العيال، وشعّث الحال، فصيّر إلى نداك المآل، وأنت ولي الحمد والمجد والمرجو للرِّفد».

فأجابه عبدالرحمن مسرعًا: «قد سمعنا مقالتك وقضينا حاجتك، وأمرنا بعونك على دهرك، على كرهنا لسوء مقامك، فلا تعودنَّ ولا سواك لمثله من إراقة ماء وجهك بتصريح المسألة والإلحاف في الطِّلبة، وإذا ألمّ بك خطب أو حزبك أمر فارفعه إلينا في رقعة لا تعدوك، كيما نستر عليك خلّتك، ونكفُّ شمات العدو عنك، بعد رفعك لها إلى مالكك ومالكنا عز وجهه بإخلاص الدعاء وصدق النية»(١٨).

> مضى عبدالرحمن الداخل يرسم سياسة دولته ويدبر أمورها بخطا ثابتة، فكان لا يترك مناسبة إلا ألقى فيها كلمات بليغة، قصد من ورائها إضفاء طابع الهيبة على منصب الإمارة

ما قلّ ودلّ

وأما قلم عبدالرحمن فهو ليس دون لسانه بلاغة وبيانًا. وقد وردت نماذج من مكتوباته تدل على أدب راق، فمن ذلك كتابه إلى سليمان بن الأعرابي، زعيم الثورة في سرقسطة، وجاء فيه: «...أما بعد، فدعني من معاريض المعاذير، والتعسف عن جادة الطريق. لتمدّنّ يدًا إلى الطاعة والاعتصام بحبل الجماعة، أو لألقينّ بنانها على رضف المعصية، نكالاً بما قدّمت يداك، وما الله بظلاّم للعبيد»(١٩).

ربما ظن ظان أن هذه السطور القليلة تدل على عدم اكتراث عبدالرحمن بأمر الثورة في سرقسطة، قياسًا على صغر حجم رسالته إلى ابن الأعرابي؛ وليس هذا بصحيح. فعبدالرحمن تعمد اجتناب التفاصيل المملة في مراسلاته، وركّز بشكل خاص في جوهر الرسالة، في أسلوب أشبه ما يكون بـ «لغة البرقيات». وقد تكرر صنيعه هذا في مراسلات إدارية، كتلك التي كتبها إلى أحد عماله، يلومه على تفريطه في بعض المهام الموكلة إليه، وجاء فيها: «...أما بعد، فإن يكن التقصير لك مقدّمًا، فعدّ الاكتفاء أن يكون لك مؤخرًا. وقد علمت بما تقدمت، فاعتمد على أيهما أحببت»(٢٠).

ومما هو جدير بالذكر؛ أن عبدالرحمن كلف كاتبه الخاص تحرير الرسالة المشار إليها آنفًا، لكنه لاحظ أن الكاتب أكثر وأطال الكتاب، فأمر عبدالرحمن بقطعه، وكتب بخط يده الرسالة المذكورة أعلاه.

ونجد شاهدًا ثالثًا على نزعة عبدالرحمن نحو الإيجاز دون الإخلال بالمعنى، وذلك في وثائقه الخاصة. فقد صاغ عبدالرحمن وثيقة عتق لأحد مماليكه على النحو الآتي: «بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب من عبدالرحمن بن معاوية لبزيع مولاه، أعتقته لله جل وعز، فليس لأحد عليه سبيل، غير أن ولاءه لي ولعقبي»(٢١).

وحينما وقعت الوثيقة في يد أحد العلماء أثنى عليها، وأبدى إعجابه بالمقدرة البيانية لعبدالرحمن، قائلاً: «ما رأيت كتابًا أشد اختصارًا، ولا أكثر إتقانًا منه»(٢٢).

حزم وصلابة

ويستطيع المرء أن يقف على تفاصيل الموهبة البيانية لعبدالرحمن بشكل أكثر وضوحًا من ذي قبل، وذلك من خلال المكاتبات التي جرت بين الداخل ومولاه بدر، ساعده الأيمن في بناء الدولة، وذلك بعد أن أكثر الأخير من الضجر والتملل من نهج عبدالرحمن نحو مواصلة المغازي، وتجريد الحملات العسكرية في داخل البلاد وخارجها، فما كان من عبدالرحمن إلا أن هجره وأعرض عنه حتى أظلم الجو بينهما، فكتب بدر إلى سيده يعاتبه ويعدد مآثره، فاستاء عبدالرحمن أعظم الاستياء، وكتب إلى مولاه مجيبًا: «وقفت على رقعتك المنبئة عن جهلك، وسوء خطابك، ودناءة أدبك، ولئيم

مثلما عانى عبدالرحمن الغربة وقسوتها؛ فقد عانى كثيرًا العقوق والجحود من أقرب قرابته وخاصة خاصته

معتقدك. والعجب أنك متى أردت أن تبني لنفسك عندنا متاتًا، أتيت بما يهدم كل متات مشيّد مما تمن به، مما أضجر الأسماع تكراره، وقدحت في النفوس إعادته، مما استخرنا الله تعالى من أجله على أمرنا باستئصال مالك، وزدنا في هجرك وإبعادك، وهضنا جناح إدلالك، فلعل ذلك يقمع منك ويردعك حتى نبلغ منك ما نريد إن شاء الله تعالى، فنحن أولى بتأديبك من كل أحد، إذ شرُّك مكتوب في مثالبنا، وخيرك معدود في مناقبنا»(٢٣).

والمتأمل في هذه الجمل يجدها خالية من سعة الحلم، مشحونة بوفرة الحزم، وصلابة المبدأ، وصدق العزيمة. ولا غرو؛ فالداخل لم يكتف في كلماته تلك بمجرد اللوم والتوبيخ، وإنما بادر إلى اتخاذ إجراءات عملية في حق مولاه، فصادر ممتلكاته، ثم لم يقنع بهذا؛ وإنما أعقبها بإجراءات مماثلة أشد قسوة، وذلك بعد أن تمادى مولاه بدر في كتابة رسائله الاستفزازية إلى سيّده حينذاك أمر عبدالرحمن بنفيه عن قرطبة إلى أقصى الثغر، وكأنما أراد معاقبته بالتقسيط.

ففي إجابته عن إحدى رسائل مولاه بدر، كتب عبدالرحمن واصفًا شعوره الذي امتلأ غيظًا، ومنذرًا ببطشة مدوية تجاه مولاه بدر إن لم يكف لسانه وقلمه، فقال: «...لتعلم أنك لم تزل بمقتك، حتى ثقلت على العين طلعتك، ثم زدت إلى أن ثقل على السمع كلامك، ثم زدت إلى أن ثقل على النفس جوارك، وقد أمرنا بإقصائك إلى أقصى الثغر، فبالله إلا ما أقصرت، ولا يبلغ بك زائد المقت إلى أن تضيق بك معي الدنيا، ورأيتك تشكو لفلان وتتألم من فلان، وما تقولوه عليك، ومالك عدو أكبر من لسانك، فما طاح بك غيره، فاقطعه قبل أن يقطعك»(٢٤).

يالها من نبرة غاضبة، شديدة الشبه بما هو معروف عن شخصية عبدالرحمن من سطوة وعزم لا يلين.

والحق أنك تجد في شخصية عبدالرحمن الداخل عدة شخصيات مختلفة، فهذا المغامر المجازف، والعسكري الصارم، والسياسي الحاذق، كان فوق ذلك كله شاعرًا رقيقًا، وخطيبًا مفوهًا، ممتلئ الصدر بحرارة العاطفة، ورياضة الروح. لقد كان يحمل نفسه على ما يزينها، ويغذو شخصيته بالخلال الفاضلة، وقد أفصح عن ذلك منذ اليوم الأول الذي وطئت فيه قدماه أرض الأندلس، فقد جيء إليه بخمر، فردَّها قائلاً: «إني محتاج إلى ما يزيد في عقلي، لا إلى ما ينقصه»(٢٥). ثم أهديت إليه جارية جميلة، فنظر إليها، وقال: «إن هذه من القلب والعين بمكان، وإن أنا اشتغلت عنها بهمتي فيما أطلبه ظلمتها، وإن اشتغلت بها عما أطلبه ظلمت همتي، ولا حاجة لي بها»(٢٦).

لقد نجح عبدالرحمن في كسب معركته مع الخمر والجارية، واستعلت نفسه عليهما، فكان هذا مقدمة لسلسلة من نجاحات متواصلة، ثمنها الأدنى إنشاء الإمارة الأموية في الأندلس، وتدعيم أركانها، وأما ثمنها الأقصى فهو تخليد اسم عبدالرحمن الداخل ابن معاوية، في ذاكرة

المراجع

١. المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٣، ص٤٩.
٢. الخشني، قضاة قرطبة، ص٢٥.
٣. المقري، النفح، ج٣، ص٣٧.
٤. الحميدي، جذوة المقتبس، ج١، ص٣٨.
٥. أحمد مختار العبادي، الإسلام في أرض الأندلس - أثر البيئة الأوربية - مجلة عالم الفكر، العدد الثاني، ١٩٧٩م، ص٨٩.
٦. أنخل جونثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص٥١.
٧. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٣٧؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٣، ص٤٧٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج٢، ص٦٠.
٨. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٣٧.
٩. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢١٥؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٣٩.
١٠. المقري، نفح، ج٣، ص ٤٢ - ٤٣.
١١. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٣٧.
١٢. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٨؛ المقري، نفح، ج٣، ص٣٧.
١٣. المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٧.
١٤. المصدر نفسه، ج٣، ص٤٢.
١٥. المصدر نفسه، ج٣، ص٤٢.
١٦. المصدر نفسه، ج٣، ص٤٧.
١٧. المصدر نفسه، ج٣، ص٤١ - ٤٢.
١٨. المصدر نفسه، ج٣، ص٣٩.
١٩. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٨.
٢٠. المصدر نفسه، ج٢، ص٥٨.
٢١. الخشني، أخبار الفقهاء، ص١٢٢.
٢٢. المصدر نفسه، ص١٢٢.
٢٣. المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٤٠.
٢٤. المصدر نفسه، ج٣، ص٤١.
٢٥. المصدر نفسه، ج٣، ص٤٢.
٢٦. المصدر نفسه، ج٣، ص٤٢.

الكاتبة التشيلية إيزابيل الليندي:
الرواية أسهل من القصة القصيرة

ترجمة: حسين عيد
الجيزة - مصر



إيزابيل الليندي كاتبة تشيلية، لها خبرة واسعة في ميداني الصحافة والتعليم، وهي مؤلفة لعدد من أفضل الروايات مبيعًا في العالم، وقد حصلت على عدة جوائز أدبية، تشمل: جائزة كتب للتذكّر ١٩٩٦م عن منظمة المكتبات الأمريكية، وجائزة اختيار النقاد ١٩٩٦م، ومؤلف العام من ألمانيا ١٩٩٤م، وجائزة بانوراما الأدبية بشيلي ١٩٨٣م. تقيم حاليًا مع زوجها في كاليفورنيا.

في هذا الحوار نتعرف إلى جوانب من الشخصية الأدبية لهذه الكاتبة.

• أجرى النقاد موازنات بين أعمالك وأعمال كتّاب آخرين من أمريكا اللاتينية. وقد وازنوا فعلا بين رواية «مئة عام من العزلة» لجابرييل ماركيز وروايتك «منزل الأرواح». رأى بعضهم أنها إعادة صياغة لرواية ماركيز باحلال سلطة الأدب المؤسس (البطريركية) مع تأكيد قوة نسب الأخوال. كيف تكون إجابتك؟

- إنني أنتمي إلى الجيل الأول من كتّاب قارتي، الذين ترعرعوا وهم يقرؤون كتّابًا آخرين من أمريكا اللاتينية. وقد تضمن الجيل السابق، الذي أسميناه جيل «الازدهار»، مثل هؤلاء الكتّاب، ومنهم جارسيا ماركيز، وجوسي دونوسو، وكارلوس فوينتس. بدأت ظاهرة «الازدهار» في برشلونة. ومن حسن الطالع أن كنت واحدة من قرّاء كتّاب تلك الفترة، فقد ترعرعت وأنا أقرأ لهم، وعندما بدأت الكتابة، فكرت أن كل تلك الكلمات الرائعة، وتلك الصور التي تحكيها قارتنا قد تجذّرت عميقًا بداخلي حتى إنها خرجت بشكل طبيعي، ولم يكن في نيتي أن أخلق عملاً تهكميًا حول «مئة عام من العزلة»؛ لأنني معجبة حقيقة بتلك الرواية. لقد قرأتها منذ زمن طويل، ولا أتذكرها جيدًا، لكن الموازنة بينها وبين «منزل الأرواح» بذلك الأسلوب الذي ووزنت به، ليس عادلاً أبدًا.

• ما الأسباب التي أجبرتك على كتابة مجموعة «قصص من إيفالونا» بعد رواية «إيفالونا»؟

ـ حسنًا هناك عدة أسباب: أولها أن كثيرًا من الناس سألوني بعد أن أنهيت تلك الرواية، إذا كانت إيفالونا حاكية قصص وتلك كانت حكايتها، فأين هي القصص التي حكتها؟. كما أنني لم أعد أبدًا القصة القصيرة نوعًا أدبيًا؛ لأنني أعتقد أنها صعبة جدًا. وفي ذلك الوقت، وبعد أن أنهيت رواية «إيفالونا»، طلقت زوجي في فنزويلا، ومضيت في رحلة مجنونة لإلقاء محاضرات، جاءت بي إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث توقفت وقابلت رجلًا في شمال كاليفورنيا، وسقطت بجنون في حبه، وهذا سبب آخر أيضًا. وكان علي أن أنتقل إلى هذا البلد تابعة قلبًا معذبًا، وهو ما كان مقلقًا بالنسبة إلي. الميزة الوحيدة للقصص القصيرة هي أنك تعمل على شظايا. لقد فكرت منذ أن توجب علي الاستمرار في العمل، وهو أن الشيء الوحيد الذي يمكنني عمله، أن يكون شيئًا مختصرًا؛ لذلك اعتقدت أن كتابة قصص قصيرة لم تحكها إيفالونا في الرواية كانت فكرة جيدة.



الطفلة إيزابيل (١٩٥٠م)

• كانت تقريبًا لكل قصة من «قصص من إيفالونا» نهاية ظاهرة. هل هذا الاهتمام المفاجئ يعد ببساطة صحوة لهذا الجزء من الشخصية، أم أن هناك رسالة سياسية واجتماعية مضمرة؟

ـ أنا لا أحاول أن أعطي رسالة لأي شيء أكتبه. وأحيانًا، أصاب بنوع من الدهشة أيضًا؛ لأن الشخصيات توصلت إلى تلك الأشياء، بمعنى أنهم توصلوا إلى تلك الأشياء مع أنه في بعض القصص، يبدو أنني أعرف منذ البداية المبكرة كيف سيكون الأمر، لكنني أعرفه على مستوى الشعور، ولا أعرفه بذكاء. فإذا طلبت أن أحكي لك القصة قبل كتابتها، لم أكن لأعرف، ولكن متى بدأت الكتابة، يبدو أن كل شيء سيتدفق بشكل طبيعي، وينتهي بمفاجأة لي، ما عدا واحدة من تلك القصص، عنوانها «هيدلبرج الصغيرة»! فحينما انتهيت منها، قرأتها أمي، وقالت: «أنا أحب هذه القصة، ولكن نهايتها من نوع سيئ جدًا». وفكرت أنها على صواب، لأن هناك شيئًا خطأ في تلك الخاتمة لم تخبرني ما هو الخطأ، لكنني عرفته، وهو أنني لم أتبع غرائز الشخصيات. لقد حاولت أن افتعل نهاية سعيدة، ولم تنجح المحاولة؛ لذلك تركت الشخصيات فقط تتحدث إلى نفسها، وحصلت على نهاية غريبة يصعب شرحها، ولكن كان ذلك ما أرادوه.

• هل كانت تلك هي القصة الوحيدة التي شعرت فيها بأنك مؤلفة مُقحمة؟

ـ نعم، ما عدا واحدة أخرى. هي آخر قصة في المجموعة، وهي القصة الأكثر تعقيدًا في الكتاب، وتسمى «من طين خلقنا»، وقد ارتكزت على قصة حقيقية، ففي عام ١٩٨٥م، كانت هناك ثورة بركان في كولومبيا، وكانت هناك طفلة صغيرة محاصرة وسط الطين، وماتت هناك بعد أربعة أيام من عذاب رهيب. لقد شاهدتها في التلفاز بفنزويلا، وحولها كتبت تلك القصة. ولكن بعد أن أنهيت القصة، أدركت أنني حاولت أن أحكي القصة من وجهة نظر فكرية، شديدة الألم، لكن عقلي كان هو الذي يعمل خلالها. وحينئذ، أدركت أنها ليست قصة البنت الصغيرة، إنها قصة الرجل الذي يمسك بها. لذلك أعدت كتابة القصة مرة أخرى، وحين انتهيت، أدركت أنه يوجد هناك شيء ما زائف حول ذلك أيضًا. إنها ليست قصة الرجل الذي يمسك بالبنت، إنها قصة المرأة التي تراقب من الشاشة الرجل الذي يمسك بالبنت. لقد صنعت مصفاة الشاشة تلك مسافة صناعية، لكنها كانت مقاربة مرعبة؛ لأنك ترى تفاصيل لم يكن ممكنًا أن تراها لو لم تكن هناك فعلًا. وهكذا، أصبحت القصة حول التغير الذي يحدث للمرأة التي تراقب الرجل الذي يمسك بالبنت التي تموت.

• هل تشعرين أن مؤلفي القصة القصيرة الملهمين ينبغي أن يحاولوا أن يوجدوا هذا النوع من الشاشة، ليس فقط كي يكونوا على مسافة مما يجري، بل كي يعطوا أنفسهم أيضًا القدرة على أن يكونوا مستبطنين، دون أن يكونوا مُقحمين؟

ـ أعتقد أن لكل مؤلف مدخلًا مختلفًا. ولا يمكنك أن تعطي معادلة أو وصفة للقصة؛ لأنها لن تفلح، فما يصلح لقصة قد لا يصلح لأخرى. أعتقد أن أهم شيء في القصة القصيرة أن تحصل على النغمة الصحيحة في الأسطر الستة الأولى؛ لأن النغمة تحدد الشخصيات. أما في القصة الطويلة، فهي الحبكة، والشخصية، والعمل، والنظام؛ لأن كثيرًا من المواد تصلح هناك. لكن في القصص القصيرة، هي النغمة، واللغة، الإيحاءات.. إنها الإلهام.

لذلك فأنا ليس لدي وصفة، وهذا هو السبب في أنني لا أحب

كتابة قصص قصيرة. إنني أكرهها. أحبّ أن أقرأها، لكنني لا أحب كتابتها. فأنا أفضل كثيراً أن أكتب آلاف الصفحات من رواية طويلة، على أن أكتب قصة قصيرة؛ لأنه كلما ازدادت القصة قصراً ازدادت كتابتها صعوبة أكثر.

• لماذا لا تتوسعين في الحديث عما تجدينه صعباً جداً في كتابة القصص القصيرة؟

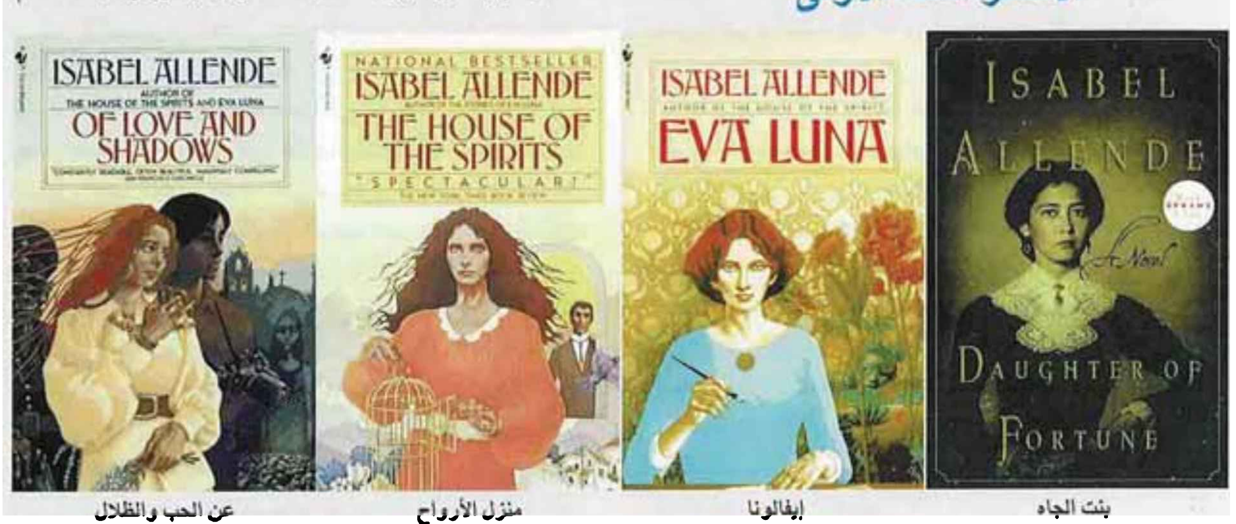
- الحقيقة هي، أن كل شيء يوضح ذلك. في الرواية يمكن أن يكون لديك عدد من العقد، وغرز سيئة، وإذا كنت محظوظاً، فإن سحر الحكاية سوف يجمّل الكتاب، وسيكون القارئ منجذباً إلى الحبكة، وإلى كل ما يجري هناك. إنه مثل حفل لهو معربد. أما القصة القصيرة فهي ليست كذلك؛ لأن لها وقتاً محدوداً، وحبكة مركزة شديدة التركيز، هذا إذا كانت هناك حبكة. هنا تكون التفاصيل الدقيقة مهمة، والإيحاء ضرورياً، فأنت تعمل مع خيال القارئ، وأداتك الوحيدة هي اللغة، وليس هناك فضاء أو وقت لأي شيء آخر. إن كل شيء يبرهن على ذلك. وهنا، يمكن أن أوازن بين الجنسين، فالرواية تعدّ نسيج سجاد متسع جداً، عليه كثير من التفاصيل، وأنت تطرّز بخيوط من عدة ألوان دون أن تعرف أي تصميم أنجز، أما القصة القصيرة فهي مثل سهم ولديك إطلاقة واحدة، لذلك تحتاج إلى: الدقة، الاتجاه، السرعة، وقبضة اليد الثابتة لرامي السهام لكي تجعلها جيدة، لذلك فالأفضل أن تجعلها جيدة منذ بدايتها المبكرة أو أن تتخلى عنها تماماً. اجعلها جيدة منذ المرة الأولى. كيف يفعل الفرد ذلك؟ أعتقد أن ذلك يحدث، حين يجيء الإلهام والوحي. وهذا هو السبب في أنني أشعر بعدم الراحة مع كتابة القصة القصيرة؛ لأنني لست شخصية ملهمة، بل شخصية تعمل باجتهاد، ولا أبالي أن أقضي اثنتي عشرة ساعة يومياً مدة عام في كتابة قصة، لكنني أحتاج إلى الإلهام ولا أمتلكه، لذلك أشعر بوجع شديد.

• هل تشعرين بالباعث، بأن هذا هو وقت كتابة قصة قصيرة أخرى؟

- لم أشعر بهذا الباعث منذ عام ١٩٨٧م. ولكن ربما يحدث ذلك ثانية في حياتي، وهو ما يعتمد على الظروف. يسألني الناس دائماً عن قصص قصيرة لأسباب معينة. فالناشرون لا يحبون القصص القصيرة؛ لأنهم يظنون أنها لن تباع. مع ذلك، يبدو أن الطلاب يحبونها كثيراً، وقد وصلني كثير من رسائلهم، وهم يسألونني دائماً عن قصص قصيرة. وهل تعرف أن رجال السينما يريدون قصصاً قصيرة؛ لأنه بالنسبة إليهم أسهل كثيراً أن تبدع قصة فيلم من قصة قصيرة عن أن تبدعه من رواية؟

• في قصتك التي بعنوان «حياة لا متناهية» كتبت: «توجد كل أنواع القصص، بعضها يولد بحكايته، مادتها اللغة، وقبل أن يضعها أي فرد في كلمات؛ توجد، ولكن بجرعة من عاطفة، نزوة ذهن، صورة، أو إعادة تجميع غير ملموس. قصص أخرى تكون ظاهرة كلية كتفاحة، ويمكن أن تتكرر مرات لا نهائية دون مخاطرة تغيير معناها. بعضها يؤخذ من الواقع، ويقدم من خلال إلهام، بينما يتولد بعضها الآخر من إلهام لحظي ويصبح حقيقية بعد أن يحكى. ثم إنه توجد قصص سرية، وهي تلك التي تكون مختفية بين ظلال العقل. إنها مثل شهوات الحياة، تنمو لها جذور ومجسات، ثم

أعتقد أن أهم شيء في القصة القصيرة أن تحصل على النغمة الصحيحة في الأسطر الستة الأولى



عن الحب والظلال — منزل الأرواح — إيفالونا — بنت الجاه

تصير مغطاة بطفيليات وزوائد، وبمضي الوقت تتحوّل إلى كوابيس ليلية، حتى تلفظها شياطين الذاكرة، ومن الضروري أحيانًا حكايتها كقصة».

○ هل يعدّ هذا تعريفك للقصة القصيرة، وأيضًا أسلوبك لكتابة قصص قصيرة؟

- هذا هو ما أشعر به حول كتابة القصة. لقد عشت حياة طويلة معذّبة، واختفت أشياء سرية كثيرة في أجزاء قلبي وعقلي. أحيانًا، قد لا أعرف حتى إنها هناك، ولكن أشعر بالألم - أستطيع أن أشعر بالألم، أشعر بثقل هذه القصص التي أنوء بحملها. ثم ذات يوم أكتب قصة، وأدرك أنني حرّرت شيئًا، لقد خرجت الشياطين، وتحقق التطهر. ليس هناك شيء أفعله بوعي، ما عدا بعض مناسبات محدودة، ولكن حين يحدث ذلك، فإنه يكون مجرد طلقة مسدس. هذا هو ما أشعر به بالنسبة إلى القصة. يفعل بعض الناس هذا كعلاج، ويؤدي آخرون هذا التوسط لإصلاح ذات البين. بعضهم يفعلون هذا وهم يشربون. أمّا بالنسبة إليّ، فهو أسلوبي في التخلّص من الألم، أسلوبي في التطهر، وفهم العالم، هو كتابة قصة. ربما كان هذا المقطع حول ذلك، حول كل الشياطين والزوايا التي بداخلي، والتي لا أعرف أنها عندي، وأن عليّ أن أخرجها إلى الضوء وأن أتحدث إليها وأراها في النور.

○ ما منابع التجارب التي تصوغينها في قصصك؟

- كثير منها يأتي من أشياء حدثت فعلاً. وأعظم منابع الإلهام لي هي: الصحف، والتلفاز، والإذاعة. فمثلاً، تلك القصة التي تحدثنا عنها «من طين خلقنا» كانت ترجمة لشيء ما، رأيته في التلفاز. إنه شيء ما رأيته مختصرًا جدًا في الأخبار، وبدأت أسأل نفسي أسئلة حوله. في «قصص من إيفالونا» توجد قصة، لا أتذكر عنوانها «إذا ما لمست قلبي» عن امرأة اختطفت بواسطة رجل، ووضعت في قبو حيث أمضت خمسين عامًا. لم تتحدث أبدًا مع أي شخص، وأصبحت كحيوان في الظلام. وأخيرًا، حين تم إنقاذها، تحولت إلى نوع من وحش مرعب بسبب قضائها حياتها كلها في قبو. حصلت على ذلك من فقرة في التلفاز (في الأخبار) في فنزويلا، رأيتها في التلفاز حين أخرجوها ملفوفة في ملاءة. هذا ما حدث، ولم تظهر ثانية أبدًا في الأخبار. عندئذ، بدأت أسأل نفسي: لماذا حدث ذلك؟ لماذا لم تصرخ؟ لماذا لم تحاول أن تهرب؟ كيف عاشت؟

بسؤال نفسي تلك الأسئلة مرارًا وتكرارًا، خرجت القصة. وكانت محفزاتها في تلك الأسئلة.

في أوقات أخرى، يكون الناس هم الذين يخبرونني بأشياء، وأتطلع ورائي عما أخبروني به. قد يخبروني بشيء ما يعتقدون أنه قصة، وأتحقق أنه ليس قصة. القصة هي شيء ما يوجد خلف ذلك أو وراءه. غالبًا، هي شيء ما أستوحيه. لدي قصة عنوانها «سرنا»، إنها قصة شابين تقابلا، تحابا، واكتشفا في أثناء ممارسة الحب أن كليهما قد تعذّب بالأسلوب نفسه. دفعتهما تجربة التعذيب بعد تفكير عميق إلى أنه لن يمكنهما أن يستكملا ممارسة الحب، ولن يستطيعا الانتماء إلى العالم؛ فقد تم تدميرهما. تولّد ذلك لدي، من شيء شاهدته ذات مرة بعد أن قابلت زوجًا من الشباب الشيلي في فنزويلا. لقد شاهدت أن كليهما لديه علامات مشابهة على رسغيه. كنت قد ظننت في البداية أنهما حاولا أن ينتحرا، ثم أدركت أن كليهما من شيلي. كانا منفيين، وكان كل منهما من الجيل نفسه، وبدأت أسأل نفسي أكثر وأكثر حولهما. أخيرًا، حينما توصلت إلى القصة ظننت أنها مجرد أعراض مرضية، وأنني أتخيّل هذه الأشياء المؤلمة، ولا يمكن أن يكون هذا صحيحًا. ولكن أخيرًا، بعد أن واجهت نظريتي واقع حياتهما، كان ذلك حقيقيًا.

أحيانًا، يوجد نوع من الدهشة لي أيضًا؛ لأن الشخصيات توصلت إلى تلك الأشياء رغم أنفي!



العروس إيزابيل الليندي مع شقيقيها ١٩٦١م

• كيف إذن تضبطين القصة مع الحقيقة أو الحقيقة مع القصة؟

ـ لا يمكنني اقتفاء أثر هذا الحد، لكني أعتقد أن كل شيء حقيقي؛ لأن القصة هي مجرد طريقة لقول شيء حقيقي منذ المبتدأ. ما القصة؟ هي مجموعة أكاذيب، لكنها لا يمكن أن تعمل إذا لم تأت تلك الأكاذيب من مكان صادق أمين جداً بداخلك: لماذا تريد أن تكتب تلك القصة؟ لماذا تريد تلك الشخصيات وليست شخصيات أخرى؟ لماذا تلك العقدة وليست عقدة أخرى؟ كل ذلك؛ لأنك تنقر على شيء، هو خبرتك الخاصة، رأيك، وجدانك، عواطفك، ماضيك، سيرة حياتك، أو روحك مجمعة؛ ولأنك تنقر على ذلك، تصبح القصة حقيقية، وتؤدي الغرض، وحينما لا تفعل، تكون قد خلقت قصة اصطناعية، تلك التي تعيد محاكاة الروايات الرومانسية، والتمثيليات المثيرة، والأعمال الغامضة، تلك الأنواع التي لا تعمل مع الحقيقة، لكنها تصنف كقصة، كتسلية. لكننا لا نتحدث عن ذلك؛ لأننا نتحدث عن شيء أعمق بكثير.

• هل تعدين أجواسانتا هي مدينتك الأسطورية، مثلما كانت يوكناباتاوافا لوليام فولكنر، أو وينسبرج أوهايو لشروود آندرسون؟

ـ لا، إنني أشعر أنني أفضل كثيراً مكاناً وزماناً غير محددين. أنا أحب الالتباس، وذلك حين تحدث قصة في مشهد يمكن أن يخترعه القارئ. إذا فكرت في ذلك، فإن الشيء الوحيد الذي تعرفه عن أجواسانتا أنها حارة. لكنك لا تعرف شيئاً آخر عنها، لا تعرف أين تقع، لا تعرف كيف تبدو، أو كيف يعيش كثير من الناس هناك؛ لأنني أريد أن يكون ذلك المكان، ليس مكاني الأسطوري، بل مكان القارئ الأسطوري. وهي المعالجة نفسها التي أعطيها لشخصياتي. فنادراً ما يكون هناك وصف مجسد لشخصية في كتابتي؛ لأنني أريد أن يبتكر القارئ الشخصية. لذلك أصف فقط ما هو أساسي بشكل مطلق للقصة. قد تكون الشخصية معوقة حقيقة، أو لها شفة شرماء، أو طويلة جداً، وهذه يجب أن تقال؛ لأنها بشكل ما، تكون ضرورية للقصة، وإلا، لن أقول حتى ذلك؛ فأنا لا أذكر حتى العمر، فأنت لا تعرف أكانت تلك الشخصيات شباباً أم عجائز.

• ماذا عن أولئك الأشخاص الحساسين بشكل كبير، والذين نجد في قصصهم، مثل «طفلة خبيثة»، أو «فم الضفدع» حساً صريحاً. هل تركزين في ملاحظة جسم المرأة كمصدر للمعلومات في تلك القصص؟

ـ أنا لن أقول إن قصصي حسية. أتمنى لو كانت كذلك؛ فأنا أرغب حقيقة في أن أتمكن من كتابة روايات حسية. ولكني لسوء الحظ، تربيت كاثوليكية وأمي لا تزال حيّة؛ لذلك فإن ذلك صعب. ومع ذلك أشعر أن هناك جزءاً مني كشخص حساس وحسي تماماً. فأنا، عبر ذلك الجزء، أستطيع أن أعبّر عن حقائق معينة لم يكن ممكناً أن أعبّر عنها بخلاف ذلك. وحين أقول حساسة، فأنا لا أعني حسية؛ لأنه بالنسبة إليّ حساسة تكون تجاه: طعام وأثاث، وروائح.

وفي كل قصصي ورواياتي ستجد الروائح؛ لأنها مهمة تماماً بالنسبة إليّ

ومنذ عدة أيام، منحت درجة دكتوراه في (مين) Main، والشخص الذي كان يضع الطيّة الرئيسة على ردائي الجامعي، كانت له رائحة عجيبة. لقد أخذت كليّة. لم أستطع أن أفكر في حقيقة أنني أستلم تلك الدكتوراه، بل فقط في رائحته، ويمكن أن أتبع ذلك الرجل إلى نهاية العالم؛ لأن له رائحة معينة. فالرائحة مهمة جداً بالنسبة إليّ: إنها مثل الطبيعة، مثل الأصوات.



إيزابيل الليندي مع جيمي كارتر



.. ومع بيل كلينتون



... مع الكاتب المكسيكي كارلوس فوئتيس (١٩٩٧م)



ومع أرملة سيلفادور الليندي في أثناء توقيع أحد كتبها في المكسيك

• يفيض في قصصك الحقيقي والمغالى فيه، ذلك الذي يضعك في حقل الواقعية السحرية، ولديك أيضاً حساسية أنثوية حادة، تلك التي يمكننا تقصّي أثرها، كما لاحظ بعضهم، لديك ازدواجية ربما لبابلو نيرودا وماركيز دي ساد. إذا شخصت نفسك، هل تعدين نفسك كاتبة نسائية؟

- نعم. لكن أولاً وقبل أي شيء علينا أن نتفق على مصطلح نسائي؛ لأنه حتى الآن مازال محملاً بمعان سلبية عند كثير من الناس، فأنا امرأة، ولأنني امرأة ذكية، ولتعذر كبريائي؛ فإنه يجب أن أكون نسائية؛ لذا أهتم بجنسي، كما أعي حقيقة أن تولد امرأة، فهو ما يعني عائقاً ما في معظم أنحاء العالم. فالمرأة في المجتمعات المتقدمة جداً، وفي الجماعات المتقدمة جداً فقط حصلت على حرية كافية واهتمام كاف حتى تكون قادرة على أن تدافع عن حقوقها. ولكن تحت أي ظرف؟ يجب على المرأة أن تبذل جهداً مضاعفاً في وجه أي رجل حتى تحصل على نصف الاعتراف. وأنا أريد لابنتي، وأحفادها، وأحفادي العظماء أن يعيشوا في عالم أكثر رقة، في عالم يمكن فيه لابني وأحفاده العظماء، أن يعيشوا في مكان أفضل كثيراً، حيث يمكن أن يكون فيه الناس رفقاء وشركاء، وحيث تكون الحرية شيئاً يمكن أن نتمتع به كثيراً، وحيث ينتصر حبنا لأنفسنا، وحبنا للآخرين، وحبنا لهذا الكوكب.

أعتقد أن هذا ما تعنيه نسائية، وهو أيضاً الاهتمام والقدرة على أن تدافع عما تؤمن به.

• كانت العبارة المقتبسة، التي صدّرت بها رواية «منزل الأشباح» قصيدة لبابلو نيرودا، يطرح فيها الشاعر أسئلة حول «ما طول المدة التي يستغرقها موت إنسان؟»، وقد أجاب والد أيدي في مسرحية «بينما أنا راقد أحتضر» لفولكنر عن هذا السؤال، عندما قال: إن «السبب في الحياة هو أن تستعد لتبقى ميتاً لزمن طويل». كيف تسني لألبا أولاً ولإيفالونا، أو حتى لك، الإجابة؟

- أنا لا أعرف عن ألبا أو إيفالونا، لكنني أعرف بما يمكنني أنا أن أجيب؛ فأنا أعتقد أن السبب في أن نحيا هو أن نتعلم. لقد جئنا هنا لنجرب عبر الجسد أشياء، حتى الأشباح لا يمكنها أن تجربها بطريقة أخرى؛ لذلك نحن نحتاج إلى هذا الجسد، ويجب أن ينقل هذا الجسد إلى معبد التعلم. لكن هذا صعب؛ لأن ثقافتنا لا تبيح هذا إطلاقاً؛ لذلك أحاول أن أستخدم حواسي، خيالي، جسمي، عقلي، وكل الأشياء التي أمتلكها في هذه الحياة؛ لجعل الروح تنمو.

هذا ما جئنا من أجله. إذا ما فكرت في ذلك، فستجد أنه كان يوجد صمت قبل أن نولد، وصمت بعد الموت؛ لذلك فالحياة مجرد كثير من الضوضاء.

• إلفير في «إيفالونا» تقول لإيفا «لا بد أن أمك ورّثتك ما منحك تلك القدرات الإبداعية التي لديك كي تحكي قصصاً، أيها الطائر الصغير»، هل ذلك هو سر كتابة القصص القصيرة؟

- تلك واحدة من عدة خدع سيئة. إنه لأمر مدهش، فأحياناً تحدث هذه الأشياء لي، وأكتبها دون أن أفكر أبداً أن شخصاً ما سوف يلاحظ ذلك. وللمثال، أكتب وصفة طعام، كونتها تقريباً، بعد ذلك اتصل بي أناس وأخبروني أنها لم تنجح. أي إذا أمددتهم بوصفة جميلة، قائلة: إنهم يجب أن يفعلوا هذا أو ذاك حتى يجعلوا شعرهم أشقر، سيصدق الناس، لكن ذلك ليس صحيحاً، إنه مجرد جزء من الخدع، وفوق كل شيء، فإن كل الأرحام تفرز سائلاً عندما تكون حاملاً.

• عودة إلى موضوع تصنيف نفسك كاتبة نسائية، ما هو الشيء الذي لا تريدين القراء أن يروه في عملك؟ آمل ألاّ تكون الإجابة أبدًا بالسلب، بمعنى عدم قراءة قطعة من الأدب لمجرد أنه ينظر إليها كعمل نسائي - لأن ذلك يمكن أن يدمّر جوهر الأدب.

- لا أعرف، لأن لكل قارئ مدخلاً مختلفاً، فأنا أريد أن يتمتع قرائي، أريد أن أجذبهم وأن أغويهم إلى القراءة. أريد أن أدعوهم إلى مكان مدهش بحيث يمكن أن نتشارك في قصة، وأمنحه (أو أمنحها) القصة. أما الجزء الآخر فيجب أن يكون قد تم ابتكاره أو إعادة ابتكاره بواسطة القارئ؛ فهذا هو الفضاء الذي سنتقاسمه. أحياناً تحتوي القصص على عناصر سياسية، عناصر اجتماعية، موضوعات نسائية، موضوعات بيئية، فتخرج في القصة كل تلك الأشياء التي أومن بها. ولكني لا أريد أن أسلم رسائل؛ فليس لديّ إجابات. لديّ فقط أسئلة، وأريد أن نتقاسم الأسئلة. على الجانب الآخر، توجد أنسجة النصوص، إذ لا يمكن تفادي التصنيفات مادام هناك نقاد.

النقاد أناس مزعجون. سيصنفونك، لا يهم كيف، وسوف يتم تصنيفك. وأنا لا أريد أن أسمى كاتبة نسائية، كاتبة سياسية، كاتبة اجتماعية، كاتبة واقعية سحرية، أو كاتبة أمريكية لاتينية، فأنا مجرد كاتبة. أنا حكّاءة قصص.

• لم تنقذ شهرزاد حياتها فقط عبر قصصها، بل توصلت أيضًا إلى اعتراف السلطان. لقد أوجدت نفسها جوهريًا بالكلمات. هل إيفالونا، بطلة روايتك، هي التي جلبت «الأنثى» إلى الوجود عبر الكلمات؟

- نعم، فأنا أيضاً أعتقد أنه حظ عاثر أن تكون إيفالونا هي أنا، أو أن أكون إيفالونا، هي حكّاءة قصص، وهي تخلق نفسها، ولا يعرف القارئ؛ إذا كان هو (أو هي)، الذي يقرأ حياة إيفالونا، ما اخترعته هي عن نفسها، أو هي أوبرا التملق التي كانت تكتبها. لذلك، فهناك ثلاثة مستويات لكتابة هذه الرواية أو فهمها. أعتقد أنها بطريقة معينة تبيّن كيف أصبحت حياتي. وإذا طلبت مني أن أحكي لك قصة حياتي، فسأحاول، ومن المحتمل أن تكون المحاولة حقيبة من الأكاذيب؛ لأنني اكتشف نفسي طوال الوقت، وفي الوقت نفسه أكتشف قصة، وعبر هذه القصة أكشف عن نفسي. لذلك، فهذه هي المستويات الثلاثة التي تجري عبرها حياتي. ولا أستطيع أن أقول من أنا؛ لأن المحددات، كما قلت من قبل، بين الحقيقة والخيال قد أضحت غير واضحة تماماً.

• هل هذه المستويات الثلاثة، هي التي يجب أن يضعها القراء في أذهانهم، حين يقرؤون مجموعة قصص «قصص من إيفالونا»؟

- لا تضع شيئًا في الذهن، استمتع فقط بها.

• أعتقد أنك تنظرين إلى الناقد هنا..

- ناقد، تمتع فقط بها.

• ماذا تظنين أن رواياتك يفقدون بالترجمة؟

- لقد ترجمت كتبي إلى سبع وعشرين لغة، وهذا ما أعرفه. لكني أعرف أيضاً عن ترجمات أخرى لم يصرّح بها، مثال ذلك الفيتنامية والصينية. وليس لديّ رقابة على الترجمات الرسمية، ولتدع جانباً تلك التي لم يصرّح بها. أنا أعرف أن الترجمات في



بين الممثلتين ميريل ستريب وفينسيا ريدغريف بطلتي فيلم «منزل الأرواح» المأخوذ من رواية للكاتبة بالاسم نفسه عام ١٩٩٤م

باولا ابنة الكاتبة قبل وفاتها بسنة (الصورة عام ١٩٩١م)



والدة الكاتبة مع قريبها سلفادور الليندي رئيس التشيلي الراحل



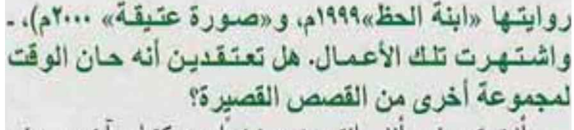
إيزابيل الطفلة مع والدتها وأخيها الرضيع بيرو (١٩٤٣م)

الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، كانت جيدة جداً. والآن، في كل مرة أقرأ فيها قصصي بصوت مرتفع بالإنجليزية، أشعر بعدم راحة شديدة. وأعتقد أن الترجمة عظيمة، فأحياناً تبدو في السمع أفضل كثيراً عنها في الإسبانية، ولكن تلك حكاية أخرى. أنا يمكن أن أكون نفسي فقط في لغتي الخاصة، فالأمر مثل ممارسة الحب، كما تعرف، فقد أشعر بلهاث سخيف في الإنجليزية، لذا أحتاج حقيقة أن أعبّر عن نفسي بلغتي الخاصة، ولذلك حين ألعب مع أحفادي، يحدث ذلك دائماً بالإسبانية؛ لأنه يوجد شيء ما يجعل اللعب والإحساس يبزغان من عمق الأحشاء، وهو عمق عضوي جداً، ذلك الذي يمكن أن يبزغ في لغتك فقط، إنه مثل الأحلام.

○ هل هناك شيء لا يمكنك الكتابة عنه «شياطين الذاكرة»، تلك التي لا تستطيعين «أن تلفظيها»؟

ـ لا أعرف؛ لأنني أحاول أن ألفظهم جميعاً، وهو ما قد أنجزه على المدى الطويل، إذا كان لدي وقت كاف، وإذا عمّرت طويلاً، فلدي كثير من الشياطين، وهناك أشياء معينة تظهر مراراً وتكراراً في كتابتي، لدرجة أنني لا أستطيع أن أتلافاها: تبدو محبوبة وعنيفة ـ قضيتان قويتان جداً في حياتي.

○ لقد كتبت أربع روايات ومجموعة من القصص القصيرة ـ (جرى هذا الحوار عام ١٩٩٤م، قبل صدور



روايتها «ابنة الحظ» ١٩٩٩م، و«صورة عتيقة» ٢٠٠٠م)، ـ واشتهرت تلك الأعمال. هل تعتقدين أنه حان الوقت لمجموعة أخرى من القصص القصيرة؟

ـ أنت تعرف، أنني انتهيت مؤخراً من كتاب آخر سوف يُنشر قريباً، وهو يترجم الآن؛ إنه نوع من المذكرات، أظنه ليس قصة، ومع ذلك، يمكن قراءته كقصة. بعد انتهائي من هذا الكتاب، شعرت باستنزاف وجفاف شديدين، لدرجة أنني ظننت، حسناً، أنني سأقضي ستة أشهر دون أن أفعل شيئاً، ودعنا نرى ما سيحدث بعد ذلك. كما أن هناك صوتاً خاصاً داخلياً، يقول لي لماذا لا تقضين هذه الأشهر الستة وأنت تفكرين في قصص قصيرة؟ ولكن كما أخبرتك سالفاً، أحتاج حقيقة إلى الإلهام، وإذا لم يأت...

○ ما عنوان الكتاب الجديد؟

ـ إنه يسمى «باولا»

○ ماذا تقولين لكتّاب القصة القصيرة الطموحين حول كتابة القصص القصيرة؟

ـ لا تفعلوا، اكتبوا رواية؛ لأنها أسهل كثيراً ـ فكلما طالت كان ذلك أفضل. وستجدون ناشراً، ستجدون وكيلاً، وسيكون الأمر أسهل كثيراً؛ لأن الرواية أسهل كثيراً في الكتابة.

القصص القصيرة أقرب إلى الشعر، وإلى الأحلام موازنة

محطات في حياة إيزابيل الليندي

- ولدت في عام ١٩٤٢م في بليما، عاصمة بيرو، حيث كان والدها توماس الليندي يعمل في السلك الدبلوماسي لتشيلي، وهو ابن عم الرئيس سيلفادور الليندي.
- انفصل والداها في عام ١٩٤٥م، وعادت والدتها دونا بانشيتا مع أطفالها الثلاثة إلى العاصمة التشيلية (سانتياجو).
- تزوجت والدتها في عام ١٩٥٣م دبلوماسياً، وذهبت الأسرة إلى بوليفيا وبيروت، فدرست إيزابيل في مدرسة أمريكا الشمالية الخاصة في بوليفيا، ثم في مدرسة إنجليزية خاصة في بيروت.
- عادت في عام ١٩٥٨م إلى تشيلي، وأنهت هناك دراستها الثانوية، وقابلت في هذه الفترة زوجها ميجويل فرياس الذي كان طالب هندسة، وقد تزوجها في عام ١٩٦٢م.
- ما بين عامي (١٩٥٩و ١٩٦٥م) عملت في تشيلي في فرع منظمة الأغذية والزراعة (الفاو) التابعة لمنظمة الأمم المتحدة.
- عملت مديرة للكلية المغربية (مدرسة ثانوية) في كاراكاس (١٩٧٩ ـ ١٩٨٢م).
- قامت بتدريس الكتابة الإبداعية في جامعة كاليفورنيا، باركلي في عام ١٩٨٩م.
- بعد عودة الديمقراطية إلى تشيلي في عام ١٩٩٠م عادت إلى بلادها بعد غيبة استمرت ١٥ عاماً.
- صدرت لها رواية «منزل الأرواح»١٩٨١م، و«عن الحب والظلال» ١٩٨٤م، و«إيفالونا» ١٩٨٧م، و«قصص من إيفالونا» ١٩٩٠م، و«خطة لا نهائية» ١٩٩١م، و«باولا» ١٩٩٤م، و«لعبة الحظ» ١٩٩٩م، و«صورة عتيقة» ٢٠٠٠م.
- ترجمت أعمالها إلى أكثر من ٢٧ لغة، من بينها اللغة العربية.
- تحولت روايتاها «منزل الأرواح»، و«عن الحب والظلال» إلى فيلمين سينمائيين.

بالسرد الروائي الطويل جداً. وأعتقد أن القصص القصيرة تحتاج إلى كاتب ماهر جداً. كم عدد القصص القصيرة التي يمكن أن تتذكرها؟ كم عدد الكتّاب الجديرين بالتذكر؟ كم عدد من تفوق منهم؟ كم عدد كتّاب القصة القصيرة الذين هم كتّاب مهمون حقيقة فقط من أجل قصصهم؟ كل ذلك؛ لأنه نوع أدبي صعب جداً، صعب جداً. لذلك، سوف أقول لهم، جربوا أولاً مع الرواية، وحين تكتسبون المهارات، يمكنكم أن تكتبوا قصة قصيرة. لكن الناس تعتقد أن العكس هو الصحيح، فهم يعتقدون أنهم إذا استطاعوا كتابة قصة قصيرة، فغالباً سيكونون قادرين على كتابة رواية. إنه فعلاً الطريق الدائري الآخر، بمعنى أنك إذا كنت قادراً على كتابة رواية، فإنك في يوم ما، مع كثير من العمل والحظ السعيد، ستكون قادراً على أن تكتب قصة قصيرة جيدة.

• لقد بدأت حياتك الوظيفية صحفية. هل جعل ذلك كتابة القصة أسهل بالنسبة إليك، وبشكل خاص مع القصة القصيرة؟

- نعم؛ لأنني مازلت أستخدم كثيراً من تقنيات سبق أن استخدمتها وأنا صحفية، مثل إجراء حوارات مع الناس، وبصفتي كاتبة قصة، أعتقد أنه أفضل كثيراً أن أجري بحثي من خلال حوارات مع أناس حقيقيين جربوا الحادثة، مهما كانت تلك الحادثة، بدلاً من الذهاب إلى المكتبة والنظر في الكتب؛ لأنه خلال تلك الحوادث يمكن أن ألتقط أشياء لن أجدها أبداً في كتاب. كما أن الصحفيين في الشوارع يكون في متناولهم أن يتحدثوا مع الناس، يحضرون ويشاركون. أما الكتّاب فهم أناس معزولون جداً، يعيشون عادة محميين تحت مظلة كبيرة من العالمية أو بعض المؤسسات، وهم غير متصلين بالحياة الحقيقية في العالم. إنهم ينجزون كتابتهم للأساتذة، وللطلاب، وللنقاد، وينسون أن العالم في الخارج هناك. لذلك، فإن خلفيتي الصحفية ساعدتني على ذلك الطريق، وهناك شيء آخر ساعد بشكل كبير، فأنت لكونك صحفياً تعرف أن لديك عدّة جمل كي تجذب بها قارئك، في ظل منافسة مع الوسائل الإعلامية الأخرى؛ لأنك تتنافس مع المقالات الأخرى في الصحيفة نفسها، أو أياً ما كانت الوسيلة الإعلامية التي تستخدم؛ لذلك يجب أن تكون فعالاً جداً مع اللغة، ويجب أن تتذكر أن أول الأشياء وأهمها أن يكون لك قارئ؛ لأنه من دون قارئ لن يوجد نص. لكن الكتّاب ينسون ذلك، فهم يكتبون لأنفسهم. لكنني، بهذا الإحساس، أكون أكثر وعياً من الصحفي؛ لأنني لن أكتب شيئاً من أجل نفسي ما عدا الكتاب الأخير الذي كتبته أخيراً؛ لأنني حين كتبته، لم أكن أفكر في نشره. لقد ماتت ابنتي حديثاً، كانت في غيبوبة مدة عام، وكنت أعتني بها، وخلال ذلك العام، توقف كل شيء في حياتي، كان لدي عام كي أراجع حياتي، ولأسأل نفسي الأسئلة التي كنت أتفاداها، وأمضي عبر الألم الأكثر تعذيباً، وأعتقد أنني ما زلت في نفق الألم، لكن الحقيقة أنني أنهيت ذلك الكتاب الذي كان بمنزلة تنفيس من عدة نواح. لذلك، حينما بدأت كتابة «باولا»، كان هدفي فقط أن استمر في الحياة، وتلك كانت المرة الوحيدة التي كتبت فيها شيئاً دون أن أفكر في القارئ.

الهوامش

- هذا الحوار من كتاب «حديث عن القصة القصيرة: حوارات مع كتّاب معاصرين» الصادر عن جامعة، ميسيسبي بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٧م وقد أجرى الحوار فرحات افتخار الدين.
- الصور من الموقع الشخصي للكاتبة في الإنترنت. [الفيصل] .

رحلة
في كتاب

العرب والإسلام في أوزبكستان

تاريخ وسط آسيا من أيام الأسر الحاكمة حتى اليوم

مراجعة: شاه رستم شاه موساروف
الرياض - السعودية

هذا الكتاب جاء في خمسة عشر فصلاً سبقها تمهيد قصير يؤكد إسلامية أوزبكستان، ويشير إلى أن تاريخ هذه البلاد لم يلق دراسة موضوعية كافية لأسباب، منها أن الدراسات كانت إما سياسية، وإما حزبية قام بها زعماء الحزب الشيوعي، ويثني التمهيد على ما قام به المؤلفان بوريبوي أحمدوف وزاهدالله منوروف في هذا الكتاب من الرجوع إلى المصادر القديمة والوثائق لتقديم عرض موضوعي لتاريخ الشعب الأوزبكي، وسنلحظ في أثناء رحلتنا في الكتاب اهتمامًا بارزًا بدور الإسلام والعرب في حياة الأوزبك.

سكان أوزبكستان

تبدأ رحلتنا في الفصل الأول حيث خصص لسكان أوزبكستان القدماء، وفيه حقائق كثيرة استندت إلى دراسات أثرية وتنقيب وحفريات ووثائق مكتوبة عن سكان وسط آسيا، حيث كان يطلق عليهم اسم السقيتيين (أو الساكيين)، وهم منقسمون ثلاث مجموعات حسب مناطق سكنهم، ولهم طباع وعادات متقاربة في المأكل والملبس والزواج والترحّل والعبادة، فقد عبدوا الشمس وضحّوا لها بالخيول.

أما عن الحياة السياسية فقد كان السكان في قرى وبلدان متفرقة غير متضامنة، وليس بينها علاقات قوية، مما دفع بعض الممالك المجاورة (مثل مملكة الصين) إلى احتلال كثير من هذه القرى.

دول وممالك

أما الفصل الثاني، وهو بعنوان: الدول القديمة التي كانت قائمة في منطقة أوزبكستان، فنجد بداية حملة الإسكندر المقدوني عام ٣٣٤ ق.م، بعد نهاية حكم دولة الأخمينيين، الذي استمر من عام ٥٥٠ حتى ٣٣٠ ق.م. وفي هذا الفصل صورة حركية لمسير الإسكندر المقدوني وحروبه منذ خروجه من بلده، ففي طريقه إلى وسط آسيا يحتل دمشق وبعض مدن الساحل، ويتوجه إلى مصر فيستسلم له واليها الفارسي، ثم يعود إلى الشام فيجتاز نهر دجلة، ويقاتل الفرس ويهزم ملكهم، ثم يواصل مسيره إلى وسط آسيا، فيحتل سمرقند وغيرها، ويقتل أعداداً كبيرة من الجنود الذين تصدوا له، ونجد أن الإسكندر استطاع إخضاع معظم مناطق وسط آسيا في عام ٣٢٧ق.م.

وبعد وفاة الإسكندر كان حكم السلوقيين، حيث أصبحت وسط آسيا ولاية من ولايات السلوقيين، ثم كانت المملكة اليونانية البقتيرية، بعد أن انفصلت بقتيريا عن السلوقيين، ثم كانت دولة فرغانة، وفرغانة بلاد عريقة تقع في وادي فرغانة الخصب، وكان يمر بها أحد فروع طريق الحرير العظيم، وظلت دولة فرغانة قائمة مدة طويلة بفضل موقعها الحصين، ولم يتمكن الإمبراطور الصيني من إخضاعها في عدة محاولات.

وإلى جانب دولة فرغانة كانت دولة كانغلي إلى الغرب منها، وشعبها من الترك، ثم مملكة كوشان، وكانت دولة كبيرة في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، وكانت تضم معظم مناطق وسط آسيا، ثم دولة الأيفتاليت، التي ظهرت في نحو عام ٤٥٧م.

وخلال عرض الكتاب لهذه الدول والممالك كان يتعرض لوصف الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في كل منها، منوهاً بأهم مواردها وصناعاتها.

صعود الخاقانية وأفولها

ويأتي عصر الخاقانية التركية في الفصل الثالث، ويعدُّ الأتراك من أقدم شعوب آسيا العريقة، ذاع صيتهم بين عامي ٢٠٠٠ و١٠٠٠ قبل الميلاد، وكانت لهم دولة عظيمة إذا ما قيست بالدول التي كانت قائمة آنذاك، وكان الأتراك قد بلغوا درجة كبيرة من التطور في عهد إمبراطوريتهم المعروفة بإمبراطورية «الأتراك الزرق»، ثم بدأت الصدامات مع أباطرة الصين، ثم مع حاكم خانية جرجان، وقام الجرجانيون بعدة محاولات لإخضاع الخاقانية التركية، إلا أن الأتراك تغلبوا عليهم وأخضعوهم، وأصبحت الخاقانية دولة قوية عسكرياً وسياسياً خلال حكم موغان - خاقان (٥٥٣ - ٥٧٢م)، واتسعت رقعة الدولة، وزاد نفوذها في أواسط القرن السادس، وأقامت علاقات سياسية واقتصادية مع الصين والهند وإيران وبيزنطة.

ثم بدأ نجم هذه الدولة في الأفول بسبب النزاعات الداخلية، وبسبب دسائس أباطرة الصين، فضعفت الخاقانية في نهاية القرن السادس وأوائل السابع، عندما بدأ النزاع بين الأخوين تورامين وإيشبارا ابني أرسلان نوبا - خان، واقتحم الصينيون حدود الخاقانية التركية، وهزموا الأتراك في معارك كثيرة، وأجبروهم على الاعتراف بالسلطة العليا للإمبراطور الصيني. وتم انهيار الخاقانية التركية تماماً في النصف الثاني من القرن الثامن، بعد أن انقسمت إلى نحو ١٥ إمارة قبيل وصول العرب الفاتحين إلى وسط آسيا.

المرأة كان لها وزن كبير في الدولة الخاقانية، فلدى دخول الأطفال على آبائهم في الخيمة كانوا ينحنون أمام أمهاتهم، وبعد ذلك يلقون التحية على آبائهم، ويسلمون عليهم

ونجد في حديث عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية أن المرأة كان لها وزن كبير في هذه الدولة، فلدى دخول الأطفال على آبائهم في الخيمة كانوا ينحنون أمام أمهاتهم، وبعد ذلك يلقون التحية على آبائهم ويسلمون عليهم.

وقد عبد الأتراك العُقاب والذئب والكواكب، كما كانوا يعرفون الكتابة، وكانت من اليمين إلى اليسار، كما نظموا الأشعار أيضاً.

الخلافة العربية

وفي الفصل الرابع، وهو بعنوان: وسط آسيا إبان حكم الخلافة العربية نعرف أن منطقة وسط آسيا قد خضعت للخلافة العربية في عهد الأمويين، بعد حروب دامت أكثر من أربعين سنة، ويعزى نجاح العرب في فتح المنطقة إلى الانقسام والنزاعات الإقطاعية، ويمضي الكتاب مع الفتوحات منذ بدايتها، إذ بدأت الجيوش العربية عام ٦٣٣م تحركها شرقاً إلى إيران الساسانية، وقد تمكنت هذه الجيوش من سحق الساسانيين الذين خرقوا اتفاقاً للسلام. وتابع العرب مسيرهم إلى مرو، ووصلوا إلى حدود أموداريا (نهر جيحون) عام ٦٥١م، ثم بدأت الجيوش الفاتحة في عام ٦٧٤م باجتياح وسط آسيا بقيادة عبيد الله بن زياد، ففي عام ٧٠٦م جهز قتيبة بن مسلم - وكان والياً على خراسان - جيشاً كبيراً وتوجه إلى بايكيند (المدينة النحاسية) فعرض حاكمها عقد صلح مع الجيش الفاتح، ووافق قتيبة على الصلح مقابل دفع الجزية، ثم تمكن هذا الجيش بقيادة قتيبة من فتح كيش ونسف، وقد ساعده هذا على فتح بخارى عام ٧٠٩م، ثم خوارزم عام ٧١٢م، كما فتحت سمرقند في تلك السنة أيضاً، ثم في عام ٧١٥م، قام القائد قتيبة بن مسلم - بأمر من الخليفة الوليد بن عبد الملك - بحملة على فرغانة، ثم وصل إلى شرق أنديجان، وهي آخر ما بلغه العرب، فقد واجهوا بعدها مقاومة من الأتراك.

وقد تمكن العرب من فتح وسط آسيا كاملة في مطلع عام ٧١٥م، وظلت تحت حكم الخلافة العربية حتى أوائل القرن التاسع، ونشر العرب الفاتحون الإسلام في المنطقة بطرائق كثيرة، كان من أهمها إعفاء من يدخل الإسلام من دفع الخراج.

ولا يغفل الكتاب تمرد الأسر الحاكمة، والنزاعات بين الإقطاعيين، وحركة المرتدين في وسط آسيا، فقد كانت هناك مقاومة تجابه الفاتحين من آونة إلى أخرى تكون فيها الحرب سجالاً، كما حدث عام ٧٥٠م من عصيان أهل بخارى وسمرقند وخوارزم، وكان عصيان في الري في عام ٧٥٥م، وآخر في ما وراء النهر، ثم في عام ٨٠٠م حصل تمرد في نسا، وكانت أكبر حركة تمرد في سغد عام (٨٠٦- ٨١٠م) فقد قام رافع بن ليث بثورة ضد نظام الضرائب شملت - بعد ذلك - مناطق كثيرة في وادي زروفشان وقاشقا داريا وغيرها، وقد رد الثائرون جيش الخلافة غير مرة، إلى أن استطاع الخليفة هارون الرشيد بقيادة ابنه المأمون التغلب على المتمردين.

وعن أثر الفتوحات العربية نجد الكتاب ينصف الفتوحات العربية موازنة بينها وبين الغزوات المغولية والروسية والبلشفية، إذ سلب البلاشفة تركستان، ونهبوا خيراتها، وخربوها روحياً، وأحلوا ثقافتهم فيها، وقضوا على تراثها، «لقد حاولوا بطرق شتى حملنا وحمل أجيالنا المقبلة على نسيان تاريخنا وحضارتنا وثقافتنا العريقة، أما الإسلام... فقد أثبت أنه عقيدة قادرة على توحيد المدن والبلدان... وكان للإسلام أثر كبير في أخلاق الناس وعاداتهم، وبفضله تم القضاء

على العيوب الاجتماعية...»، وقد أصبحت اللغة العربية لغة الدولة ولغة العلوم لدى سكان وسط آسيا، وقدمت لهم هذه اللغة مؤلفات علماء اليونان القدماء في شتى العلوم، كما ظهرت إبداعات علماء وسط آسيا باللغة العربية مثل الخوارزمي، وابن سينا، والفارابي... وازدهر في عهد العرب فن العمارة في بناء المساجد والمدارس وغيرها.



على الرغم مما شهدته منطقة آسيا الوسطى من اضطرابات إلا أن العلوم والفنون ظلت مزدهرة



السامانيون والقاراخانيون

والفصل الخامس يحكي عن دولة السامانيين، وهم إحدى الأسر الحاكمة (ملوك الطوائف) بعد سقوط الخلافة العباسية، «وكانت دولة السامانيين من أكبر الدول التي أقيمت على الجزء الشرقي من حطام الخلافة المتفتتة»، وقد بدأ انهيار هذه الدولة بفعل القرامطة الذين وجهوا حركتهم ضد الإسلام، فبدأت الصراعات، وظهرت أمارات انحلال دولة السامانيين في عهد نوح الأول ابن ناصر الثاني عام (٩٤٣- ٩٥٤)، كما فقدت الدولة كثيراً من أراضيها، وفي عام ٩٨٧م أصبحت جميع الأقاليم التي في جنوب أموداريا تحت حكم الأمير التركي أبي علي بن أبي الحسن سيمجوري، ثم في عام ٩٩٧م وقعت تحت حكم مؤسس أسرة الغزنويين.

وكان نظام الحكم في دولة السامانيين جيد التنسيق، فقد كان على رأس الدولة أمير له سلطة مطلقة، وكانت هناك دواوين حكومية بلغت العشرة، مثل ديوان كبير الوزراء، وديوان قائد الحرس الأميري، وديوان البريد... مما ساعد على تطوير البلاد اقتصادياً وعسكرياً وثقافياً.

وفي الفصل السادس، وهو بعنوان: ما وراء النهر في عهد القاراخانيين، نتعرف أصل القاراخانيين، وكيف كبرت دولتهم، واحتلت معظم بلاد وسط آسيا، وفي النهاية حصل لهذه الدولة ما حصل لغيرها، فقد انقسمت دولتين شرقية وغربية، وحدث بينهما صراعات كثيرة، صاحبها قيام دولة القاراخيتائيين إلى أن انتهت الدولتان تماماً في عام ١٢١٢م.

دور خوارزم

ونصل في رحلتنا هذه إلى الفصل السابع المخصص لخوارزم في الفترة من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر، وفيه نرى خوارزم مركزاً من مراكز الحضارة في وسط آسيا، إلا أن انتقال السلطة في خوارزم من أسرة إلى أسرة منذ القرن السادس مهد الطريق أمام العرب الفاتحين، فقد كان التفكك السياسي، والعداء الدائم بين الدويلات على أشدهما، وبدأ قادة الدويلات يستعينون بالقادة العرب في مواجهة بعضهم، ومن أبرز الأحداث في تاريخ خوارزم في القرن الثامن انقسامها دولتين جنوبية وشمالية، إلا أن الدولة الشمالية تمكنت من ضم الجزء الجنوبي عام ٩٩٥م.

أسهمت خوارزم في التجارة الدولية إسهاماً فعّالاً، فقد كانت مصدراً لكثير من السلع التجارية، وانتشر تجار خوارزم في معظم مناطق وسط آسيا، كما أسهمت خوارزم في تطور العلوم والثقافة، وينقل الكتاب عن المقدسي: «أنه في مدن الخلافة نادراً ما وجد إمام (عالم) في الفقه والأدب أو القرآن إلا وكان لديه تلميذ خوارزمي يحرز تقدماً في العلوم». وهناك أسماء كثيرة اشتهرت لعلماء خوارزم، مثل البيروني، وابن سينا، والخوارزمي.

وعقد الفصل الثامن للعلوم والثقافة في وسط آسيا (ق٩ - ١٢م)، وفي هذه الفترة ازدهرت العلوم والثقافة، وقد أسهم علماء وسط آسيا في تنشيط تعلوم ونشرها، ومنهم الإمام البخاري، وهو أشهر محدثي المسلمين، ورشيد الدين الوطواط، والنسائي المحدِّث، والإمام الترمذي، كما اشتهر في الأدب علماء، مثل الثعالبي، ورشيد البلخي، وأديب الخوارزمي رضي الله عنهم جميعاً، ويعرض هذا الفصل حياة كثير من هؤلاء العلماء بالتفصيل.

جنكيز وتيمور

وكان الفصل التاسع فصل وسط آسيا إبان حكم جنكيز خان وأسرته، وفيه حديث عن غزوات جنكيز خان، وتأسيسه دولة المغول (١١٥٥- ١٢٢٧م)، وعن غزو التتر المغول لوسط آسيا، ثم حديث

عن دولة تشاغاتاي (جغتاي) التي انقسمت كغيرها قسمين: مغولستان، وما وراء النهر.

ومن ثم كانت الصراعات والأطماع، واشتدت الفوضى في أواسط القرن الرابع عشر، فانقسمت الدولتان إلى دويلات صغيرة، كان خاناتها (ملوكها) أدوات في أيدي الإقطاعيين المتصارعين لتوسيع ممتلكاتهم، واستغل هذا الوضع تيمور، حيث عقد له الفصل العاشر بعنوان: وسط آسيا في عهود تيمور والتيموريين، وفيه نتعرف أسرة تيمور التي حكمت مئة وستة وثلاثين عاماً، وقد كان لتيمور ودولته دور مهم في التاريخ، ويعد عصره وعصور التيموريين من بعده عصور ازدهار في وسط آسيا وإيران والهند في كل مناحي الحياة.

وفي هذا الفصل حديث مسهب عن الأمير تيمور منذ بداية ظهوره على مسرح أحداث التاريخ، فنرى عدة محاولات منه لتوحيد دولة تشاغاتاي المتفككة، ثم محاولات توسيع دولته ومحاربته للمغول، ثم نجد هذا القائد ينهي صراعاً دام طويلاً بضم ما وراء النهر في عام ١٣٧٠م، وأصبحت بلخ ونسف وسمرقند وبخارى وفرغانة تحت لوائه، أما خوارزم فقد خضعت له بعد خمس حملات متتالية

تطورت العلوم والثقافة والفنون في خانية بخارى على الرغم من كثرة الحروب وخصومات أفراد الأسرة الحاكمة

(١٣٧١- ١٣٨٨م)، ثم خاض تيمور حروباً كثيرة ضد حكام القبائل المجاورة ومغولستان لحماية حدود دولته من غارات السلب والنهب.

ولما كانت دولة تيمور كبيرة وعظيمة قام بتقسيمها «حيازات» استخلف عليها حكاماً من أولاده وأحفاده، وأهل ثقته من الأمراء، وكانوا جميعاً يأتمرون بأمره وتوجيهاته، وبعد موت تيمور انقسمت دولته قسمين، ثم أقساماً متعددة كانت بينها صراعات وحروب كثيرة أدت إلى أفول نجم الدولة التيمورية.

ويلاحظ أن هذا الفصل كان أطول فصول الكتاب إذ جاء في تسعين صفحة من أصل ٤٢٧ صفحة في الكتاب، ذلك للتفاصيل الدقيقة التي أوردها المؤلفان في مسيرة تيمور ودولته.

وكان الفصل الحادي عشر في العلوم والثقافة والفكر العقدي من القرن الثالث عشر حتى القرن الخامس عشر، وفيه إشارة إلى أثر الاجتياح المغولي في تدمير البنية الاقتصادية والثقافية في بلاد ما وراء النهر، وقد وصف ابن الأثير أعمال المغول بأنها «مأساة بشعة، ومصيبة فادحة، لم ير مثلها ليل ولا نهار على سطح الأرض، عمّت البلاد والعباد».

تجديد وازدهار

أما أعمال البعث والتجديد فقد بدأت في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، إذ بنيت المدارس والمساجد والقصور والأضرحة، ومنها ضريح موجود إلى اليوم، وهو ضريح الشيخ سيف الدين البخاري، وكذلك شيدت الحصون والحدائق العامة، كما أنشئ مرصد فلكي في سمرقند، وبنيت مدن جديدة أطلق عليها أسماء البلدان المشهورة، مثل مصر، وبغداد، ودمشق، وازدهرت العلوم بعامة والعلوم الدينية بخاصة، واشتهر من بين العلماء الحافظ النسفي، والبيضاوي، وكثرت المؤلفات الدينية في هذا الوقت، واشتهرت الطريقة النقشبندية، نسبة إلى أبرز علمائها الشيخ بهاء الدين محمد النقشبندي (١٣١٧- ١٣٨٩م) وهي حركة تنادي بشجب التظاهر بالتدين، ومحاربة البدع، كما نادت بالالتزام الكامل لأحكام الشريعة وبالتمسك بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان من شيوخها عبد الخالق الغجرواني والخواجة عبيد الله أحرار.

نزاعات وخلافات

وجاء الفصل الثاني عشر بعنوان: وسط آسيا في مرحلة التفكك الإقطاعي، فقد أدت النزاعات الإقطاعية، والخلافات بين أفراد الأسر الحاكمة إلى تقويض أركان الدولة التيمورية في نهاية القرن الخامس عشر، وكانت الأوضاع السياسية في ما وراء النهر في حالة سيئة، وحدثت غزوات كثيرة على أراضي الدولة التيمورية، مثل غزوات شيباني خان، وغزوات الأوزبك الرحل في عام ١٤٩٨م، وعام ١٥٠٠م فقد تم الاستيلاء على بخاري ثم سمرقند، وفي عام ١٥٠٣م تم إخضاع طشقند وشاهروخيا وغيرهما، وفي خريف العام نفسه حاولت قوات شيباني خان اجتياح خراسان، كما حاولت هذه القوات التقدم إلى بلخ وحاصرتها، ثم رفع الحصار عنها بسبب البرد القارس، وفي العام التالي تم إخضاع أنديجان، ثم توالى إخضاع المدن الأخرى، وخلال هذه الغزوات كانت الحرب سجالاً مرة لهم ومرة عليهم، ومات جوعاً بسبب الحصار لهذه المدن خلق كثير. وتم - بعد عام ١٥٠٧م - إخضاع أراضي الإمبراطورية التيمورية لشيباني خان، ولكن بعد وفاته عام (١٥١٠م) كانت السيادة على هذه الأراضي تنتقل بالتدريج إلى الأسرة الصفوية بعد معارك كثيرة دارت بين جيوش الصفويين وولاة شيباني خان.

أما خانية بخارى، فقد اختصت بشرح طويل حول الأحداث السياسية فيها، مثل وفاة كوتشكونتشي خان، وانتقال الحكم في عام ١٥٤٠م إلى حفيد شيباني عبدالله خان الذي نقل عاصمة خراسان من سمرقند إلى بخارى، ويعد مؤسس خانية بخارى، وقد كان ملكاً

مثقفاً شاعراً يهتم بالعلوم؛ ولكن خلفاءه لم يستطيعوا الاحتفاظ بأملاك الشيبانيين والتي تحولت إلى دويلات مستقلة، تتناحر فيما بينها بهدف التوسع، وقد استغل هذه الحال عبدالله خان واستولى على بخارى عام ١٥٥٧م، وتم له ذلك بمساعدة بير محمد خان الشيباني، وظل حاكماً اسمياً علي بخارى، بينما كانت السلطة الفعلية في يد عبدالله خان الذي توج خاناً بصورة رسمية عام ١٥٨٣م، وفي عام ١٥٨٩م تم توحيد ما وراء النهر وتركستان وخوارزم ومرو وترمذ وغيرها في دولة كبيرة، إلا أن العلاقات بين عبدالله خان وابنه عبدالمؤمن فترت، لأن الأب لم يعط هرات لابنه بعد احتلالها، وكادت الحرب تندلع بينهما إلا أن وفاة الأب في عام ١٥٩٨م حالت دون ذلك، ثم قتل أنصار الأب ابنه عبد المؤمن بعد ستة أشهر من حكمه، وبعد ثلاث سنوات انتقلت السلطة إلى الاشترخانيين، وفي فترة حكمهم استولى السلاطين القازاخيون على تركستان وطشقند وفرغانة وغيرها عام (١٦٠٦- ١٦١١م)، وظلت الحروب دائرة بين القازاخ والاشترخانيين، وبين هؤلاء والقيرغيز وغيرهم، مما أتاح الفرصة لهجمات كثيرة على بخارى قام بها الخيويون بقيادة أبي الغازي خان. فقد قام الخيويون بثماني عشرة غارة منظمة، تركت أسوأ الأثر في الأوضاع السياسية والاقتصادية في خانية بخارى، كما أشاعوا النهب والسلب والدمار في مناطق ما وراء النهر، وشتتوا سكانها.

علاقات وأنظمة

ثم يأتي الحديث عن العلاقات الاجتماعية الاقتصادية ونظام الحكم في خانية بخارى، مثل إعادة توزيع الأراضي، وإنعاش طبقة الإقطاعيين إبان حكم الشيبانيين، مما أثار السخط لدى الناس البسطاء، إلا أن شيباني خان بادر إلى إصلاح الأوضاع الاقتصادية بعد تعزيز سلطته، فأنشئت محطة لتوزيع المياه في زرنشان، ونظمت ممتلكات الأوقاف، وتم إصلاح نظام العملة. وازدهرت أحوال الفلاحين، واشتهرت خانية بخارى في فترة حكم الشيبانيين والاشترخانيين بالصناعات اليدوية والتجارة، إلا أن الضرائب كانت كثيرة على الحرفيين والفلاحين.

وارتبطت خانية بخارى بعلاقات تجارية نشيطة مع الهند والصين وإيران وروسيا وغيرها، وكانت مدن بخارى تصدر الأقمشة والمنسوجات الحريرية والورق والسجاد والفواكه المجففة وغيرها، وكانت تستورد من البلاد الأخرى معاطف الفراء والرماح والسهام والأصباغ والأواني الصينية واللؤلؤ والشاي وغيرها، وكان لابد من الأمن لتطوير التجارة الدولية، وهذا ما حرص عليه كبار الحكام والمسؤولين في البلاد.

أما نظام الحكم، فكان الخان على رأس الدولة، وسلطاته غير محدودة، تساعده مؤسسات حكومية مقربة (الدواوين) في إدارة شؤون البلاد. وكانت هناك حركة ثورية للجماهير بسبب الحروب والنزاعات الإقطاعية والضرائب الباهظة والفوضى العامة، مثل انتفاضة سكان قاراكول في بداية القرن السادس عشر، وانتفاضة بلخ عام ١٦٠٥م، واضطرابات بخارى عام ١٧٠٨م وسمرقند عام ١٧١٢م ضد ظلم الحكام المحليين.

أما عن الحياة العلمية والثقافية، فقد تطورت العلوم والثقافة والفنون في خانية بخارى على كثرة الحروب وخصومات أفراد الأسرة الحاكمة، فقد نشطت حركة التأليف في الرياضيات والطب والجغرافيا، وفي العلوم الدينية فقد كان للعالم مخدومي أعظم كاساني (من أقطاب الطريقة النقشبندية) دور تنويري كبير في حياة الناس، وقد وضع هذا العالم أكثر من ٣٠ كتاباً، وكذلك تلميذه خوجا محمد إسلام، الذي خلفه ابنه خوجا سعد، كما ازدهرت الفنون الأخرى، مثل فن الخط والرسم والتصوير، كما كان للموسيقى شأن أيضاً في هذا التطور.

في مدن الخلافة نادراً ما وُجد إمام (عالم) في الفقه والأدب أو القرآن إلا وكان لديه تلميذ خوارزمي

ومن خانية بخارى إلى خانية خيوة، يظهر هذا الفصل أهم أحداث التاريخ السياسي، والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية ونظام الحكم، ثم يأتي على خانية خوقند وأحوالها، والنظام الإداري فيها.

أطماع روسية

أما الفصل الثالث عشر فكان عنوانه: تركستان - مستعمرة روسية، وفيه نتعرف بداية أطماع روسيا في منطقة وسط آسيا، فقد بدأت نشاطاتها في منتصف القرن السادس عشر بإرسال أفراد للاستطلاع، وجمع المعلومات عن شعوب المنطقة ومواردها، والأوضاع العسكرية فيها، وعلاقاتها مع الدول الأخرى، مثل إيران وتركيا، وأرسلت أولى هذه الطلائع إلى خانية بخارى عام ١٦٢٠م، ثم خيوة وكازاخستان، ومن ثم كانت هناك معارك أخفقت فيها القوات الروسية في فرض السيطرة على هذه المناطق، إلا أنها بعد منتصف القرن التاسع عشر أجرت تعديلات على خطة احتلال وسط آسيا، فتم احتلال بعض المدن على مشارف طشقند ١٨٦٣م، وبعدها احتلت القوات الروسية خانيات خوقند وبخارى وخيوة، أما تعليل الروس لهذه الأعمال فقد جاء في خطاب موجه إلى الحكومات الأوروبية عام


محاولات طمس الهوية كان مآلها إلى الإخفاق

١٨٦٤م «... إن مصالح حماية الحدود والعلاقات التجارية تتطلب دائماً أن تكون للدول الأكثر رقياً سلطة معلومة على جاراتها».

أما إدارة هذه المناطق فقد أرادت تحويلها إلى مصدر أساسي للخامات الرخيصة، ثم إلى سوق لترويج السلع الروسية، وكذلك إخضاع السكان لإدارة الروس، الذين عاملوا «السكان الأصليين» معاملة العبيد، «إذ إنهم اعتادوا الخضوع للسلطة المطلقة الصارمة لملوكهم وحكامهم السابقين، وليس من الجائز التعامل معهم وفق المبادئ الإنسانية»!

وقد مهد هذا الوضع لقيام حركات شعبية فلاحية، ظهرت بصورة عفوية، كما حدث في فرغانة ١٨٧٩م، وخوجند ١٨٨٠م وقضاء نامنغان، وغيرها، وتكررت هذه الحركات الشعبية، كما حدث في فرغانة ١٨٨٢م، فقد قام الفلاحون بالاعتداء على ممتلكات الأغنياء ومكاتب الإدارة الروسية، وتم القضاء على هذه الحركات باستخدام السلاح من قبل الإدارة القيصرية.

أما عن العلوم والثقافة في أوزبكستان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فنجد حشداً كبيراً لأسماء علماء وشعراء وأطباء وفلاسفة ومؤرخين، وقائمة طويلة بأسماء المؤلفات في هذه العلوم المختلفة، وبعض هذه المؤلفات ترجم إلى اللغة الروسية ولغات أخرى، كما حصلت ترجمة إلى الأوزبكية لبعض الكتب المشهورة مثل «الكامل في التاريخ» لابن الأثير، كما صدرت بعض الصحف والمجلات مثل: الترقي وخورشيد وسعادة تركستان ...

أوزبكستان والعهد السوفييتي

وكان الفصل الرابع عشر عن أوزبكستان في عهد الحكم السوفييتي، وفي حديث طويل عن أحوال أوزبكستان في تلك الفترة المظلمة، فقد استعمرت أراضي وسط آسيا، وأنشئت فيها جمهوريات جديدة ترتبط بموسكو، أنشئت جمهورية تركستان في عام ١٩١٨م، ثم جمهورية خوارزم عام ١٩٢٣م، وجمهورية بخارى عام ١٩٢٤م، وقد أدى سوء الأوضاع والعنف، واستنزاف خيرات شعوب المنطقة، ومحاولات طمس الهوية إلى تصاعد في حركات الشعوب المناوئة للثورة الاشتراكية والروس، مثل حركة «الاتحاد التركستاني لمحاربة البلشفية»، وكانت تجد الدعم القوي من بريطانيا وأمريكا، وكذلك حركة «البسماتشيين» في وادي فرغانة، ومما يذكر أنه في ١٩ يناير/كانون الثاني ١٩١٩م حدث تمرد مناوئ للبلاشفة، حيث اختطف المتمردون ٣٤ من زعماء البلاشفة وأعدموهم، واضطرت موسكو لإرسال الجيش الأحمر بحجة المحافظة على الاستقرار والنظام، واستعمل العنف في تغيير فكر الشعوب، وفي تقسيمهم، فالجمهوريات الجديدة أنشئت بخطة محكمة، فقد وزعت كل قومية على هذه الجمهوريات، وفصلت بينها الحدود التي رسمتها الإدارة الروسية، ولاقت عملية إقامة السلطة السوفييتية في تركستان مقاومة مسلحة، ذات تنظيم جيد، واستمرت هذه المقاومة إلى نهاية عام ١٩٢٣م، إذ تمكنت السلطة السوفييتية من القضاء عليها.

أما تقسيم المنطقة، ومن ثم تقسيم السكان، فقد خضعا لعدة إجراءات، فكما سبق أنشئت جمهوريات تركستان وخوارزم وبخارى، ثم تأسست بدلاً منها جمهوريتان باسم تركمانيا، وأوزبكستان، وقد ضمت جمهورية أوزبكستان إلى جمهوريات الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٢٥م، وقد كان في هذه الجمهورية أكثر من ٩٠ قومية، كالأوزبك والطاجيك والروس والكازاخ...

وكانت الدعاية الروسية تؤيد ما يقوم به البلاشفة للمساواة بين الشعوب، وحق تقرير المصير، وعدم التدخل في المعتقدات والدين، إلا أن الوجه الآخر كان يتميز بأن السلطة كلها في يد عدد من البلاشفة لا ينتمون إلى السكان الأصليين، وقد كانت الحكومة الأولى في تركستان لا تضم أحداً من السكان المحليين، كما كانت الإدارات المحلية بإشراف عسكريين من غير هؤلاء السكان، مما جعلهم بعيدين عن مشاركة الشعب، ومعرفة احتياجاته وتقاليده... كما ساعد هذا الوضع على بقاء المنطقة مصدراً لاحتياجات روسيا الاستعمارية، مما أثار الاستياء لدى السكان، فظهرت أحزاب سياسية تناوئ سلطة البلاشفة، مثل «الحزب الاشتراكي - إيرك (أي الحرية)»، وحزب

«التجديد»، وهما يناديان باستقلال تركستان والمساواة بين القوميات والشعوب في المنطقة... وكان هناك ما يسمى بالشيوعيين الوطنيين، من الذين يشغلون مناصب في أجهزة الحزب، وقد تعاونوا مع الروس البلاشفة على أمل أن يخدموا شعبهم بأفكار ثورة أكتوبر، إلا أن سياسة الحكومة الروسية أظهرت لهؤلاء الشيوعيين الوطنيين عدم احترام الروس للشعوب الأخرى، وقد أعدمت الحكومة الروسية نحو ٧٠٠٠ من المثقفين، وسجنت أكثر من ٤١٠٠٠ مواطن، واستمرت عمليات الاضطهاد والعنف من الثلاثينيات إلى خمسينيات القرن العشرين، وذلك للحيلولة دون تحقيق الشعوب الأوزبكية لأمانيها.

أما أهم ما حدث في الميدان الثقافي فهو إلغاء الحروف العربية والاستعاضة عنها بالحروف اللاتينية في الكتابة، ثم إلغاء الحروف اللاتينية لإحلال الحروف الروسية مكانها، في خطة شيطانية لقطع الشعوب عن ماضيها وتراثها العلمي الثقافي، ولطمس الهوية الأصلية للشعب المسلم في أوزبكستان، وقد تم التحول إلى الحروف الروسية في عام ١٩٤٠م، كما رافق هذا الحال نشر الدعاية الإلحادية في أوزبكستان، وهي موجهة ضد الدين الإسلامي، فقد أغلقت مساجد ومدارس إسلامية كثيرة، ففي الفترة من ١٩١٨م حتى ١٩٣٣م تم إغلاق ٣٦٠٠ مسجد في الاتحاد السوفييتي، ومعظمها كان موجوداً في وسط آسيا، وكرد على هذه الخطوة من البلاشفة ظهرت منظمات سرية لخدمة الدين، كما أعدمت الحكومة البلشفية في ثلاثينيات القرن العشرين آلاف العلماء والشعراء والبارزين، كما فقد الكثيرون في سجون ستالين ومنافي سيبريا.

أهم ما حدث في الميدان الثقافي هو إلغاء الحروف العربية والاستعاضة عنها بالحروف اللاتينية في الكتابة، ثم إلغاء الحروف اللاتينية لإحلال الحروف الروسية مكانها؛ لطمس الهوية الأصلية للشعب المسلم في أوزبكستان

وكان هناك بعض الإصلاحات في مجال الاقتصاد والزراعة، إلا أنها كانت تتم ضمن خطة رسمية لجعل البلاد تحت الهيمنة السوفيتية، فأنشئت الكولخوزات والسوفخوزات وضمّت إليها أراضي الفلاحين والحقول الزراعية في ١٩٣٧م، وفي العام نفسه تمت المصادقة على أول دستور لجمهورية أوزبكستان، وهو مطابق للدستور السوفييتي لعموم الاتحاد السوفييتي، وكانت السلطة العليا - وهي اسمية - في يد المجلس الأعلى لجمهورية أوزبكستان الاشتراكية السوفييتية الاتحادية، أما السلطة الفعلية فكانت في قبضة الحزب الشيوعي، وقد ركزت خطة التطوير في توسيع نطاق زراعة القطن؛ لأن أوزبكستان كانت تزود مصانع النسيج الروسية بخامات القطن، ولأجل هذا أنشئت قناة فرغانة العظيمة، وشارك في إنشائها نحو ١٦٠ ألف عامل لمدة ٤٥ يوماً، وقد زاد حجم إنتاج القطن فعلاً، وسبقت أوزبكستان الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن الآثار السلبية لهذه الزيادة لم تظهر للناس، فقد كان التوسع في زراعة القطن يتم على حساب إلغاء محاصيل أخرى مهمة كالحبوب والفواكه..

وبسبب الحرب العالمية الثانية حدث تحول في أوزبكستان، إذ تم تحويل الاقتصاد الوطني نحو الإنتاج الحربي، فأنتجت الطائرات والدبابات والقنابل والمحركات وغيرها، وساهمت أوزبكستان في هذه الحرب بنحو مليون مواطن، وإضافة إلى الإنتاج الحربي ظلت أوزبكستان تقدم القطن والمنتجات الزراعية الأخرى للجبهة، ومن ناحية أخرى فقد كان للحرب فائدة حيث أنشئت المصانع العملاقة ومحطات الكهرباء، كما افتتحت الكليات والمعاهد والأكاديميات العسكرية التي ساعدت فيما بعد على تأسيس «أكاديمية العلوم الأوزبكية».

وبعد الحرب كانت الخطة الخمسية (١٩٤٦- ١٩٥٠م) تعمل على تحويل الاقتصاد الأوزبكي نحو الأهداف السلمية، لكن عملية إعادة البناء الاقتصادي كانت صعبة بسبب الخسائر البشرية في الحرب، مما أحدث نقصاً في الأيدي العاملة، وعاد الاهتمام والتركيز مرة أخرى في توسيع مزارع القطن، فتم استصلاح السهوب الأوزبكية القاحلة، فتحولت إلى مزارع قطن جديدة، تصب في مصانع نسيج في روسيا، إلا أن العامل كان هو المتضرر في كل هذه الأحوال.

ومعروف أن طشقند تعرضت في عام ١٩٦٦م إلى هزة أرضية ألحقت خسائر فادحة بالمدينة، فقرر مجلس الوزراء السوفييتي مساعدة المدينة، فأرسل أكثر من ٣٠ ألف من البنائين من مختلف أنحاء الاتحاد السوفييتي، قاموا ببناء المساكن الجديدة بدل التي تهدمت، ولكن الثمن الباهظ كان استقرار هؤلاء في طشقند ليصبحوا من سكانها الدائمين.

الاستقلال

أما الفصل الخامس عشر والأخير فقد كان لأوزبكستان المستقلة، ويبدأ بوصف لحال البلاد قبيل استقلالها، فعندما تسلم إسلام كريموف السلطة كانت الأوضاع في غاية السوء، بسبب الظروف التي صنعها السوفييت الشيوعيون، وقد حدثت اشتباكات دموية ذات طابع قومي، مثل ما كان في وادي فرغانة ١٩٩٠م، إلا أن

شجاعة الرئيس كريموف وحكمته وتجربته ساعدت على احتواء هذه الأزمة، واستطاعت أوزبكستان أن تتغلب على موجة العنف، وقضت عليها، وعادت العلاقات بين القوميات المختلفة إلى طبيعتها الأولى.

ويوم ٢١ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٨٩م أعلن قرار أصبحت بموجبه اللغة الأوزبكية اللغة الرسمية في البلاد، وفي مارس/آذار عام ١٩٩٠م استحدث منصب رئيس الجمهورية، واختير إسلام كريموف لهذا المنصب، وفي ٢٠ يوليو/تموز عام ١٩٩٠م أعلن استقلال أوزبكستان، وتم الاستقلال في ٣١ أغسطس/آب عام ١٩٩١م، وأصبح أول سبتمبر/أيلول هو يوم استقلال أوزبكستان، كما توجهت القيادة إلى إحياء القيم الروحية في البلاد، فنظمت عملية سفر الحجاج إلى الأراضي المقدسة، كما عُد عيد الفطر وعيد الأضحى عيدين رسميين في البلاد.

وبعد الاستقلال كان لابد من تنظيم العلاقات مع الدول الأجنبية، وفي المقام الأول الدول الإسلامية، وكان هذا يتطلب بناء دولة كاملة السيادة، وكان لكتاب الرئيس كريموف «أوزبكستان وأسلوبها الخاص

أعدمت الحكومة الروسية نحو ٧٠٠٠ من المثقفين، وسجنت أكثر من ٤١٠٠٠ مواطن، واستمرت عمليات الاضطهاد والعنف للحيلولة دون تحقيق الشعوب الأوزبكية لأمانيها

في الانتقال إلى الاقتصاد الحر» أثر كبير في بناء الدولة، وينص الكتاب على ضرورة التقيد بخمسة مبادئ أساسية، هي:

- جعل العلاقات الاقتصادية الداخلية والخارجية فوق المصالح الفكرية أو العقدية (الأيديولوجية).
- الدولة هي المصلح الأساسي.
- سيادة القانون في الحياة الاجتماعية السياسية.
- الضمان الاجتماعي الجيد لشرائح الشعب ذات الدخل المحدود.
- الانتقال المرحلي إلى الاقتصاد الحر.

وأفادت أوزبكستان من تجارب الدول الأخرى المتطورة، وانضمت الدولة المستقلة إلى الأسرة الدولية، واعترفت بها ١٦٠ دولة حتى عام ١٩٩٣م، كما أقامت علاقات دبلوماسية مع ٦٠ دولة منها، وانضمت الجمهورية إلى المنظمات الدولية، مثل الأمم المتحدة، واليونسكو، والصندوق الدولي.

ويورد هذا الفصل قائمة بأهم الأحداث التي تلت الاستقلال ومنها: قانون جمهورية أوزبكستان باتخاذ العلم الوطني للدولة عام ١٩٩١م، وإعلان عيد الفطر عطلة رسمية في عام ١٩٩٢م، وزيارة الرئيس إسلام كريموف إلى المملكة العربية السعودية في هذه السنة، كما زار النمسا أيضاً، وزيارات كثيرة قام بها الرئيس إلى بعض البلدان، كما ذكرت زيارات رؤساء حكومات بلدان كثيرة لأوزبكستان، ومنها صدور عشرات المراسيم والقوانين من سبتمبر/أيلول ١٩٩١م حتى ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٩٥م، تتعلق بقضايا الاقتصاد كالخصخصة، وقانون الأراضي، والشركات المساهمة، وتوقيع اتفاقيات تجارية اقتصادية وثقافية مع كثير من بلدان العالم.

وقد تمت رحلتنا في هذا الكتاب الحافل بالمعلومات القيمة عن تاريخ أوزبكستان وأطواره، وعلاقاتها بجيرانها، واستعمارها من قبل الروس البلاشفة، ثم استقلالها، وتمتع أبنائها بنسائم الحرية، وهي رحلة تفيد القارئ العادي كما تفيد المتخصص في التاريخ.

وتبقى لنا كلمة أخيرة بعد هذه الرحلة الماتعة، فإن هذا الكتاب هو كتاب قيم من حيث إنه يمثل أول كتاب يكتبه أبناء أوزبكستان عن بلادهم، فكل ما كتب قبله كان بأقلام مؤرخين أغراب يكتبون عن أوزبكستان، وهي ليست بلادهم، كما أن الكتاب يمثل مرحلة من الفكر والكتابة التأريخية الموضوعية البعيدة عن الاتجاهات الفكرية (الأيديولوجيات) الجاهزة، والأفكار المسممة، ولاحظنا في هذا الكتاب الإفادة من كثير من المصادر الأصلية، وهو ما لم يتوافر للمؤلفات قبله.

ومع ذلك يجد قارئ الكتاب بعض الهنات وقع فيها المؤلفان، ولا شك أن هذا كان بسبب كونهما يكتبان تاريخ بلدهما أول مرة، وكل بداية صعبة، ولا بد أن يكون فيها أخطاء، ونرجو أن يتدارك مثل هذا الأمر في طبعات الكتاب القادمة.

ومما يؤخذ على الكتاب اعتماد المؤلفين في كثير مما كتبا على ما كتبه الأوربيون والروس، فلذلك تأثر تأثراً قليلاً بالفكر الأوربي وخاصة الروسي، بسبب إغفالهما كثيراً مما كتبه المؤرخون العرب والشرقيون، ولعل هذا راجع إلى بعدهما عن هذه المؤلفات الشرقية من ناحية، ومن ناحية أخرى سهولة وجود كثير من المراجع الأجنبية مما أتيح لهما النظر فيها، وجلّها كُتب وضعت تحت تأثير أفكار غير موضوعية، فما كتبه الروس مثلاً كان يخدم مصلحة السوفييت.

ومما يلاحظ أيضاً أن هناك مصطلحات وأسماء أشخاص وبلاد كتبت بطريقة غير دقيقة، ولعل هذا نجم عن الترجمة، مثل قره خيتاي فقد كتبت كاركيتاي، ومثل القارلوقيين التي كتبت الكارلوكيين.

ولعل من المفيد أن نقترح على المؤرخين الرجوع إلى المصادر العربية والفارسية وما كُتب باللغات الشرقية عامة.



جائزة خادم الحرمين الشريفين للإبداع الخليجي

تأسيس جمعية عربية ـ تركية للوثائق العثمانية

مؤسسة أهلية للفكر العربي

الأمريكيون يخسرون!!

سرقة «ذهب مع الريح»

أمية عربية

رحيل أنطوني كوين وبهجت عثمان ونارايان وفيرسان و(أبو لغد)



خاتمة المطاف

ولي الأمر والقضاء

جائزة الملك فهد للإبداع

الملك فهد بن عبد العزيز

أقرّ الوزراء المسؤولون عن الشؤون الثقافية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، في ختام اجتماعهم العاشر الذي عُقد في العاصمة البحرينية المنامة في ٢٣ مايو/أيار الماضي، نظام جائزة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود للإبداع في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، والتي ستمنح بصفة سنوية للمتميزين من ذوي الإسهامات البارزة من مواطني دول المجلس.

كما توصل الوزراء المسؤولون عن الشؤون الثقافية في ختام اجتماعهم إلى عدد من القرارات والتوصيات، من أبرزها: اعتماد برامج النشاطات المشتركة في المجال الفكري والأدبي والشعري، ومعارض الفنون التشكيلية والخط العربي وندوات التراث الشعبي والأسبوع الثقافي للطفل، والمهرجان المسرحي، التي تقرر تنفيذها حسب البرنامج الزمني المعد لذلك في دول مجلس التعاون.

وقرر الوزراء دعم المؤسسات التربوية والثقافية ومساندتها في دولة فلسطين التي تتعرض للتدمير والتعطيل من قبل إسرائيل، والاتصال بمنظمة اليونسكو لشرح ما تقوم به إسرائيل من مخطط تجهيلي ممنهج في الأراضي الفلسطينية، ودعوة المنظمة إلى اتخاذ الإجراءات اللازمة وفقًا لمبادئها ومواثيقها لحماية المنشآت الثقافية والتعليمية الفلسطينية من تلك الممارسات.

ووافق الوزراء أيضًا على إقامة مركز للترجمة في دولة قطر للارتقاء بموضوع الترجمة والتعريب في دول المجلس، والاستفادة من تقنية المعلومات الحديثة، وإنتاج فيلم وثائقي عن الثقافة والتراث في دول المجلس، والاهتمام بتوزيع الكتاب في دول المجلس.

جمعية عربية ـ تركية للوثائق العثمانية



الأمير سلمان بن عبد العزيز

تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض رئيس مجلس إدارة دارة الملك عبدالعزيز، استضافت الدارة خلال الفترة من ١٩ ـ ٢٢ صفر سنة ١٤٢٢هـ اجتماعات الفرع الإقليمي العربي للمجلس الدولي للأرشيف، والندوة العلمية المصاحبة التي جاءت تحت عنوان «ندوة الأرشيف العثماني». وقد شارك في اجتماع الفرع والندوة عدد كبير من الباحثين من داخل المملكة وخارجها.

ويرمي اجتماع الفرع الإقليمي إلى الارتقاء بمستوى خدمة الوثائق والمحفوظات ومعالجة أوضاعها، وجلب الخبرات والإمكانات ونشر الوعي بأهمية الوثيقة، وتشجيع أوجه التعاون والنشاط في حقل الأرشيف بين دول المنطقة وتنظيمها وتنسيقها، وقصدت الندوة إلى إتاحة المجال لتبادل المعلومات في مجال الوثائق العثمانية التركية ذات العلاقة بالعالم العربي، وبين المعنيين به من العاملين بالحقل الأرشيفي، والباحثين في الدراسات العثمانية والوثائقية، ومن أهداف الندوة كذلك دراسة سبل إتاحة المجموعات الوثائقية العثمانية في تركيا للباحثين والمؤرخين العرب، وقد اشتملت الندوة على ثلاثة محاور هي: الوثائق العثمانية في دور الأرشيف العربية، والمجموعات العربية في الأرشيف العثماني بتركيا، والتعاون بين الدول العربية وتركيا حول الاستفادة من الأرشيف العثماني.

وصدر في ختام اجتماعات الفرع والندوة عدد من التوصيات منها: تأسيس جمعية عربية ـ تركية للوثائق العثمانية تنسق علاقات الباحثين والمؤسسات بالأرشيفات في تركيا والدول العربية، واعتماد دارة الملك عبدالعزيز مقرًا لها، والاستفادة من المجلس الدولي للأرشيف والمنظمات الدولية في دعم مشروعات تطوير الأرشيفات العربية في المجالين المهني والفني، والاهتمام بالوثائق المتعلقة بالحقوق العربية والإسلامية في فلسطين، وتصوير محتويات الأرشيفات الفلسطينية، وإيداع الصور في أكثر من مركز، والاهتمام بوثائق تاريخ الحرمين الشريفين

داخل المملكة وخارجها، ودعم مشروع دارة الملك عبدالعزيز في توثيقها. وطالب المشاركون مراكز الوثائق والأرشيفات في العالم العربي بتسهيل الإجراءات الإدارية المتعلقة بخدمة الباحثين، وتخصيص يوم لـ «الوثيقة العربية»، لنشر «الوعي الوثائقي»، في أنحاء العالم العربي، والاهتمام بتعليم اللغة العثمانية القديمة.

مؤسسة أهلية للفكر العربي


الأمير خالد الفيصل

شهدت مدينة القاهرة في الثاني والثالث من يونيو/حزيران الحالي أول اجتماعات مؤسسة الفكر العربي بحضور نخبة من كبار المفكرين ورجال المال العرب، والتي تضم ٢٧ عضواً، ١٠ منهم من المملكة العربية السعودية، على رأسهم الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز، والأمير محمد العبدالله الفيصل بن عبدالعزيز، و٣ من الكويت منهم الشيخة حصة صباح السالم الصباح مديرة دار الآثار الإسلامية، و٣ من مصر هم: المستشار طارق حجي، ونجيب ساويرس، ومحمد أبو العينين عضو مجلس الشعب المصري، ومن الإمارات الدكتور مانع سعيد العتيبة وزير البترول السابق، والشيخ جمعة الماجد، بالإضافة إلى الأمير هيثم بن طارق آل سعيد، والأمير فاتك بن فهر من سلطنة عمان، وبهية الحريري عضو مجلس النواب اللبناني، ورجال مال من سورية ولبنان.

وكان صاحب فكرة إنشاء هذه المؤسسة هو صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، ورئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية، وكان ذلك خلال «مؤتمر الثقافة العربية» الذي عقد في العاصمة اللبنانية بيروت في مايو/أيار من العام الماضي، إذ دعا سموه في خطابه إلى «اجتماع أرباب الفكر العربي في كل المجالات - تحت مظلة مؤسسة فكرية علمية، تعنى بالعلم والآداب والفنون، وتشجيع الإبداع وتكريم المبدعين، وبخاصة أولئك الذين يتوجهون بنشاطهم إلى خدمة فكرة التضامن العربي ولم شتات الأمة.. على أن يتم التكريم من خلال تظاهرة فكرية تقام لتحقيق هذا الأمل كل عام في بلد عربي يستضيفها وينظمها..».

كما دعا سموه الموسرين العرب لوضع رأس مال يستثمر وينفق ريعه على أنشطة هذه المؤسسة، وبذلك يجمع الفكر والمال لمشروع حركة جادة من أجل تفعيل فكر الأمة، وتحقيق التنافس الإيجابي بين المبدعين.

وبعد ثلاثة اجتماعات متواصلة توصل المجتمعون إلى ما يأتي:

أولاً: أن يكون في طليعة أهداف المؤسسة:

- تنمية الاعتزاز بثوابت الأمة وأخلاقها الكريمة للتعامل الأفضل مع تحديات الحاضر والمستقبل التي من بين مظاهرها العولمة.
- ترسيخ المشاعر الموحدة للأمة، ونبذ دواعي الفرقة بين صفوفها.
- العناية بمختلف جوانب الفكر من علوم واقتصاد وإدارة، وآداب، وفنون، وتعميق الاهتمام بالدراسات المستقبلية، ورعاية الموهوبين من الشباب، وتشجيع عودة العقول العربية المهاجرة.
- تنسيق وجوه النشاط الفكري العربي، وتسهيل تواصل المفكرين بوسائل التقنية الحديثة.
- تكريم الدارسين والمبدعين المتميزين من الذين يسهم إنتاجهم في تقدم الأمة العربية، ويخدم فكرة تضامنها ولم شتاتها.
- الإسهام في نشر الفكر العربي في العالم بالوسائل الفعالة.

ثانياً: تشكيل لجنة تحضيرية من بين الأعضاء المؤسسين ومعهم خبراء في كل مجال من مجالات أعمال المؤسسة، إضافة إلى قانوني ومستشار إداري، لصياغة النظام الأساسي والهيكل الإداري للمؤسسة؛ على أن تجتمع هذه اللجنة في صيف هذا العام بمدينة أبها في المملكة العربية السعودية، ويلي ذلك اجتماع للمؤسسين في بيروت خلال النصف الأخير من شهر أكتوبر/تشرين الأول في العام نفسه، وذلك للنظر فيما توصلت إليه اللجنة وإقراره.

ثالثاً: اختيار صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل رئيساً للمؤسسة، وعدّ الكلمة التي ألقاها في الجلسة الأولى من الاجتماعات الثلاثة وثيقة من وثائق هذه الاجتماعات.

رابعاً: أن تكون بيروت المقر الرئيس للمؤسسة على أن تعقد احتفالياتها السنوية بالتناوب في الدول العربية.

خامساً: بلغت المساهمات التي أعلنها المؤسسون حتى الآن

نحو ٢٤ مليون دولار. والجدير بالذكر أن الشيخة حصة صباح السالم الصباح قد تبرعت بتمويل إنشاء موقع افتراضي على شبكة المعلومات لخدمة أغراض المؤسسة، والتعريف بها، كما تبرع السيد محمد ياسين دغمش بتوفير مقر للمؤسسة في بيروت.

وكانت الفيصل قد نشرت في العدد ٢٨٦ خبراً مطولاً عن الفكرة التي طرحها الأمير خالد الفيصل خلال حضوره المؤتمر الثقافي الذي عقد في بيروت في الفترة من ٢٩ إلى ٣١ مايو/أيار من العام الماضي، وقد ذكر أن اختيار بيروت مقراً للمؤسسة يأتي لكونها أحد مراكز الثقافة العربية.

ترجمة القرآن إلى اللغة الكتالانية

قام المستعرب الإسباني ميكيل دي أبالثا بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الكتالانية عن اللغة العربية مباشرة، ودون الحاجة إلى الرجوع إلى ترجمات أخرى، مما يجعل هذه الترجمة الأفضل بين الترجمات الأخرى عن الفرنسية أو الإنجليزية، وبالإضافة إلى هذه الترجمة قام ميكيل بإعداد خمس دراسات أخرى حول القرآن الكريم، وأوضح أن هذه الدراسات ستساعد على فهم نصوص الآيات، وقد قامت دار نشر أنسايكلوبيديا الكاتلانية بطباعة القرآن الكريم باللغة الكتالانية على نفقتها الخاصة.

وكانت هنالك ترجمة سابقة للقرآن الكريم باللغة الكتالانية محققة تمت عن اللغة اللاتينية قام بها الراهب فرانشيسكانو المايوركي (نسبة إلى جزيرة مايوركا) في القرن السادس عشر، ولكنها ضاعت.

اكتشاف أثري جديد في السعودية

تم العثور مؤخراً على نقش إسلامي كُتب على صخرة بخط كوفي غير منقوط يرجح الباحث الآثاري السعودي محمد بن سعد الحمود الذي عثر على النقش أن عمره يتجاوز ١١٠٠ عام.

وكان النقش الذي عُثر عليه بالقرب من منطقة الغزيز التي ورد ذكرها في كثير من كتب التاريخ وأشعار العرب، وتقع على بعد ٩٠كم شمال غرب مدينة الرياض، قد كتب عليه «اللهم اغفر لعبد الأعلى بن ثعلبة ولمن قال آمين».

وأوضح الحمود «أن النقش يقع على صخرة رملية في الجهة الشرقية من هضبة صخرية واضحة المعالم، وربما تكون المنطقة التي وجد فيها النقش موقع استراحة لقوافل المسافرين، وخصوصاً وقت الظهيرة وذلك لتوفر الظل بسبب وضعية الصخور الموجودة في المنطقة».

ورأى حمود أن أهمية هذا النقش تكمن في أنه أقرب نقش إسلامي يكتشف في منطقة الرياض، ويرى «أن المنطقة ملأى بالآثار التي تحتاج إلى البحث والعناية والحماية وخصوصاً آثار منطقة اليمامة، موطن الشعر والشعراء، التي ذكرت كتب المعاجم والتاريخ والأدب أسماء أماكن فيها».

ترميم قصر شبرا


قصر شبرا

انتهت الترميمات التي أُجريت على قصر شبرا التاريخي والتي استمرت عامين ونصف العام، وبلغت تكلفة أعمال الترميم خمسة ملايين وثلاثمئة ألف ريال تبرع بها صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام الذي يرعى هذا الصرح التاريخي المهم.

وكان صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن سلطان بن عبدالعزيز مساعد وزير الدفاع والطيران للشؤون العسكرية قد زار القصر بعد انتهاء الترميمات.

وكانت وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف قد أعدت برامج ليكون هذا القصر متحفاً وطنياً تعرض فيه المقتنيات التراثية لمحافظة الطائف.

مخطوطات مكتبة الطائف

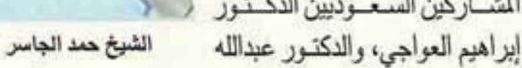
تقوم المكتبة العامة التابعة لإدارة تعليم الطائف حالياً بجهود توثيقية مهمة ترمي إلى الحفاظ على المخطوطات والكتب

النادرة بمكتبة الصحابي الجليل عبدالله بن العباس، رضي الله عنهما، بمحافظة الطائف.

وتقوم الإدارة بتصوير جميع هذه المخطوطات، التي تضم آلاف المجلدات من المخطوطات والكتب النادرة، بالإضافة إلى الصخور المنقوشة، والشارات الأثرية، على أقراص مرنة لحفظها وعرضها على أجهزة عرض خاصة حتى يستفيد الباحثون من محتوياتها، بينما تبقى أصول هذه المخطوطات والكتب النادرة محفوظة.

ذكرى الجاسر

أقامت جامعة آل البيت الأردنية مؤخراً حلقة بحثية بمشاركة عدد كبير من العلماء والباحثين السعوديين لاستذكار الشيخ حمد الجاسر المؤرخ والجغرافي والنسّابة السعودي المعروف. ومن أبرز المشاركين السعوديين الدكتور إبراهيم العواجي، والدكتور عبدالله العثيمين، والدكتور عوض القوزي، والدكتور عبدالعزيز آل مانع، والدكتور منصور الحازمي، والدكتور مرزوق بن تنباك، والدكتور عمار سالم الجراح، ومحمد رضا نصر الله، ومحمد بن ناصر الأسمري، والدكتور حمد المرزوقي، وسليمان الحربش، والدكتور فايز الحربي، والدكتور سليمان الحيا، والدكتور عبدالرحمن آل عبداللطيف، وعبدالعزيز بن إبراهيم الأحيدب، وفهد بن حمد الفلاح، والدكتور حمزة المزيني، والدكتور عبدالعزيز الهلابي، ومحمد علي الجاسر، وجاسر علي الجاسر، وعدد من أفراد أسرة الراحل أبرزهم المهندس معن بن حمد الجاسر، والسيدة مي بنت حمد الجاسر.



الشيخ حمد الجاسر

ويوجد لدى معهد المخطوطات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومقرّه القاهرة عزم على إصدار كتاب عن الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - تكريماً له، وتوفيراً لمادة علمية رفيعة المستوى تكون مرجعاً أساسياً لكل من يرغب في معرفة جوانب شخصية الشيخ الجاسر، وعطاءاته العلمية.

وقد وجه المعهد الدعوة لدارسي إنتاج الجاسر ومحبيه، ومَنْ ربطتهم به علاقات شخصية أو علمية للكتابة عنه، وموافاة المعهد بالبحوث، على ألا يزيد البحث على ثلاثين صفحة. وقد حدد المعهد المحاور التي ترصد اهتمامات الشيخ حمد الجاسر المختلفة وهي:

- صناعة المعجم الجغرافي وتحديد المواضع وتوثيق أسمائها.
- كتابة التاريخ العربي بعامة، وشبه الجزيرة العربية بخاصة.
- أنساب العرب، والقبائل في الجزيرة العربية.
- اللغة والغريب والكتابة العربية (الرسم).
- الشعر العربي: جمعاً وتذوقاً ودراسة.
- الخُلق والفضائل الإنسانية والعلاقات بين العلماء.
- رحلات الجاسر العامة وتنقلاته في البحث عن المخطوطات.
- إسهاماته مع الخالدين وجهوده المجمعية.
- النشاطات الإعلامية عامة والتراثية خاصة (صحيفة اليمامة، ومجلة العرب، وغيرهما).

وحدد المعهد آخر سبتمبر/أيلول ٢٠٠١م الموافق للثالث عشر من شهر رجب سنة ١٤٢٢هـ، موعداً أخيراً لتسلّم البحوث. علماً بأن هذه البحوث ستخضع للتحكيم حتى يكون الكتاب تكريماً علمياً محكماً.

الضبيب رئيساً لتحرير مجلة العرب



أحمد بن محمد الضبيب

وافقت وزارة الإعلام السعودية على إعطاء امتياز مجلة (العرب) للأستاذ معن بن حمد الجاسر، كما وافقت الوزارة على تشكيل هيئة تحرير للمجلة تتكون من الأساتذة: أ.د. أحمد بن محمد الضبيب، وأ.د. عبدالعزيز بن ناصر المانع، و أ.د. عبدالله بن صالح العثيمين، و أ.د. عبدالعزيز بن صالح الهلابي، على أن يكون الدكتور الضبيب رئيساً للتحرير.

ولا شك أن استمرار مجلة العرب بعد وفاة مؤسسها وصاحبها الشيخ حمد الجاسر يعد أمراً مهماً لما تقدمه من إسهام في مجال الدراسات التاريخية، إلا أنها تحتاج إلى دعم ومساندة من كل الكتّاب والباحثين. ويعدّ وجود الدكتور أحمد الضبيب في رئاسة تحريرها بالإضافة إلى هيئة تحرير تضم علماء مميزين في تخصصاتهم مكسباً للمجلة التي ظهر عددها الأول في رجب ١٣٨٦هـ، أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٦٦م، واستمرت على مدى السنين الماضية تقدم البحوث والدراسات والتعليقات التي تتصل بتاريخ الجزيرة العربية وتراثها.

الكعبة قبل الإسلام

أعــــاد الـنادي الأدبـي بمكـة المكرمـة طبـاعـة كتـاب «التـاريخ المفصّل للكعبــة المشرفـة قـبل الإسلام»، من تأليف عبدالقدوس الأنصـاري. وقـد تم الطبع في دار الحـارثي لـلنشــر والتــوزيع في الطائف.



غلاف الطبعة الأولى

يقع الكتـاب في ثمانيـة فصـول كـتبت بلغـة ميسرة وهي بحـوث مجمعة حـول الكعبـة المشرفة، تناول المؤلـف في الفصل الأول «أسماء الكعبـة المشرفـة قـبل الإسلام»، وفي الـفصل الثـاني «عمـارات الكعبـة قبل الإسلام»، وفي الفصل الثالث «الكعـبة معبد لا معبود قـبل الإسلام»، واستعرض في الفـصل الرابع «البحوث الـعلميـة التي كـشـفت لنا أن الكعبــة هي مـركـز الأرض»، وعدّد في الخامس «أوائل من كسوا الكعبة»، وتناول في السادس «هدايـا الكعبة وآثارها، ومعاليقها قـبل الإسلام»، وجاء السـابع عن «سدانة الكعبـة قبل الإسلام»، وخـتم الكتاب بالفصل الثـامن الذي جاء عن «آثار الـكعبـة وآثار حـولها قـبل الإسلام».

ويقع الكتاب في مئة وعشر صفحات من القطع المتوسط.

رحيل الأكاديمي (أبو لغد)

أبو لغد

توفي مـؤخـراً في مـدينة رام الله بالضفة الغـربية، بعد ٤٠ عامـاً في المنفى، الأكاديمي الفلسطيني البارز إبراهيم أبو لغــد أســتــاذ العلوم السياسيـة غير المتـفرغ بجامعـة نورثوسـترن بالـولايات المتحـدة عن عمـر يناهز ٧٢ عامـاً، ودفن بمقابر يافا. وقال أحد أحفاده: إن جده توفي على أثر إصابته بمرض في الرئة.

وكان أبو لغد قـد فرّ من مدينة يافا مسقط رأسـه خلال حرب عام ١٩٤٨م التي قام بعدها اليهـود باحتلال فلسطين، وعاد عام ١٩٩٢م، وشغل منصـب نائب رئيس جامعـة بيرزيت بالضـفة الغربية. وقد نعته الجامعة في مـوقعها على الإنترنت، ووصفته بأنه أحد أفضل الأساتذة الذين انضموا إليها.

صحيفة إنترنت عربية

عثمان العمير

انطـلق فـي ٢١ مــــايـو/ أيار الماضي البث التجـريبي لصحيفة «إيلاف». وقد أعلن مـؤسسـهـا عـثـمـان العـمـيـر، أن «إيلاف» صـحيفـة إنترنت يومـيـة عربيـة دولية تواصلية Interactive.

وتضم الصـحيفـة الإلكترونـية التي تصــدر من لندن، ويـشـرف على تحريرها فريق من الصحافيين المحترفين من ذوي الخبرة من مـخـتلف عـواصم العـالم، أبوابًا متنوعـة ومتخـصـصـة وعـصرية، تشـمل السـياسـة، والاقـتصـاد، والثـقافـة، والفن، والصـحــة، والرياضـة، والأزياء، والتـسليـة، والسـيـارات، والإنترنت، والمنوعات، بالإضافة إلى قسم خاص بالتحقيقات.

وتمتـاز هذه الصحـيفة بأنهـا تؤمن للمـتصـفح إمكان إبداء الرأي عـبـر المشـاركـة بالنقـاش والحـوار حول مـوضـوعـات الساعة. فـ «إيلاف» كما جاء فـي صحيفة الشرق الأوسط في عـددها رقم (٨٢١١): «هي مـوقع على الإنترنـت يتجـدد كل لحظة، ويقدم الخـبر مكتـوبًا أو مسمـوعاً أو متلفزاً، ويستـخدم أفضل التقـانة (التكنـولوجيا) وأحـدثها، بالإضـافـة إلى البث التلفـازي والإذاعي عـبـر الإنتـرنت Audio and Video Streaming مع آخـر مــا تـوصل إلـيـه الـتـقـدم الـتـقـانـي (التكنولوجي)، عبر تقنية الواقع الافتراضي Virtual Reality المستحدث من قبل Smart VR.

عنوان موقع «إيلاف» على الإنترنت:www. elaph. com

أمية عربية

في خبر أورده موقع «نسيج» الإخـبارية على الإنترنت جاء فيـه أن الدكتـور فيكتـور بله المدير الإقليمي لمكتب اليونسكو في بيـروت عـرض في ورقـة عـمل قـدمهـا ضـمن فـعـاليـات ندوة «التعليم الأساسي في الوطن العربي: آفـاق جديدة» التي نظمها «منتـدى الفكر العـربـي» في الأردن - التـحـديات الكبـرى التي تواجـه الـتعليم في الـوطن العـربي، ومن أبرزها توفـيـر فـرص الـتعليم لشـرائح أوسع من المجـتـمع، وتأمين الكفـاءة الداخليـة، وتحقـيق المواءمة والملاءمة للاحتـياجات، وتوفـير نوعيـة جـيدة، وتأمين الموارد الكافية، والإدارة الحسنة.

وبين الدكـتور بله في ورقـته الـتي حملت عنوان «الخـريطة

التعليمية في الدول العربية في بداية القرن الحادي والعشرين» أن هناك بعض الإحصاءات المتعلقة بالأمية والتعليم للطفولة المبكرة والتعليم الأساسي والثانوي والعالي يشير إلى أن هناك ٥٠ مليون أمي وأمية في خمس دول عربية فقط، وأن نسبة الأمية في مصر تشكل ١٧ في المئة، والمغرب ١٠ في المئة، والسودان ٧ في المئة، واليمن ٧ في المئة، وكذلك الجزائر.

وقال: إن حجم الأمية بين اليافعين والبالغين يعد المشكلة التربوية العربية الكبرى، إذ بلغ حجمها في مطلع القرن الحادي والعشرين أكثر من ٧٠ مليون أمي وأمية، وتشكل نسبتها ٣ر٤٠ في المئة، وتتراوح نسب الأمية عند الذكور بين ٦ في المئة و٤٨ في المئة، أما عند الإناث فهي بين ١٧ في المئة و ٧٧ في المئة.

وأكدت الورقة، ضرورة التنبه على الأمية العلمية والتقنية والوظيفية، فضلاً عن الأمية القرائية والحسابية، وأشارت إلى أن الالتحاق الإجمالي ببرامج الطفولة المبكرة مازال متدنياً جداً، وتبلغ نسبته في الوطن العربي ٣ر١٥ في المئة، وأكبر نسبة سجلت في الكويت ولبنان.

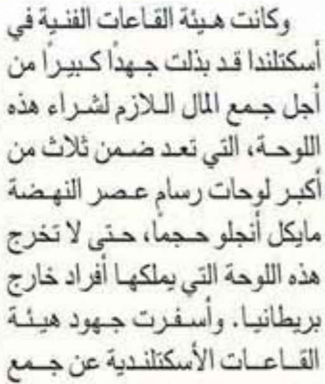
ووضحت الورقة أن عدم الالتحاق بهذه البرامج يؤثر سلبياً في الأداء المدرسي اللاحق للتلاميذ مما يتطلب وضع سياسات واضحة لتحفيز ذلك.

واستعرضت الورقة نسبة الالتحاق بجميع مراحل التعليم، والتفاوت بين الذكور والإناث، ومعدل الالتحاق بالصف الأول الابتدائي، مشيرة إلى أن أفضل نسبة التحاق هي في الأردن وفلسطين والإمارات وليبيا والعراق.

وبينت أن عدد الأطفال الذين لم يلتحقوا بالمدارس يبلغ الآن أكثر من ١١ مليون طفل، بينما كان ٤ر٩ ملايين عام ١٩٩٠م، و ٥ر١٠ ملايين عام ١٩٩٨م، واحتوت الورقة على معدل إعادة الصفوف في التعليم الابتدائي في بعض الدول، مبينة أن التفاوت في الكفاءة بين الدول - فيما يخص التعليم الابتدائي - ناتج من غياب الإحصاءات الدقيقة بشأن سائر مراحل التعليم.

امرأة صباحية

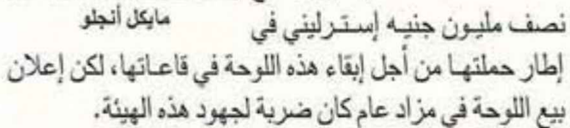
من المقرر أن تعرض في مزاد سوبثي للمزادات الفنية بلندن في ١١ يوليو/تموز القادم لوحة نادرة للرسام الإيطالي مايكل أنجلو بعنوان «دراسة لامرأة صباحية». وقد قدّر أن يصل سعرها إلى ٨ ملايين جنيه إسترليني.



وكانت هيئة القاعات الفنية في أسكتلندا قد بذلت جهداً كبيراً من أجل جمع المال اللازم لشراء هذه اللوحة، التي تعد ضمن ثلاث من أكبر لوحات رسام عصر النهضة مايكل أنجلو حجماً، حتى لا تخرج هذه اللوحة التي يملكها أفراد خارج بريطانيا. وأسفرت جهود هيئة القاعات الأسكتلندية عن جمع نصف مليون جنيه إسترليني في إطار حملتها من أجل إبقاء هذه اللوحة في قاعاتها، لكن إعلان بيع اللوحة في مزاد عام كان ضربة لجهود هذه الهيئة.



مايكل أنجلو





سماء ورمال



يقام حالياً ،في متحف جنتي بمنطقة فال دي مارن الفرنسية، معرض للصور بعنوان «فلسطين بين السماء الزرقاء ورمال الذكريات»، يضم مجموعة كبيرة من الصور التي قام بإعدادها المصور الفلسطيني فايز نور الدين الذي عمل مصوراً بوكالة الأنباء الفرنسية سبع سنوات، والمصور الفرنسي جوس داري، والمصور البريطاني جون تورداي، وقد عكست الصور المعروضة الحالة الراهنة التي تعيشها الأراضي الفلسطينية في غزة والضفة الغربية خلال الأشهر السبعة الأخيرة للانتفاضة، والمآسي التي تعاني منها الأسرة الفلسطينية في الأراضي المحتلة. وقد عقدت على هامش المعرض، الذي يستمر حتى أول يوليو/تموز القادم، لقاءات ومناقشات في تاريخ فلسطين.



من صور المعرض

الأمريكيون يخسرون

خسر الأمريكيون صفقة أدبية ثمينة خلال المزاد العلني الذي نظمته دار (كريستيس) مؤخراً في العاصمة الفرنسية باريس، وأخفقوا في الحصول على المخطوطة الأصلية لأول رواية كتبها

الروائي الفرنسي لويس سيلين قبل ٧٠ عاماً (١٩٣٢م)، وكانت بعنوان «رحلة إلى آخر الليل»، وفازت بالصفقة المكتبة الوطنية الفرنسية. وتعود أسباب خسارة الأمريكيين إلى عملية تمويه مارسها القائمون على المكتبة، فقد أنابوا السيدة ناهد طلاس، أرملة رجل الأعمال الراحل أكرم عجة، وابنة وزير الدفاع السوري العماد مصطفى طلاس، دخول المزاد نيابة عن المكتبة حتى تبقى المخطوطة في فرنسا، ولا تذهب إلى أمريكا، فدفعت السيدة ناهد مبلغ ١١ مليون و١٨٤ ألف فرنك فرنسي أي مليون و٤٨٠ ألف دولار، وهو يعد أكبر مبلغ يدفع حتى الآن لتحفة أدبية، دون أن تكون هي الشارية فعلاً.

وقد فات على الأمريكيين الذين دخلوا المزاد أن السيدة ناهد عضو في مجلس إدارة المكتبة الوطنية الفرنسية التي لو شارك مديرها العام في المزاد، أو سواه من المسؤولين في المكتبة، لما سمح الأمريكيون ببقاء التحفة في فرنسا، بل لزادوا وزادوا حتى ينتهي المزاد لمصلحتهم، بينما كان المبلغ الفرنسي المخصص للشراء محدوداً.

اكتشافات أثرية في الصين


آثار صينية

كشف خبراء معهد البحوث الأثرية بمقاطعة تشجيانج في شرق الصين النقاب عن أن فريقاً من الأثريين المحليين اكتشف أخيراً أكبر مجموعة من القبور القديمة العائدة للقبائل في أواخر فترة حضارة ليانجتشو (٣٣٠٠ - ٢٢٥٠) قبل الميلاد في قرية وانلي التابعة لمدينة تونجشيانج بالمقاطعة. وبدأ التنقيب الأثري في هذه القبور في أواخر شهر مارس/آذار الماضي، واكتشف الأثريون ٤٧ قبراً قديماً على مساحة ١٨٠٠ متر مربع، من بينها أكثر من ٤٠ قبراً تنتسب إلى أواخر فترة ليانجتشو، وهي أكبر مجموعة من القبور المكتشفة والمنتمية إلى حضارة ليانجتشو حتى الآن.

المسابقة العاشرة لنادي المنطقة الشرقية الأدبي

أعلن نادي المنطقة الشرقية الأدبي عن مسابقته العاشرة لهذا العام ١٤٢٢هـ في مجالات: الشعر، والقصة، والبحث. وهي مفتوحة للسعوديين وغيرهم من المقيمين في المملكة. ومن شروطها:

- أن تكون الأعمال المقدمة مكتوبة باللغة العربية الفصحى، ولم يسبق نشرها، ولم يسبق فوزها في مسابقة أخرى.
- لا يجوز للمتسابق أو المتسابقة أن يتقدم في أكثر من مجال.
- لا يجوز للمتسابق أو المتسابقة أن يتقدم بأكثر من عمل في المجال الواحد.
- الأعمال التي ترد إلى النادي يجب أن تكون بخط واضح أو مطبوعة، وأن يرسل الأصل مع صورتين.
- جميع الأعمال التي ترد إلى النادي لا تعاد إلى أصحابها سواء فازت أو لم تفز.
- الأعمال الفائزة تصبح من حقوق النادي، ولا يجوز نشرها لغيره.
- تسلم الأعمال المقدمة للمسابقة إلى إدارة النادي مباشرة، أو ترسل إليه على صندوق البريد ٨٤٣٨ - الدمام، الرمز البريدي ٣١٤٨٢ بعد أن يكتب الاسم والعنوان كاملاً على الظرف كما يجب أن يكتب عليه عبارة «مسابقة نادي المنطقة الشرقية الأدبي العاشرة».
- ترفق بالأعمال المقدمة للمسابقة صورة من البطاقة الشخصية أو الإقامة، ولن ينظر إلى الأعمال التي لا ترفق بها صور هذه الوثائق.
- آخر موعد لقبول الأعمال المشاركة نهاية شهر رجب ١٤٢٢هـ، ولن ينظر إلى الأعمال التي تصل بعد هذا التاريخ.

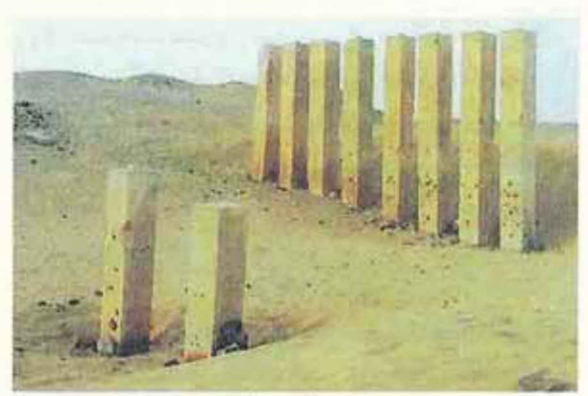
جوائز المسابقة:

يخصص لكل مجال من مجالات المسابقة ثلاث جوائز على النحو الآتي:

الجائزة الأولى ألفا ريال، والجائزة الثانية ألف وخمسمئة ريال، والجائزة الثالثة ألف ريال.

متحف للعملات القديمة

ينوي البنك المركزي اليمني إنشاء متحف صغير خاص بالعملات اليمنية القديمة يكون نواة لمتحف شامل في المستقبل. ومن المقرر أن يحتوي هذا المتحف على عملات قديمة تمثل ثلاث حقب تاريخية، تبدأ بالعصر السبئي والحميري ثم العصر الإسلامي، وصولاً إلى العصر الحديث، ويملك البنك المركزي اليمني نماذج من هذه العملات، ويحاول الحصول على نماذج إضافية منها من بعض الجهات، وكذلك من المواطنين.



محرم بلقيس ـ مأرب

من ناحية أخرى، اقتنت الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات اثنتي عشرة لوحة مرمرية، وجدت بخربة سعود بمحافظة الجوف جنوب غرب العاصمة صنعاء في مدينة كلثم القديمة، عليها نقوش وزخارف وكتابات بخط المسند، كما نحتت على تلك الألواح أشكال لبقر الوحش، ومن المحتمل أن هذه الألواح كانت تشكل حزاماً زخرفياً لأحد معابد (المقة) أكبر آلهة السبئيين قديماً، وهذا الموقع يعد من أكثر المواقع التي تحتوي على آثار السبئيين ونقوشهم.

طبعة جديدة لمعجم البابطين



عبد العزيز البابطين

حددت مؤسسة البابطين للإبداع الشعري الحادي والثلاثين من شهر مايو/أيار الماضي آخر موعد للشعراء الذين ستحتويهم الطبعة الجديدة من معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين التي تعتزم المؤسسة إصدارها العام الحالي بمناسبة اختيار الكويت عاصمة للثقافة العربية هذا العام. وقال عبدالعزيز سعود البابطين رئيس هيئة المعجم: إن هذه الطبعة سوف تصدر بشكلين: ورقي وإلكتروني على قرص ليزر وتتاح على الإنترنت.. ويبلغ عدد الشعراء في الطبعة الجديدة حتى الآن ٤١١٩ شاعراً.

مسابقة نادي أبها

يقيم نادي أبها الأدبي مسابقته الثقافية رقم (٣٣)، وهي مفتوحة للسعوديين والعرب والمقيمين من الجنسين، وتتكون موضوعاتها من: ثلاث قصائد جديدة، وثلاث قصص قصيرة جديدة.

ومن شروط المسابقة:

- يطبع النص بشكل واضح، ويرسل منه ثلاث نسخ.
- يجوز للقادرين المشاركة في الشعر والقصة معاً.
- ينال النص الفائز جائزة نقدية، وشهادة تقديرية.
- تنظم للفائزين أمسية شعرية، وأخرى قصصية.
- تنظم قراءتان نقديتان لكل من الشعر والقصة.
- تطبع النصوص الفائزة في دورية النادي (بيادر).
- تسلم النصوص لإدارة النادي أو ترسل بريدياً (ص.ب ـ ٤٧٨ ـ أبها) في موعد أقصاه نهاية شهر رجب ١٤٢٢هـ.

رحيل بيير فيرسان

ودعت فرنسا مؤخراً الروائي الفرنسي بيير فيرسان عن عمر يناهز ٧٨ عاماً بعد معاناة طويلة مع المرض الذي أصاب رئتيه، ويعد بيير، واسمه الحقيقي جاك شامسون، أحد أبرز كتّاب الرواية في مجال روايات الخيال العلمي في العصر الذهبي للرواية الفرنسية.

وقد أصدر بيير كثيراً من الروايات منها: «النيران الصناعية»، و«الأستاذ»، و«النجوم لا تنطفئ»، و«إلى كوكب المريخ»، بالإضافة إلى روايات أخرى كان الكاتب قد نشرها في مجلة الخيال العلمي، كما ألّف بالاشتراك مع مارتان تومي عدداً من الروايات من بينها رواية «جواز سفر إلى المجهول» التي أذيعت من خلال محطة إذاعة جنيف.

الحوار بين الحضارات

(الحوار بين الحضارات ـ بولندا وعالم الإسلام) هو عنوان المؤتمر الذي عقد في ١٩ مايو/أيار الماضي في وارسو في القاعة الكبرى بجامعة وارسو، وبحضور ممثلي رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والنواب وشيوخ البرلمان والعلماء والمستشرقين. وألقى وزير الخارجية البولندي البروفيسور فلاديسلاف بارتوشيفسكي كلمته في الجلسة الافتتاحية أكد فيها أهمية العلاقات بين بولندا والدول الإسلامية، ورغبة بلاده في تقوية التعاون القائم معها في المجالات كافة، كما أشار إلى تنشيط الاتصالات المتبادلة في الآونة الأخيرة بين بلاده وعدد من الدول الإسلامية.

وقال: إن بولندا تسعى في علاقاتها مع الدول الإسلامية إلى المعرفة الأحسن، وذلك عن طريق تطوير السياحة، وتبادل الأشخاص، والتعاون الثقافي والعلمي، والاتصالات

المباشرة بين الجامعات والمراكز العلمية، وتنظيم الفعاليات العلمية والفنية، وغيرها من النشاطات في هذا السبيل. وأشار الوزير في كلمته إلى العلاقات المتميزة والمتطورة مع المملكة العربية السعودية وهي أرض الإسلام، وذكر إقامة السفارة البولندية في الرياض قبل ثلاث سنوات وافتتاح السفارة السعودية في وارسو المتوقع خلال الأسابيع القادمة.

وقال الوزير: إن البولنديين يحترمون القيم الدينية الإسلامية، وإن المسلمين البولنديين - وأغلبيتهم من الأصل التتري - يتمتعون منذ ٦٠٠ سنة بحرية الدين والعبادة. وأشار إلى أهمية زيارة البابا يوحنا الثاني، وهو بولندي الجنسية، للمسجد الأموي في دمشق مؤخراً لتطور الحوار الحضاري بين الأديان السماوية.

سرقة «ذهب مع الريح»



المؤلفة بين أبطال الفيلم الشهير

رفع وكلاء قانونيون يمثلون ورثة الكاتبة الأمريكية الراحلة مارجريت ميتشل مؤلفة الرواية الشهيرة «ذهب مع الريح» دعوى قضائية ضد الكاتبة آلس راندل مؤلفة رواية «ذهبت الريح وانتهت» يتهمونها بالتعدي على حقوق التأليف والتي يضمنها القانون لصاحبة الرواية الأصلية، ويطالبون بمنع توزيع رواية «ذهبت الريح وانتهت» التي من المقرر أن توزع خلال شهر يونيو/حزيران» الحالي.

وأنكرت راندل هذه التهمة، ودافعت بأن روايتها ليست سوى عمل مستوحى ومستلهم من الرواية الأصلية «ذهب مع الريح»، وأنها لم تسط على الحقوق الأدبية للكاتبة الراحلة، ولكن محامي الورثة يقول: «إن راندل سرقت الشخصيات الرئيسة الموجودة في العمل الأصلي، بل جاءت سرقاتها بالجملة».

وقد تضامنت عشرون شخصية فنية وأدبية مع راندل، على رأسهم توني موريسون الروائية الحائزة على جائزة نوبل للآداب، والروائي هاربر لي، وبات كونري، والموسيقي ستيف إيرل، والمؤرخ الحربي الأمريكي شيلبي فوت، وغيرهم.

مخطوطات لبنانية

فرغ معهد المخطوطات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومقره القاهرة من فهرسة عدد كبير من المخطوطات التي قامت بعثته بتصويرها من مكتبة المعهد العالي في لبنان وبعض المكتبات الخاصة، وأصبحت هذه المخطوطات، أول مرة، جاهزة في خدمة الباحثين والمحققين العرب.

وقد بلغت المخطوطات المصورة ٣٤٠ مخطوطة، منها ٣٠٢ مخطوطة من مكتبة المعهد العالي، و ٣٨ مخطوطة من مكتبات خاصة، كما قامت البعثة أيضاً بإعداد تقرير شامل عن حالة معهد المخطوطات في المعهد العالي تمهيداً لوضع خطة لإنقاذه بترميمه وصيانته في مشروع مستقل من مشروعات المعهد المستقبلية، أو في إطار دعم من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

وكان من أهم المخطوطات التي تم تصويرها من لبنان: «الكواكب السبعة السيارة»، وهي تحوي سبع موشحات لستة شعراء أندلسيين، و«شرح العقائد النسفية» لسعد الدين التفتازاني، و«تفسير أبي الليث السمرقندي»، و«شرح ألفية ابن مالك» لابن الناظم، و«التنسيب في الطب» لخير الله بن صالح، و«الأرجوزة السينائية في الطب» لابن سينا، و«بديعية السيدة عائشة بنت يوسف الباعونية»، و«القول الوافي بشرح الكافي» لعبد البر بن عبدالكافي الفيومي.

جرش في موعده

تحت رعاية الملكة نور الحسين تنطلق يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر يوليو/تموز القادم فعاليات مهرجان جرش لهذا العام. وكان قد أشيع من قبل أن المهرجان لن يقام هذا العام، ولكن رئيسة اللجنة العليا للمهرجان ليلى شرف نفت هذه الشائعات، وأكدت قيام المهرجان في موعده.

وأعلن عبدالرحيم غنام مدير العلاقات العامة للمهرجان أن احتفالات المهرجان هذا العام ستكون مختصرة على مسرحين فقط هما المسرح الجنوبي والمسرح الشمالي، وأوضح أن هذا الاختصار جاء لعدة أسباب أهمها الأحداث التي تشهدها الأراضي المحتلة، بالإضافة إلى تخفيض مديونية المهرجان الذي تعاني ميزانيته من عجز خلال السنوات الثلاث الماضية.

النخب في المغرب العربي

بدعوة من مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات بزغوان التونسية تم في الفترة من (١٢ - ١٤أبريل/نيسان ٢٠٠١م) عقد المؤتمر الرابع لمنتدى التاريخ المعاصر حول موضوع «النخب في المغرب العربي»، وقد افتتح المؤتمر كل من الأستاذ عبدالجليل التميمي، والدكتور دايفيد روبار الممثل الدائم لمؤسسة كونراد أديناور بتونس والجزائر، والأستاذ أحمد جدي من جامعة سوسة، وبحضور ٣٨ مشاركاً من عدة مؤسسات جامعية، ومراكز بحث من كل من ألمانيا، والإمارات العربية المتحدة، وتونس، والجماهيرية الليبية، والجزائر، والعراق، والمغرب الأقصى، وموريتانيا، وقد تم خلال تسع جلسات علمية تقديم محاضرتين افتتاحيتين، وكذا عشرين محاضرة تم فيها استعراض كثير من إشكاليات ملف النخب في الفضاء الجغراسياسي المغاربي ماضياً وحاضراً. وقد توقف الباحثون حول مختلف تعريفات النخب، وتشكلها ومفاهيمها، وأدواتها، وثقافتها، وطبيعة الثقافة السياسية وآليات المؤسسات التشريعية والتربوية، والدينية، ونوعية العلاقات القائمة بين النخب التقليدية والحديثة، ودور النخب في البناء السياسي والاجتماعي والفكري لدول المغرب العربي، وآليات صنع القرارات العليا، بعيداً عن الهياكل التنفيذية. كما حلل المشاركون علاقات السلطات والأحزاب المغاربية لمختلف النخب وسعيها تارة لاحتوائها وطوراً لتهميشها وإقصائها من حلبة التأثير المباشر في الاختيارات الحاسمة السياسية والاقتصادية والمعرفية، مما دفع بجزء مهم من النخب المغاربية، على اختلاف اختصاصاتها العالية، إلى الهجرة إلى الخارج، وهو ما ألحق الضرر بالمجتمعات المغاربية منذ استقلال دول المغرب العربي.

وقد تميزت المداولات جميعها بإقامة حوار مفتوح وصريح وغني ومسؤول، وهذا ما جعل المشاركين ينوهون بمناخ الحرية الأكاديمية المطلقة التي تمتعوا بها، لمعالجة جميع القضايا المعروضة للنقاش.

أدباء نهاية القرن العشرين



محمود قاسم

صدرت عن الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة في بداية العام الحالي «موسوعة أدباء نهاية القرن العشرين» من إعداد محمود قاسم.

والموسوعة، وهي الأولى من نوعها عربياً، تحتوي على ٦٦٦ أديباً من شتى أنحاء العالم تم ترتيبهم حسب اسم العائلة للكاتب، وتبدأ بـ «جون أبدايك» وتنتهي بـ «ريتشارد ييتسي».. والموسوعة تعد جديدة في صورتها بسبب تنوع الأسماء المذكورة، والتي تمثل أجيالاً واتجاهات متعددة من مختلف القارات، وبسبب المساحة المكتوبة عن كل مبدع في الشعر والقصة القصيرة والرواية والمسرح والنقد. وتتضمن الموسوعة أسماء عربية سواء كانت تكتب باللغة العربية أو باللغات الأجنبية خاصة الإنجليزية والفرنسية، ويأتي في مقدمة هذه الأسماء: نجيب محفوظ (مصر)، الطاهر بن جلون (المغرب)، رشيد بوجدره (الجزائر)، جبرا إبراهيم جبرا (فلسطين)، جورج شحادة (لبنان)، وغيرهم. ومن الأسماء العالمية التي جاءت في الموسوعة: كوبي آبي، وفرناندو آرابال، ويوجين أونسكو، وأمبرتو إيكو، وأوكتافيوباث، وخورخي لويس بورخيس، وجاك بيرك، وصمويل بيكيت، ونادين جورديمر، وجان جينيه، وسيمون دي بوفوار، وسلمان رشدي، وول سونيكا، وجابرييل جارثيا ماركيز، وهنري ميللر، وآرثر ميللر، وألبرتو مورافيا.. وغيرهم.

روائع تراثية

أعلن رئيس منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) كويتشيرو ماتسورا يوم الجمعة ١٩مايو /أيار الماضي أسماء ١٩ إرثاً إنسانياً شفوياً غير مادي خلال حفل أقيم في مقر المنظمة في باريس. وكانت اليونسكو حتى الآن حريصة على تمييز مواقع طبيعية أو ثقافية، بينما سيضاف إلى هذه المواقع من الآن فصاعداً الإبداعات الشفهية، والإرث غير المادي.


كويتشيرو ماتسورا

وقد تم اختيار هذه الأشكال من خلال لجنة تحكيم دولية ضمت في عضويتها الأميرة الأردنية بسمة بنت طلال، ويرأسها الكاتب الإسباني خوان جويتيسولو. وتناولت اللجنة بالدراسة أكثر من ثلاثين ترشيحاً لمواقع عالمية وأشكال غير مادية للتعبير الشفهي، فقد وقع اختيارها على أكثر من حيِّز مثل أقدم أوبرا في الصين، ومسرح الدمى في صقلية، والكرنفال الإنديزي في بوليفيا، والأناشيد في جورجيا والفلبين، ومن معالم العالم العربي ساحة جامع الفنا في مدينة مراكش المغربية التي تحتضن عشرات المقرئين والمنشدين والرواة والحواة.

وقد قصدت اليونسكو بهذه الخطوة إلى لفت الانتباه إلى أهمية التراث غير المكتوب أو المسجل لكونه عنصراً أساسياً من عناصر التنوع الثقافي، وقال مدير المنظمة: «إن هذا الاختيار ليس سوى خطوة أولى، وإن هناك عملاً إضافياً سيجري إنجازه على المدى البعيد استكمالاً لاتفاقية حماية التراث العالمي التي جرى التوقيع عليها قبل ثلاثة عقود».

ومن المقرر أن تجري الدورة القادمة لإعلان روائع التراث الشفهي بعد عامين، ويحق لكل دولة التقدم بترشيح واحد، يعرض على المجالس الفنية العالمية المتخصصة، قبل أن يعرض على لجنة التحكيم.

الهند تودع نارايان

نارايان

توفي، مؤخراً، في أحد مستشفيات مدينة مدراس الهندية، عن عمر يناهز ٩٤ عاماً - الكاتب الهندي رسيبورام كريشناوامي نارايان، الذي يعد أحد أشهر الكتاب الهنود الذين كتبوا باللغة الإنجليزية.

ولد نارايان في مدراس في ولاية كارناتاكا جنوب الهند، وبدأ بكتابة أول أعماله عام ١٩٣٣م، وأعد ١٤رواية تناول فيها حياة الطفولة في ولاية كارناتاكا حيث كان يعيش، كما كتب كثيراً من القصص القصيرة وقصص الرحلات، بالإضافة إلى مذكراته التي كتبها عام ١٩٧٤م بعنوان «أيامي»، وقد ترجمت إلى اللغة الفرنسية تحت عنوان «مذكرات رجل من جنوب الهند»، وتميزت شخصياته الروائية بالدعابة وروح التعاطف، وهي من سمات الطبقة الوسطى في المجتمع الهندي. وكانت تربطه علاقة صداقة وطيدة مع الكاتب البريطاني جراهام جرين استمرت خمسين عاماً، وانتهت بوفاة الأخير عام ١٩٩١م.

الرهينة


إميلي نصر الله

شهد المركز الثقافي العربي السويسري مؤخراً، لقاء ضم الروائية اللبنانية إميلي نصر الله وعدداً من المفكرين والأدباء في أمسية قراءات وحوار ثقافي باللغتين العربية والألمانية، بمناسبة صدور الطبعة الألمانية من روايتها «الرهينة» الصادرة عن دار لينوس السويسرية. قدمت الكاتبة مختارات من روايتها بالعربية صاحبتها في الترجمة الألمانية المترجمة الفلسطينية دنيا رافل، ثم أعقب ذلك حوار مع الحضور أجابت فيه الكاتبة عن عدد من الأسئلة. ومن خلال إجاباتها عن بعض الأسئلة أوضحت الكاتبة أن هناك ثالوثاً يحكم أعمالها الروائية القصصية، وهو المرأة والغربة والحرب، كما أوضحت أيضاً أنها لم تخرج من وطنها لبنان إلا عندما قصف الإسرائيليون بيتها، وأحرقوا مكتبتها ومخطوطاتها التي لم تنشر، وضاعت إلى الأبد، وكان ذلك عام ١٩٨٢م في أثناء اجتياحهم لمدينة بيروت، فانتقلت إلى القاهرة، وبقيت هناك بضعة أعوام عادت بعدها إلى بيروت.

وقد اهتمت وسائل الإعلام السويسرية بهذه الفعالية، كما أقامت الكاتبة فعاليات أخرى في جنيف وبيرن.

المستقبل اليوم

تحت شعار «أصنع المستقبل اليوم»، احتفلت المنظمة العالمية للملكية الفكرية في ٢٦ أبريل/نيسان الماضي باليوم العالمي الأول للملكية الفكرية، وهو يمثل اليوم الذي دخلت فيه اتفاقية إنشاء المنظمة العالمية للملكية الفكرية حيز التنفيذ عام ١٩٧٠م.

وترمي هذه المنظمة (الوايبو) إلى تقديم المساعدة من أجل ضمان حماية حقوق المبدعين، وأصحاب الملكية الفكرية في

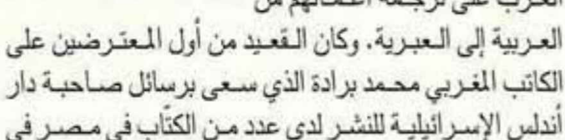
جميع أنحاء العالم، ويبلغ عدد الدول الأعضاء في المنظمة ١٧٥ دولة، أي ما يزيد على ٩٠٪ من مجموع بلدان العالم، وتدير ٢١ معاهدة، منها ١٥ معاهدة تختص بشأن الملكية الصناعية، و ٦ معاهدات بشأن حق المؤلف، وتعدّ اتفاقية باريس بشأن حماية الملكية الصناعية عام ١٩٨٣م، واتفاقية برن بشأن حماية المصنفات الأدبية والفنية عام ١٩٨٦م أهم الاتفاقيات التي تديرها المنظمة، ويمثلان حجر الأساس بالنسبة إلى نظام معاهدات (الوايبو)، وما تلا ذلك من معاهدات أدت إلى توسيع الحماية المقدمة مع مراعاة التغيرات في المجالات التكنولوجية، والممارسات التجارية، والاستجابة للمشاغل في مجالات معينة، مثل: المعارف التقليدية والفلكلورية، والتنوع البيولوجي والبيوتكنولوجيا، وأهم هذه الاتفاقيات اتفاقية روما بشأن حماية فناني الأداء، ومنتجي التسجيلات الصوتية وهيئات الإذاعة، واتفاقية جنيف بشأن حماية منتجي الفوتوغرافات، ومعاهدات نيروبي بشأن حماية الرمز الأولمبي، ومعاهدات مدريد بشأن جمع بيانات مصدر السلع الزائفة والمضللة، ومعاهدات قانون العلاقات عام ١٩٩٤م، وغير ذلك من المعاهدات.

وترتبط هذه المنظمة مع منظمة التجارة العالمية بعلاقة وثيقة، فقد وقع الجانبان اتفاقًا بينهما دخل حيّز التنفيذ في يناير/كانون الثاني عام ١٩٩٦م ينص على التعاون على تنفيذ اتفاق تريبس (اتفاق حقوق الملكية الفكرية المتصلة بالتجارة)، وتبليغ القوانين واللوائح، وتوفير المساعدة القانونية والتقنية والتعاون التقني لمصلحة البلدان النامية.

يوسف القعيد ينكر!!

يوسف القعيد

أنكر الأديب المصري يوسف القعيد ما جاء بخط يده في إجاباته عن أسئلة صحيفة الوطن السعودية متهمًا إياها بنشر غير الذي قاله. وكانت الوطن قد أجرت لقاءً صحفيًا مع القعيد على خلفية طرحها لموافقات بعض الكتّاب العرب على ترجمة أعمالهم من



العربية إلى العبرية. وكان القعيد من أول المعترضين على الكاتب المغربي محمد برادة الذي سعى برسائل صاحبة دار أندلس الإسرائيلية للنشر لدى عدد من الكتّاب في مصر في محاولة للحصول على موافقتهم على الترجمة.

وجاء في إجابات القعيد أن «الناشرة الإسرائيلية قابلت برادة في إسرائيل واتفقت معه هناك». لكنه اكتشف أنه أخطأ في تلك العبارة حين أوضح برادة عدم صحة ذلك الادعاء، وعدّه اتهامًا له بالسفر إلى إسرائيل، علمًا بأن الحوار لم يتضمن كلمة (السفر) من قبل القعيد، إلا أن كلمتي «إسرائيل» و«هناك» أوحتا إلى برادة بذلك، فاستنكر ذلك في صحيفة الوطن، وأرسل إلى صحيفة أخبار الأدب المصرية موضحًا أسفه عن الأقوال غير الصحيحة التي أوردها القعيد عنه.

ولم يجد القعيد أمامه لتصحيح موقفه والاعتذار من برادة إلا اتهام صحيفة (الوطن) بنشرها غير الذي قال، وأعلن عن صفحات صحيفة أخبار الأدب المصرية عن استعداده لتكذيب ما نشرته الوطن.

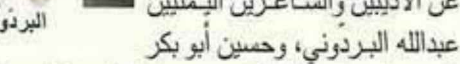
ونصحت الصحيفة الكاتب القعيد أن يبحث عن طريقة أخرى لتصحيح موقفه من برادة، كالاعتذار المباشر أو التراجع أو التعلل بأي وسيلة غير الطعن في نزاهة الصحيفة التي نشرت حديثه بكل أمانة، مشيرة إلى أن إجاباته موثقة بخط يده.

المحضار والبردّوني في مهرجان



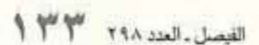
البردّوني

شهدت فعاليات المؤتمر الثامن لاتحاد الأدباء والكتّاب اليمنيين الذي عقد مؤخرًا افتتاح المهرجان الثاني للأدب اليمني. وقد جاء المهرجان في ٤ محاور أدبية، منها محوران شملا دراسات وأبحاثًا عن الأديبين والشاعرين اليمنيين



عبدالله البردّوني، وحسين أبو بكر المحضار. وقد شارك في محور الشاعر المحضار الدكتور عبدالله حسين البار، والدكتور عبدالعزيز سعيد الصيغ، والأستاذ نجيب سعيد باوزير، واشتمل محور الشاعر البردّوني على جلستين شارك فيهما عدد من الباحثين والأدباء المحليين والعرب العاملين في الجامعات اليمنية.

وقد أعدت نشرة «الفكر»، وهي نشرة فصلية ثقافية تصدرها جمعية المؤرخ سعيد عوض باوزير الثقافية في المكلا، ملفًا خاصًا في الذكرى الأولى لرحيل الشاعر حسين أبو بكر المحضار تناول فيه الكتّاب حياة المحضار وشعره تحت عدة عناوين منها: «الشاعر في سطور»، و«بعض ما قاله



المحضار»، و«المحضار وما كتبه من شعر عن الوحدة»، و«البيئة المحلية في شعر المحضار»، و«القاسم المشترك بين المعري وحسين المحضار في أدب البيئة وأصول اللياقة»، وغير ذلك من الموضوعات.

وفاة فنان الكاريكاتير بهجت عثمان

توفي في القاهرة في أول أيام شهر يونيو/حزيران الحالي الفنان بهجت عثمان عن عمر يناهز ٧١ عاماً بعد إصابته بمرض السرطان.

تخرج الفنان الراحل في كلية الفنون الجميلة عام ١٩٥٤م، واشتغل بتدريس الرسم للأطفال مدة عامين اتجه بعدهما إلى العمل بالصحافة، فقد عمل في مجلتي «روز اليوسف» و«صباح الخير» ثم «المصور» بدار الهلال، كما عمل فترة بصحيفة «المساء».

بهجت عثمان

وقد عرف عن بهجت عثمان تعليقاته اللاذعة، ورسومه الكاريكاتيرية المعبرة التي هاجم فيها الحكومات والدكتاتوريات في العالم الثالث، وقد اكتسبت شخصيته (بهجاتوس) الكاريكاتيرية التي ابتكرها الفنان الراحل شهرة واسعة في أوساط الفنانين والقراء.

واتجه الفنان الراحل في العقد الأخير إلى الرسم للأطفال، وظهرت له كتابات ورسوم في ملحق «شباب» في «الحياة» في زاوية عنوانها «أحلام صغيرة». ومن مؤلفاته: «ديكتاتورية للمبتدئين: جمهورية بهجاتوس العظمى»، و«رفاق سلاح».

جائزة الإيسيسكو لمحو الأمية

خصصت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - جائزة لمحو الأمية في إفريقية، تمنح لمنظمة غير حكومية تتوافر لها مراكز ومواد تعليمية وبرامج لمحو الأمية تعمل في الدول الإفريقية الأعضاء الناطقة بالفرنسية، على أن تخصص الجائزة نفسها للدول العربية الأعضاء في العام القادم، وللدول الأعضاء الناطقة بالإنجليزية في عام ٢٠٠٣م.

وسيعلن عن الفوز بجائزة الإيسيسكو لمحو الأمية، في اليوم العالمي لمحو الأمية الذي يصادف يوم ٨ سبتمبر/أيلول القادم.

وتتولى اللجان الوطنية للتربية والعلوم والثقافة في الدول الأعضاء، ترشيح المنظمات غير الحكومية التي ستختار من بينها لجنة من الإيسيسكو المنظمة الفائزة وفقاً للشروط المحددة.

وتدخل جائزة الإيسيسكو لمحو الأمية للمنظمات غير الحكومية في الدول الأعضاء، في إطار الجهود التي تبذلها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة للمساعدة على القضاء على آفة الأمية، وتشجيع الجهود الحكومية والأهلية في هذا المجال من خلال تقديم الدعم الفني والمالي لبرامج محو الأمية، وتشجيع المبادرات الأهلية في هذا الميدان.

ونوس في ذكراه الرابعة



سعدالله ونوس

بحضور ١٥ ألف شخص احتفلت بلدة حصين البحر في سورية في الأول من يونيو/حزيران الحالي بالذكرى السنوية الرابعة لرحيل الكاتب السوري سعدالله ونوس، ويجيء هذا الاحتفال تقليداً أرسته زوجته الفنانة فايزة الشاويش.

وقد حضر الاحتفال، الذي جاء تحت شعار «عند سعدالله نلتقي»، عدد من الفنانين والأدباء والشعراء يمثلون الطيف الثقافي والسياسي السوري، بالإضافة إلى حشد فلسطيني متميز، وصاحب الاحتفال جمع التبرعات تضامناً مع الانتفاضة. كما قدم في الاحتفال كثير من الفقرات، فقد قرئت رسائل تحيي ذكرى ونوس من الشعراء عزمي بشارة، ومحمود درويش، وسميح القاسم، ومريم أبو دقة، بالإضافة إلى رسائل من الفنانة اللبنانية نضال الأشقر، وشباب الجولان المحتل.

ولد الكاتب الراحل سعد الله ونوس في بلدة حصين البحر في عام ١٩٤١م، ورحل عن الدنيا في عام ١٩٩٧م، وهو كاتب مسرحي، له مسرحيات كثيرة، منها: «حفلة سمر من أجل ٥ حزيران» عام ١٩٦٨م، و«الملك هو الملك» عام ١٩٧٧م، و«سهرة مع أبي خليل القباني» عام ١٩٧٣م، و«منمنمات تاريخية»، و«طقوس الإشارات والتحولات» عام ١٩٩٤م، وغيرها من المسرحيات، وكان آخر أعماله مسرحية «الأيام المخمورة» التي نشرت قبل رحيله بشهرين، وقد أسس في أواخر السبعينيات بالتعاون مع المخرج فواز الساجر المسرح التجريبي في سورية، وقدما كثيراً من الأعمال المسرحية المتميزة، وقد كلف ونوس بكتابة يوم المسرح العالمي في ٢٧ مارس/آذار عام ١٩٩٦م تقديراً لمكانته ودوره في الحركة المسرحية.

رحيل أنطوني كوين



أنطوني كوين على يمين الصورة في فيلم «لورانس العرب»

توفي في الثالث من يونيو/حزيران الحالي في أحد مستشفيات مدينة بوسطن الأمريكية الممثل الأمريكي الشهير أنطوني كوين عن عمر يناهز ٨٦ عاماً، قضى منها ٦٠ عاماً في مهنة التمثيل، وخلّف وراءه أكثر من ثلاثمئة فيلم، وعدداً من المسرحيات.

ولد أنطوني رودولف كوين في ٢١ أبريل/نيسان عام ١٩١٥م في المكسيك لأبوين من أصل إيرلندي وهندي أزتكي «الأزاتكة هم حكام المكسيك قبل أن يفتحها الإسبان عام ١٥١٩م»، ونشأ كوين فقيراً معدماً في لوس أنجلوس، وكان يعمل ماسح أحذية، وعامل مزرعة، وجزاراً، وواعظاً في الشوارع، وعاملاً في خلط الإسمنت، ثم ملاكماً مدة عامين، لعب فيهما ١٦ مباراة، اتجه بعدهما إلى التمثيل، وسافر إلى هوليود، فانضم إلى ممثلين يقومون بأدوار الهنود الحمر، ثم صبر حتى عام ١٩٥٢م حين واتته الفرصة عندما أدى دوراً ثانوياً أبرز فيه مواهبه الفنية لينال اعتراف الجمهور بقدراته ومواهبه، ويحصل على جائزة أوسكار عن أفضل دور ثانوي، ثم توالت بعد ذلك نجاحاته الفنية.

وجاءت شهرة أنطوني كوين عربياً عن دوره في ثلاثة أفلام هي: «الرسالة»، و«لورانس العرب»، و«عمر المختار» عندما جسّد دور المجاهد الليبي عمر المختار وهو يحارب الإيطاليين في ليبيا.

وكتب أنطوني كتابين عن سيرته الذاتية هما: «الخطيئة الأصلية»، و«غروب الشمس المفاجئ»، وقد أصبح مواطناً أمريكياً عام ١٩٤٧م، وجمع ثروة تقدر بملايين الدولارات، بالإضافة إلى عدد كبير من اللوحات الفنية القيمة، وهو أب لثلاثة عشر ولداً من خمس نساء، تزوج آخرهن عام ١٩٩٣م وعمره ٧٨ عاماً.

معجمات ليبية

صدر عن دار مداد للطباعة والنشر الليبية أول عمل موسوعي ليبي من نوعه، وهو ثلاثة معجمات هي: معجم الأدباء والكتّاب الليبيين والمعاصرين، ومعجم الشعراء الليبيين الذين صدرت لهم دواوين، ومعجم القصاصين الليبيين الذين صدرت لهم مجاميع، من إعداد عبدالله سالم.

وقد تضمنت الأجزاء الثلاثة الأولى من المعجمات الثلاثة جميع من كتب في مجالات الإبداع الأدبي والنقدي من الليبيين، وقد بلغ عددهم نحو ٣٤١ كاتباً وأديباً.

وقد أوضح معد المعجمات أن وضعها جاء محاولة لتكملة النقص في التوثيق في هذا المجال، وأيضاً من أجل مزيد من التعريف بالمشتغلين بالآداب والكتابة بكل ألوانها. وقد جعل المعد من معجماته الثلاثة، أجزاء أولى، مما يعني توقع صدور أجزاء أخرى مستقبلاً.

آثار مهربة

أحبطت الشرطة المصرية مؤخراً محاولة لتهريب ٣٠٠ قطعة أثرية تضم أدوات تحنيط، وتماثيل معدنية، وقبضت على ثلاثة من التجار والوسطاء بعد أن بلّغ عنهم رجل طلبوا منه البحث عن مشتر.

وكان الرجل قد طلب مقابلة وزير الثقافة المصري فاروق حسني، وعرض عليه شريط فيديو بالقطع التي يحاول تاجران بيعها بمبلغ خمسة ملايين جنيه (٣ر١ مليون دولار) بمساعدة وسيط.

وقد تبين أن أحد التاجرين أمين شرطة سابق، والثاني موظف بمصلحة الضرائب، أما الوسيط فيعمل سباكاً.

وكان المُبَلِّغ الذي طُلب منه الوساطة أيضاً في عملية التهريب قد أطلع الوزير على تفاصيل العملية قبل نحو شهر.

ودهمت مباحث الآثار منازل المتهمين في محافظة المنيا (٢٠٠كم جنوب القاهرة)، وقبضت عليهم وبحوزتهم الآثار.

ويجري حالياً تقويم القطع المضبوطة لتحديد قيمتها الأثرية، وفي حال إدانة المتهمين بتهمتي الاتجار في الآثار، والاتفاق الجنائي على التهريب، فقد يحكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة.

زيوريك، أندروا، وثرياكو، دايفيدا/ تخطيط موارد المياه، ط٢، ترجمة: عبدالمحسن بن عبدالرحمن آل الشيخ.- الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٤١١ص.



هذه هي الطبعة الثانية من هذا الكتاب الذي يعدّ من الكتب الحديثة التي تناقش قضايا موارد المياه من وجهة نظر تخطيطية، فالماء ضرورة قصوى من ضرورات الحياة، فلا حياة بلا ماء، ولا يوجد مكان في العالم يخلو من مشكلة مياه.

يعالج المؤلف في هذا الكتاب تخطيط موارد المياه وإدارتها، ويركز في المورد نفسه، والقواعد القانونية والإدارية، والعوامل الاقتصادية في التخطيط، وعملية التخطيط، ثم المجالات المختلفة لمهام موارد المياه خصوصًا كمية المياه ونوعيتها وإدارة مناطق الفيضانات. يتناول الكتاب كذلك مجالات أخرى مثل الاستجمام، والملاحة، والقوى المائية الكهربائية، كما يقدم موجزًا عن نماذج قيمة وتطبيقات في الحاسب الآلي في تخطيط موارد المياه وإدارتها ونظرات إلى اتجاهات المستقبل في هذا الحقل.

استعان المؤلف بعدد من الجداول والأشكال والرسوم البيانية لتدعيم الحقائق التي أوردها في الكتاب، وفي الختام عدد من الملاحق، وثبت بالمصطلحات، وكشاف بموضوعات الكتاب.

المسكين، عقيل بن ناجي/ المشهد الثقافي الراهن في المملكة العربية السعودية.- بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ٢٢١ص.

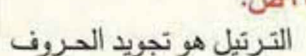


الكتاب إعداد صحفي يضم مشاركات اثنتين وثلاثين شخصية علمية وفكرية وأدبية في استطلاع عام عن توصيف الحالة الثقافية الراهنة في المملكة العربية السعودية وتقويمها بمختلف جوانبها وأبعادها الحضارية.

وقد استطاع المعد استيعاب اهتمامات ثقافية وأدبية مختلفة دون أن يحبس نفسه أو اهتمامه في حقل أدبي أو معرفي محدد، لذا جاء الرصد للمشهد الثقافي في المملكة شاملاً وجامعًا لكثير من القناعات التي تنطلق من أفق المغايرة الثقافية.

جاء الاستطلاع في ستة محاور أساسية هي: المشهد الثقافي العام، والمشهد الثقافي من منظور المرأة، والمشهد الثقافي من منظور اقتصادي، والمشهد التعليمي، والمشهد النقدي، والمشهد التشكيلي، ورتبت أسماء المشاركين ترتيبًا هجائيًا حسب الاسم الأول. وكان قد تم نشر هذا الإعداد الصحفي في «مجلة الكلمة» بالعدد رقم (١٧) السنة الرابعة ـ خريف ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

الوسيلة لترتيل القرآن الكريم: المصحف المعلم بتجويد الحروف ومعرفة الوقوف.- جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ٦٦٦ص.



الترتيل هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف كما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد أقرّ رضي الله عنه أبا الأسود الدؤلي على وضع شيء في النحو لانتشار اللحن في تلاوة القرآن الكريم بين الناس. وفي عصرنا الحاضر تطورت فنون الطباعة وكثرت المصاحف المطبوعة وانتشرت، واقتناها العامة والخاصة، وصاحب ذلك ندرة في عدد العلماء العارفين بعلوم التجويد وطرائق تدريسه، واشتدت الحاجة إلى تطوير وسيلة تعليمية مرئية مقروءة ميسرة تساعد المقرئ والقارئ على تعليم علم التجويد وتعلمه.

واقتداءً بالمنهج العلمي الذي أقرّه علي رضي الله عنه بوضع رموز للدلالة على الحركات (علامات الشكل)، قامت نخبة من العلماء بإعداد هذا المنهج العلمي وتطويره بهدف شرح أحكام الترتيل بوضع رموز للدلالة على أحكام تجويد الحروف ومعرفة

الوقوف، فجاء هذا المصحف الذي يحتوي على شرح مفصّل لأحكام التجويد والوقف ومصحف تعليمي شُرح عليه بدقة متناهية وأسلوب مبتكر تفاصيل أحكام التجويد وبيان مواضع الوقف بواسطة رموز ملونة تم تصميمها لهذا الغرض.

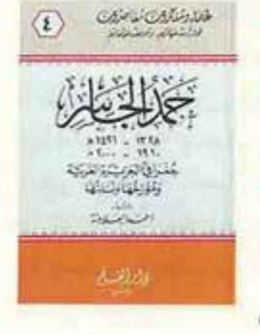
وقد تمت مراجعة هذه الرموز التجويدية وأحكام الوقف وفقًا لرواية حفص عن عاصم، ووجدت مطابقة لما قرره علماء الأداء والضبط، أما الرسم فيتفق تمامًا مع الرسم المعمول به في مصحف المدينة النبوية، ومصحف الأزهر الشريف، وكلاهما يعتمد على ما رواه علماء الرسم عن المصاحف التي بعث بها الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الأمصار، وعن المصاحف المنتسخة منها.

تجد في صفحات هذا المصحف المعلم رموز التجويد مدونة فوق أو أسفل حروف كلمات القرآن الكريم للدلالة على أحكام التجويد، وبأسفل صفحاته توضيح معانيها وأحكامها عند الوصل والوقف، كما دونت الأحكام التجويدية التي تنتج عند الوقف على هامش الصفحات.

الوهيبي، محمد بن حمد/ إحيائية نخلة التمر.. الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٢٦١ص.

الكتاب دراسة علمية حول نخلة التمر تطرق فيه المؤلف إلى ما كتب عن النخلة مع التركيز في النواحي الفسيولوجية والمحتوى الكيماوي لأجزاء النبات وغيرها من التخصصات ذات العلاقة. يقع الكتاب في أحد عشر فصلاً، تضمن فصله الأول نبذة تاريخية مختصرة عن نخلة التمر، وتناول باقي الفصول عددًا من الموضوعات المتعلقة بنخلة التمر شملت بعض التفاصيل لموضوعات فروع علم النبات من تصنيف وفروق بين الأصناف وبعض النواحي التشريحية والشكلية، تناولت بيئة نخلة التمر وتوزيعها وفوائدها الاقتصادية، وتطرقت كذلك لبعض النواحي الفسيولوجية من علاقات مائية وتغذية معدنية وتكاثر ومكونات كيماوية وغيرها، وجاء الفصل الأخير عن أهم الآفات والأمراض التي تصيب نخلة التمر.

استعان المؤلف بعدد من الصور الفوتوغرافية والرسومات والأشكال والجداول لتوثيق المعلومات التي أوردها في الكتاب، وأوصى من يريد الاستزادة والتعمق في هذا الموضوع بالرجوع إلى المجلة المتخصصة Principes المعروفة حاليًا بـ Palms والتي تصدر أربع مرات سنويًا، وعنوانها: ص.ب ٣٦٨، لورانس، ولاية كانساس، ٦٦٠٤٤، الولايات المتحدة الأمريكية.



العلاونة، أحمد/ حمد الجاسر (١٣٢٨ ـ ١٤٢١هـ): جُغرافي الجزيرة العربية ومؤرخها ونسابتها.. دمشق: دار القلم، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ١٧٦ص سلسلة (علماء ومفكرون معاصرون؛٤).

قصد المؤلف من التأليف التعريف بالشيخ حمد الجاسر ـ حياته ومؤلفاته ـ فجاء الكتاب في فصلين، تناول في الأول لمحات من حياة الجاسر شملت نسبه وولادته ونشأته وتعلمه ومشايخه، وغير ذلك من سيرته الذاتية.

وخصص الفصل الثاني للتعريف بمؤلفاته ـ وهو لب الكتاب وعصبه ـ فقد تضمن ثلاثة أقسام متداخلة، جاء القسم الأول للتعريف بالمؤلفات، التي رتبها على حروف الهجاء، والثاني عن التحقيقات التي عرف بها، ولم يترجم لمؤلفيها عدا الجزيري مؤلف «الدرر الفوائد،» وأحال القراء إلى كتاب الأعلام للزركلي لبقية التراجم، ثم أبان عمل الجاسر ومنهجه في التحقيق، وتناول في الثالث الكتب التي راجعها الجاسر وأشرف على طبعها، وتكلم على عمله فيها.

واستبعد المؤلف من الكتاب الرسائل التي حققها الجاسر ونشرها في مجلة العرب؛ لأن ذلك يضخم الكتاب، ويبعد عن منهاج سلسلة «علماء ومفكرون معاصرون» كما يقول المؤلف.

مختارات من القصة التركية المعاصرة/ مجموعة من القاصين الأتراك، ترجمة: عبدالقادر عبداللي.- الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠١م، ٢٨٣ص، سلسلة (إبداعات عالمية؛ ٣٢٩).



على الرغم من الروابط الدينية والاجتماعية الوطيدة التي تربط بين الشعبين العربي والتركي منذ عهد مبكر، إلا أن أواصر العلاقة بين الأدبين العربي والتركي ضعيفة جداً للغاية موازنة بالآداب الأخرى.

حاول المترجم من خلال هذه المجموعة التي تتكون من ٢١ قصة، استعراض خط تطور القصة في تركيا منذ ثلاثينيات هذا القرن حتى بداية تسعينياته بمختلف اتجاهاتها الأدبية وتعددية مدارسها، وهي لكتّاب وكاتبات بارزين في كتابة القصة، فجاءت قصص المجموعة تجمع بين الواقعية بمختلف اتجاهاتها، وما فوق الواقعية والرومانسية والتعبيرية...إلخ، ضمن نسيج القصص المختارة عموماً.

قدم المترجم نبذة تعريفية من كل كاتب وكاتبة شارك في تأليف الكتاب.

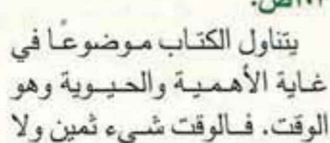
الجريسي، خالد/ إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري.- الرياض: المؤلف، ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م، ٢٠٣ص.



يتناول الكتاب موضوعاً في غاية الأهمية والحيوية وهو الوقت. فالوقت شيء ثمين ولا يمكن تعويضه، وقد اهتمت مصادر التشريع الإسلامي بهذا الموضوع فجاء كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة التي تحث المسلم على الانتفاع بوقته، بما يخدم هدفيه في الدنيا والآخرة.

جمع الكاتب في هذا الكتاب بين الدراسة النظرية والميدانية لإدارة الوقت، واشتمل على مقدمة كتبها الأستاذ الدكتور وحيد بن أحمد الهندي وستة فصول، ففي الفصل الأول تعريف بالوقت وبيان أهميته في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وأفرد الفصل الثاني لدراسة الوقت وإدارته من المنظور الإداري من خلال النظريات الإدارية وإدارة الوقت داخل العملية الإدارية، واحتوى الفصل الثالث على دراسة إدارة الوقت في ضوء نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة وأقوال السلف الصالح، وأوضح في الفصل الرابع الواجبات الملقاة على عاتق المدير المسلم تجاه الوقت وضرورة إدارته من خلال تناوله أهم مضيعات الوقت ومسؤولية المسلم عن الوقت، وفي الفصل الخامس دراسة للأدوات والوسائل المستخدمة في تنظيم إدارة الوقت، إضافة إلى أهم المناهج المستخدمة للإدارة الفعالة للوقت، وختم بالسادس الذي تناول فيه الناحية التطبيقية لإدارة الوقت من خلال الدراسات السابقة في العالم العربي بعامة، وفي المملكة العربية السعودية بخاصة، إضافة إلى الدراسة الميدانية الخاصة التي قام بها في القطاع الصناعي الخاص في المملكة العربية السعودية.

عبدالحميد، شاكر/ التفضيل الجمالي: دراسة في سيكولوجية التذوق الفني.- الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ٤٧٢ص (سلسلة عالم المعرفة؛ ٢٦٧).



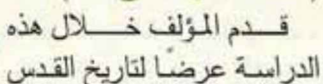
استعرض المؤلف في هذا الكتاب المفاهيم الفلسفية والنفسية (السيكولوجية) المتعددة المرتبطة بعمليات التفضيل الجمالي، والتذوق للفنون والجماليات بشكل عام، كما عرض باختصار لأبرز النظريات الفلسفية التي حاولت تفسير الخبرة الجمالية والظواهر الجمالية، وقدم أهم الجهود السيكولوجية التي حاولت دراسة هذه الخبرة.

كذلك حاول المؤلف تقديم إحاطة ما بعمليات نمو السلوك الإدراكي عامة، والتفضيل الجمالي خاصة، لدى الأطفال والمراهقين، واستعرض عدداً من الأفكار والمفاهيم والدراسات المتعلقة بالتفضيل الجمالي في فنون

التصوير والموسيقى والأدب والمسرح والسينما على نحو خاص.

وخصص المؤلف فصلاً كاملاً للجماليات البيئية، واختتم بتقديم بعض الأفكار من أجل تنمية عمليات الإحساس الجمالي، والتفضيل الجمالي لدى الصغار والكبار على حد سواء.

أورد المؤلف في آخر الكتاب بعض اللوحات الفنية لكبار الرسامين مثل: أودري فلاك، وليوناردو دافنشي، وفرانز زافر ميسرشمت، وجان فرمير، وبول سيزان وغيرهم.



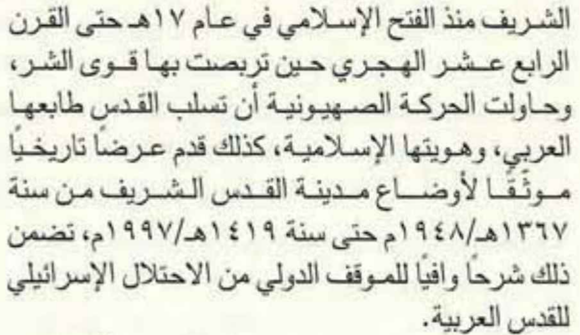
أدب الاختلاف في الإسلام/مجموعة مؤلفين.- الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. ٢٩٢ص.

يحتوي الكتاب على أبحاث الندوة التي نظمتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو، بالتعاون مع جامعة الزيتونة بتونس في الفترة من ١٨ - ٢٠ شعبان ١٤١٩هـ/ ٨ - ١٠ ديسمبر ١٩٩٨م، حيث دعت إليها عدد كبير من العلماء والفقهاء من مختلف البلدان الإسلامية، وكانت بعنوان «أدب الاختلاف في الإسلام».

جاء الكتاب في ثلاثة أبواب، كان الباب الأول بعنوان «مفهوم الاختلاف»، وفيه كتب الشيخ محمد علي التسخيري عن «الاختلاف وأسلوب الحوار الحكيم»، وتناول الدكتور ناصر بن سليمان السابعي «أسباب الاختلاف»، وتعرض الدكتور عثمان بطيخ لـ «حرية الرأي في الإسلام»، وحدد الأستاذ محمد القدوري «أدب الحوار في الإسلام»، وختم بحوث هذا الباب الدكتور عفت الشرقاوي بـ «حقيقة الاختلاف من وجهة النظر الإسلامية».

وكان الباب الثاني عن «مجالات الاختلاف»، حيث تناول الدكتور محمد المختار ولد أبّاه «مجالات الاختلاف وضوابطه»، وعرض الأستاذ أحمد محمد هاشم «أدب الاختلاف لدى الصحابة»، وناقش الدكتور محمد حسن أبو يحيى «الاختلاف لدى علماء المذاهب».

وجاء موضوع الباب الثالث عن «الاختلاف والمجتمع الإسلامي المعاصر»، وفيه تناول الدكتور جلول الجريبي «دور البرامج التعليمية في إرساء أدب الاختلاف: جامعة الزيتونة نموذجًا»، ووضح الدكتور طه مصطفى أبو كريشة كيفية «الاستفادة من الاختلاف المذهبي في تنظيم المجتمع الإسلامي وتطويره»، وتناولت الدكتورة إقبال الغربي «دور الاختلاف في إثراء الفكر: مقارنة نفسية»، وختمت البحوث بموضوع الدكتور محرز الحمدي «الاختلاف وقضايا العصر».

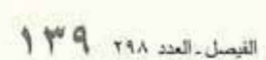


حلّه، محمد علي/ القدس الشريف: حقائق التاريخ وآفاق المستقبل.- مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢١هـ، ٢٧٩ ص (سلسلة دعوة الحق؛ ١٩٢).

قدم المؤلف خلال هذه الدراسة عرضًا لتاريخ القدس الشريف منذ الفتح الإسلامي في عام ١٧هـ حتى القرن الرابع عشر الهجري حين تربصت بها قوى الشر، وحاولت الحركة الصهيونية أن تسلب القدس طابعها العربي، وهويتها الإسلامية، كذلك قدم عرضاً تاريخياً موثقًا لأوضاع مدينة القدس الشريف من سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م حتى سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٧م، تضمن ذلك شرحاً وافياً للموقف الدولي من الاحتلال الإسرائيلي للقدس العربية.

وأكد المؤلف - من خلال هذه الدراسة - «أن المزاعم التي يطلقها الإسرائيليون ليس لها سند من الحقائق التاريخية التي يعرفونها، بل يعرفها الباحثون الغربيون من غير المسلمين»، ومن ثم لا نقدم هذه الدراسة دفاعًا عن موقفنا، في التمسك بحقنا العربي الإسلامي في مدينة القدس، بل وتأكيداً لهذا الحق، الذي يملك الدفاع عنه والذود دونه مليار مسلم، في مشارق الأرض ومغاربها».

استعان المؤلف بعدد من الخرائط لتوثيق الحقائق التاريخية التي أوردها، وختم الكتاب بعدد من الملاحق.



آفاق الثقافة والتراث (س٨، ع ٣٢، شوال ١٤٢١هـ/ يناير ٢٠٠١م)



مجلة فصلية ثقافية تراثية تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي.

حفل هذا العدد بموضوعات تراثية وثقافية وعلمية، ومجموعات من المقالات المتنوعة، فأعدّ الأستاذ محمد دباغ موضوعًا بعنوان «التراث الفقهي بين الثبات والتطور»، وتناول الأستاذ الصدّيق بشير بن نصر «تعليقات نقدية على آراء البارون ألفرد فون كريمر حول نشأة الفقه الإسلامي وتطوره»، وناقش الدكتور محمد الدعمي «وظائف التاريخ: منظورات فلسفية في التطوّر»، وغير ذلك من المقالات المختلفة.

وفي باب المقالات العلمية كتبت الأستاذة سليمى محجوب عن «آفاق تراثية في الغذاء والدواء»، وتناول الدكتور محمود الحاج قاسم محمد «العلاج الجراحي للأورام: السرطان في الطب العربي الإسلامي»، وكتب د. علي جمعان الشكيل عن «صناعة الأصباغ في الحضارة الإسلامية»، وختم د. محمد فؤاد الذاكري بمقالة عن «قلع الأسنان في التراث الطبي العربي».

وتناول د. حاتم صالح الضامن، في باب التعريف بالمخطوطات، «مخطوطات نادرة: قطر السّيل في أمر الخيل» لسراج الدين عمر بن رسلان البلقيني (ت: ٨٠٥هـ).

وفي الختام جاء باب تعليقات، وفيه كتب د. غازي مختار طليمات «تعليق على بحث: نحو تأسيس نظرية تلقٍّ قرآنية».

العنوان:
دبي - ص.ب : ٥٥١٥٦
هاتف: ٤٢٦٢٤٩٩٩
ناسوخ: ٤٢٦٩٦٩٥٠
دولة الإمارات العربية المتحدة.

مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية (مج ٧، ع١، المحرم - جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ/ أبريل - سبتمبر ٢٠٠١م).



مجلة نصف سنوية مُحكّمة تصدر عن مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض.

تضمن هذا العدد من الدورية عدة موضوعات تتعلق بقضايا الكتب والمكتبات، إلى جانب مصادر تاريخ المملكة العربية السعودية، وقد جاءت هذه الموضوعات تحت عدة أبواب.

ففي باب «الدراسات» كتب سريع محمد السريع عن «نشأة المكتبات وتطورها وخدماتها في المملكة العربية السعودية»، وتناول خالد عبدالرحمن الجبري «دور الإنترنت في دعم وظائف المكتبة وتطويرها»، ولبشار عباس مقالة بعنوان: «المكتبات في عصر المعلومات: من نظم التصنيف العشري إلى النصوص المنهلة»، وناقش محسن السيد العريني «أثر التكنولوجيا في تعليم المكتبات عن بعد»، وتحدث عبداللطيف عبد الحكيم سمرقندي عن «الاتجاهات العددية والنوعية للإنتاج الفكري بجامعة أم القرى».

وفي باب «الببليوجرافيات» تناول علي بن سليمان الصوينع «مصادر التراجم السعودية: ببليوجرافية مشروحة»، وتتبع عبدالله محمد حسين العبدالمحسن «الإنتاج الفكري المطبوع في مكتبة الملك فهد الوطنية»، وفي باب «المراجعات» كتب محمد خير البقاعي عن «ناصر الدين دينيه وكتابه (الحج إلى بيت الله الحرام)»، وسهيل صابان عن «نجد والأحساء في الحكم العثماني»، وأحمد الحسين عن «العرب في آسيا الوسطى: الوجود الإثني والتجذير الثقافي»، وتناول حشمت قاسم «المكتبات الأكاديمية: مجتمعها وأهدافها وإدارتها»، وألقى شمس الدين عبدالوارث «أضواء على كتب حديثة»، وتتبع أمين سليمان سيدو «البحوث الجارية».

العنوان:
المملكة العربية السعودية
ص.ب ٧٥٧٢ - الرياض ١١٤٧٢
هاتف: ٤٦٢٤٨٨٨ - ناسوخ: ٤٦٤٥٣٤١

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية (س٢٧، ع ١٠١، المحرم ـ صفر ـ ربيع الأول ١٤٢٢هـ/ أبريل ـ مايو ـ يونيو ٢٠٠١م).



مجلة فصلية مُحكّمة تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت.

تضمن هذا العدد من الدورية بين دفتيه كثيراً من البحوث والدراسات التي تتعلق بشؤون الخليج والجزيرة العربية، وقد جاءت تحت عدة أبواب.

ففي باب «البحوث» كتب د. محمد حسن عبدالله عن «البصير والنقد الأخلاقي الاجتماعي»، وتناول د. بسامة خالد المسلم «أنماط التزاور الأسري وعلاقته بالتنشئة الاجتماعية في المجتمع الكويتي: دراسة ميدانية على طلبة جامعة الكويت»، وناقش د. أحمد هاشم اليوشع «أزمة سياسات أسعار الصرف المربوطة ومستقبل النظام النقدي العالمي»، وعرض د. عبدالله حمادة الطرزي «الخصائص الديموجرافية ـ الجغرافية والمشكلات السكانية في سلطنة عمان»، وختم البحوث د. راشد علي السهل ود. مصري عبدالحميد حنورة بمناقشة «فروق الجنس والجنسية في بعض الخصائص الانفعالية لدى مجموعتين من الشباب المصري الكويتي: دراسة حضارية مقارنة».

وفي باب «عرض الكتب ومراجعاتها» قدم د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم عرضاً لكتاب «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب؟» لمؤلف مجهول، دراسة وتحقيق د. عبدالله الصالح العثيمين، وتناول د. محمد معوض إبراهيم في باب التقارير «ندوة: مستقبل العلاقات الكويتية ـ العراقية من ١٣ ـ ١٥ مايو/أيار عام ٢٠٠٠م)، بالإضافة إلى الببليوجرافيا العربية التي أعدتها لمياء محمد الرومي، والإنجليزية التي أعدتها نبال أحمد يوسف، وقد جاءت هذه البحوث باللغتين العربية والإنجليزية.

العنوان:

ص.ب ١٧٠٧٣ الخالدية ـ الرمز ٧٢٤٥١ الكويت

هاتف: ٤٨٣٣٢١٥ ـ ٤٨٣٣٧٠٥،

ناسوخ: ٤٨٣٣٧٠٥

الدارة (س ٢٦، ع٤، شوال ١٤٢١هـ)



مجلة فصلية محكّمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز.

صدر هذا العدد من الدارة بمناسبة انعقاد ندوة «المملكة العربية السعودية وفلسطين» التي قامت بها دارة الملك عبدالعزيز، فجاءت بحوثه لتلقي الضوء على علاقة المملكة العربية السعودية وموقفها من القضية الفلسطينية منذ عهد الملك المؤسس حتى الوقت الراهن، وجاء ذلك من خلال عدة أبواب.

ففي باب البحوث، كتبت د. خيرية قاسمية عن «صفحة من شواغل الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ بالقضية الفلسطينية: مؤتمر المائدة المستديرة في لندن ١٣٥٧ ـ ١٣٥٨هـ»، وتناول د. جون حبيب موقف «الملك عبدالعزيز وقضية فلسطين: خطة التهجير التي آلت إلى الرفض»، وعرض د. يوسف بن علي الثقفي «رسالة الملك عبدالعزيز إلى روزفلت عام ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م: دراسة تحليلية تاريخية»، وبسط د. فتحي العفيفي «سياسة المملكة العربية السعودية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي».

وفي باب الوثائق تناول د. فهد بن عبدالله السماري «الموقف السعودي والعربي في اجتماعات المائدة المستديرة في لندن ١٩٣٩م بشأن القضية الفلسطينية من خلال الوثائق البريطانية»، وعرض د. ناصر بن محمد الجهيمي «الوثائق المحلية للعلاقات السعودية الفلسطينية»، وفي باب بحوث مترجمة كتب د. جلن بيري عن «الملك عبدالعزيز والقضية الفلسطينية»، وتناول د. وليد الخالدي، في باب المحاضرات، «القدس من العهدة العمرية إلى قمة كامب ديفيد الثانية»، وفي باب مراجعات الكتب جاء كتاب «المملكة العربية السعودية وقضية فلسطين» تأليف د. عبدالفتاح حسن أبو علية، وشاكر النتشة، ومراجعه: د. عبدالله بن عبدالرحمن الربيعي.

بالإضافة إلى الأبواب الثابتة من ملخصات كتب، ورصد ورقي، والتي جاءت أيضاً في الاتجاه نفسه.

العنوان:

ص.ب ٢٩٤٥ .

الرياض ١١٤٦١ المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٠١١٩٩٩ ـ ناسوخ: ٤٠١٣٥٩٧

ولي الأمر والقضاء

عبدالعزيز الخويطر
الرياض - السعودية

القضاء أمانة ثقيلة، وعمل شاق، ولا يقدر على أداء حقه إلا من وفّقه الله، وسدد خطاه، وكان من ذوي العزم، والحزم، والعلم، والذكاء، والمعرفة بأحوال الناس، ونفوسهم، ومهنهم، وطبائعهم، وأسنانهم، ودرجة نضجهم، وظروف مجتمعهم، وأحواله.

ولأن حياة الناس، وسلامتهم، وأعراضهم، وأموالهم، وأسباب شقائهم، وسعادتهم، بإذن الله تعالى، بيد القاضي، فهو يتوخى الحق فيما يحكم به، والصلح فيما يجمل فيه ذلك، فعمله، على هذا، خطير، ومهمته صعبة. وقليل من القضاة، في الزمن القديم، يقبل منصب القضاء، أو يقدم عليه؛ وكانوا يقاومون ذلك تحرجًا، وبعدًا عن مزالق الإثم، ومدارج الخطأ، والتعرض لغضب الخصوم، فكل قضية فيها محكوم له، ومحكوم عليه، وراض وساخط، ومقتنع ورافض.

والقاضي يخرجه بعض الخصوم عن طبعه، بسوء تصرفهم،، وعنتهم وجهلهم، مهما كان القاضي عازمًا على التحمل، ومهما كان مدركًا للصبر، وتحمل السفه. كان هناك قاض كنّاه الناس بالقاضي «النّطّاح»؛ لأنه عندما يستشاط غضبه ينطح المتقاضي المزعج، وبلغ الخليفة أمره، فخاطبه في هذا، فأبان للخليفة أنه يفعل ذلك عندما لا يبقى في القوس منزع، وعندما تصل الروح الحلقوم، وعندما لا يبقى وسيلة إلا النطح، وهو أقرب عقاب مادي؛ واقترح عندما لم يرَ من الخليفة اقتناعًا، أن يأتي الخليفة، ويجلس في مكان في المحكمة، خلف ستار، لا يُعلم عنه، وسيرى من بعض المتقاضين عجبًا؛ فأعجب هذا الرأي الخليفة، وجاء وقعد خلف الستر، وجاء متقاضيان، أحدهما من عامة الناس، والآخر من علية القوم: فأراد هذا أن يجلس بجانب القاضي، فقال له القاضي: اجلس بجانب خصمك، فالناس في مجلس القضاء سواء. فقال الرجل: ولكني من علية القوم، ولا أساوى بهذا. ولكن القاضي أجبره على أن يجلس بجانب خصمه، وأخذ القاضي يستنطقهما بحججهما، وكلما طلب القاضي من الذي من علية القوم، ذكّره بأنه من علية القوم، وأنه لا يُطلب منه ما يطلب من هذا الذي من الرعاع، فهو لا يريد أن تطلب منه بيّنة، لأن شرفه يمنع من هذا، وهو لا يريد أن يحلف؛ لأن هذا لا يليق بمقامه، وفيه اتهام مغلف بعدم الثقة به، وهو من علية القوم.

كل هذا والقاضي متحمل لصفاقة هذا الرجل، ويسايره ويلاينه، فاغتاظ الخليفة، ونخز جنب القاضي من وراء الستار وقال له:

ويحك! إن لم تنطحهُ نطحتُه أنا.

والناس في حياتهم، وصلة بعضهم ببعض، يحدث بينهم اختلاف ونزاع، وخصومة وعداء، ولابد من حكَم يضع كلاً من المتنازعين على جادة الصواب، وإلا تفاقم الأمر، ووصل إلى درجة قد تهدد الحياة بينهما، وتأتي للمجتمع بفتنة هو في غنى عنها، وإن لم يحدث هذا فقد تضيع حقوق، وتنتهك أعراض، ويأكل القوي الضعيف، ويُحكم المجتمع حكم غاب، ويصبح المجتمع مجتمع حيوانات متوحشة، تقضي ذات القرون على الجماء.

والحكام خير من يدرك أهمية القضاء والقضاة؛ لأنهم يجدون فيهم عضدًا، يشد أزرهم على سلامة الحكم، ويساعدهم على حسن سير أموره، والأخذ بأسباب



لهذا يحرص الحاكم على أن يُنصّب قضاة، ينظرون في أمور الناس، ويحاول أن يجد الكفيء، الذي يريحه بتحري العدل والإنصاف لتكون ثمرة ذلك رضاً عاماً بين الناس، يأتي بالهدوء والطمأنينة للمجتمع، من خلال الأداء الجيد ممن هو أهل أن يأتي على يده الخير.

والحكام يستشيرون، ويبحثون، وينقبون، ويدققون ليطمئنوا إلى من يختارونه، ويضعون فيه ثقتهم، وتقابلهم مواقف صعبة عندما يرفض، من اختير، أن يقبل المنصب.

وقد اضطر بعض الحكام إلى إجبار الكفيء على القيام بالعمل؛ لأن المصلحة تقتضي ذلك؛ وقد سجلت طرائف من الحيل في رفض القضاة للمنصب، بعضها نجح، وبعضها أخفق.

وصفة القاضي المطلوب، والحكم الناضج، معروفة لدى الحكام، والصعوبة تأتي في العثور على من تتوافر فيه الصفات اللازمة لهذا المنصب الرفيع. وهنا مثل يصور موقفاً لأحد الحكام، يُبيّن ما كان يدور في ذهنه، وما يتطلع إليه في القاضي من الخلال، التي تعد أساساً لازماً لعمله، وأسلوب الجدل الذي أجبر به القاضي على تولي المنصب، ويُبيّن موقف القاضي، وموافقته، ومقاومته للعرض، وتحرجه من الإقدام على القبول؛ وقد تبيّن أنه أهل لما أظهر أنه لم يكن أهلاً له:

«أحضر الرشيد رجلاً، ليوليه القضاء، فقال له: إني لا أحسن القضاء، ولا أنا فقيه.

قال الرشيد: فيك ثلاث خلال: لك شرف، والشرف يمنع صاحبه من الدناءة، ولك حلم يمنعك من العجلة، ومن لم يعجل قلّ خطؤه؛ وأنت رجل تشاور في أمرك، ومن شاور كثر صوابه، وأما الفقه فسينضم إليك من تتفقه به. فولي، فما وجدوا فيه مطعناً».

[عيون الأخبار: ١/٧١].

ازدهاره، وبقائه؛ فعمل القاضي لابد من القيام به، فإن لم يقم به قاض وقع العبء على الحاكم، وقد لا يكون الحاكم مهيأ للقضاء لعدم تضلعه بمتطلباته، من فقه، وعلم بأحوال الناس الدقيقة، وإن كان عنده ذلك، فليس عنده الوقت، وتحمل عناء المقاضاة، خاصة إذا كان حكمه يشمل أراضي شاسعة الأرجاء، متباعدة الأطراف، صعبة التضاريس.

